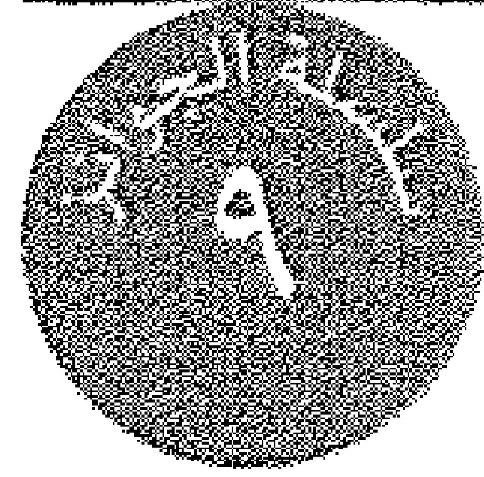
الهيئة المصرية العامة للكتاب
سلسلة الجوائز



رواية

إلفريده يلينك

العاشقات

ترجمة وتقديم د. مصطفى ماهر

إلفريده يلينك
أديبة نمساوية ولدت في ٢٠ أكتوبر ١٩٤٦.
درست علم المسرح والموسيقى وتاريخ الفن وعلم الثقافة وعلم النفس وعلم الاجتماع وعلم الجنس.

حصلت على العديد من الجوائز المحلية والعالمية قبل حصولها على جائزة نوبل عام ٢٠٠٤

الجائزة: جائزة نوبل في الآداب
أكبر جائزة في العالم، وأعلى مرتبة من جميع التقديرات، تمنح في فروعها المختلفة كل عام في العاشر من ديسمبر، وهو تاريخ وفاة صاحبها الصناعي السويدي ومخترع الديناميت "ألفريد نوبل" الذي أسسها عام ١٨٩٥ كدعوة لتحقيق السلام في العالم، ومنذ عام ١٩٠١ أصبح العالم كله ينتظر توزيع الجائزة على الأدباء والعلماء ودعاة السلام، الذين يقومون بإنجازات أدبية وعلمية وخدمات اجتماعية نبيلة تهدف إلى رقي الإنسانية وتطورها.

وجائزة نوبل في الآداب هي أرفع جائزة أدبية في العالم، تمنح لقمم الإبداع في فروعه المختلفة: رواية .. شعر .. مسرح. وأول من حصل عليها من العالم العربي الكاتب المصري "نجيب محفوظ" عام ١٩٨٨.

العاشقاتْ

يلينك، إلفريده

العاشقات / الفريده يلينك ؛ ترجمة وتقديم مصطفى ماهر .ـ القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٦.

٣٦٠ ص ؛ ٢٢ سم .ـ (سلسلة الجوائز)

تدمك ٠-٢٠٦-٤١٩-٩٧٧.

١- القصص الإنجليزية.

أ ـ ماهر، مصطفى (مترجم ومقدم).

ب ـ العنوان

رقم الإيداع بدار الكتب ١٤٩٦٣ / ٢٠٠٦

I.S.B.N 977-419-206-0

ديوى ٨٢٣

رواية

إلفريده يلينك

العاشقات

ترجمة وتقديم د. مصطفى ماهر



الهيئة المصرية العامة للكتاب
٢٠٠٦

- الكتاب : «العاشقات» Die Liebhaberinnen
- الكاتبة : إلفريدة يلينك Elfriede Jelinek
- المترجم : دكتور مصطفى ماهر
- العنوان الأصلي: DIE LIEBHABERINNEN

- الطبعة الأولى ٢٠٠٦.
- التصميم الجرافيكى: دكتور مدحت متولى
- الإخراج الفنى: صبرى عبد الواحد

سلسلة الجوائز

تواصل سلسلة الجوائز تجديد نفسها فى الأعداد التالية، من خلال تطوير الشكل، كما تحاول جاهدة استيعاب أبرز ملامح المشهد الإبداعى عربيًا وعالميًا، هادفة إلى تقديم أعمال تتميز بالخصوصية والجودة، التى اتفقت عليها لجان مهمتها التحكيم لمنح جوائز عالمية ومحلية لأهم الكتب وأكبر الكُتَّاب.

وخطة السلسلة أن تنشر أعمال أدبية مترجمة من كل لغات العالم الحية، من خلال تلك الجوائز التى تمتد من نوبل إلى الجوائز المحلية الكبيرة فى كل بلدان العالم، لكى يضمن القارئ العربى قراءة عمل متفق على جودته وجديته، ولكى يتسنى له الإطلاع على أحدث الاتجاهات فى الكتابة الأدبية، ذات القيمة العالية فى حقول الإبداع المختلفة: الشعر، الرواية، القصة القصيرة، السيرة الذاتية، المسرح.

وتحرص الهيئة المصرية العامة للكتاب، وهى تحتفى بالكتب والكُتَّاب وبجوائزهم، مراعاة الحفاظ

على حقوق الملكية الفكرية، والحصول عليها من الناشرين الأصليين والمؤلفين طبقًا للقانون.

لقد كان إقبال الجمهور على الثمرة الأولى من «سلسلة الجوائز» مشجعًا لنا على الاستمرار فى تقديم نماذج من الأدب العالمى والعربى المتميز. وهاهى المجموعة الثانية من إصدارات هذه السلسلة تتوجها «جائزة نوبل» للأدب، وهى أرفع جائزة فى العالم، حصلت عليها الكاتبة النمساوية «الفريده يلنيك»، ونقدم لها روايتها «العاشقات» ترجمة الدكتور مصطفى ماهر، وسوف نقدم لها أيضًا رواية «أوقات رائعة» فى مرحلة لاحقة.

وعملية الترجمة والمراجعة والإعداد تجرى الآن لتقديم المزيد من حائزى نوبل سنقدمهم تباعًا، وهم: الكاتب الإنجليزى «هارولد بنتر»، والكاتب البرتغالى «ساراماجو»، والكاتب الجنوب إفريقى «كوتزى»، بالإضافة إلى الكاتب التركى «أورهان باموق»، والتى نالت أعماله الأدبية مجموعة من الجوائز المحلية والعالمية.

ناصر الأنصارى

كلمة المترجم

هذه الرواية التى طلبت منى هيئة الكتاب أن أنقلها إلى العربية، رواية لها سماتها الخاصة، فهى رواية نمساوية شكلاً وموضوعاً، حظيت باهتمام عالمى، حيث نقلت إلى العديد من اللغات شرقاً وغرباً وشمالاً وجنوباً، لأن القراء الذين ينظرون إلى ما وراء حدود بلادهم، يهمهم أن يعرفوا ما يكتب أدباء البلاد الأخرى، ولهم أن يفيدوا من الأعمال المترجمة، ولهم أن يعجبوا بها، ولهم أن ينتفعوا بها أو بشىء منها، ولهم أن يرفضوها كلها أو بعضها، ولكن عليهم على كل حال أن يدركوا أنها نشأت فى قلب ثقافة مختلفة، بلغة مختلفة، تعالج موضوعات مختلفة، وتتجه إلى قراء مختلفين، أى أنها لم تكتب لنا، ولهذا فنحن نبذل جهداً خاصاً لكى نفهم النص فى إطاره الصحيح.

ولهذا تحب شريحة من قراء الترجمات أن يمدهم المترجم بترجمة وملحوظات هامشية تعينهم على هذا

الفهم السليم الذى يأخذ فى اعتباره اللغة والجغرافيا والتاريخ والثقافة فى البيئة النمساوية التى نشأت فيها الرواية، والذى يأخذ فى اعتباره أيضاً سمات كاتب الرواية ومقوماته الفنية والأسلوبية ومقاصده. وله إن شاء أن يدرك أنه بهذا يفهم الشىء الآخر، والإنسان الآخر، ويقترب من فهم أصح للإنسانية على اختلاف مشارب الشعوب التى تكونها، دون أن يفقد هويته، أو يغير من ثقافته ما لا يرى خيراً فى تغييره. وهذا النهج الذى نستصوبه فى فهمنا الآخر، نتوقع من الآخر أن ينتهجه فى فهمه إيانا. وقد نسمى هذا النهج: الرحلة إلى الآخر.

من البديهى أن يعرف القارئ العربى بادئ ذى بدء شيئاً عن حياة صاحبة هذه الرواية الفريدة يلينك Elfriede Jelinek التى أدرك القاصى والدانى مكانتها بعد أن حصلت على جائزة نوبل فى عام ٢٠٠٤، وأضيف أننى لن أدخل معه فى تفصيلات حياتها، بل سأختار بناءً على الرواية التى نحن بصددها بعض الأساسيات لأبنى عليها كلمتى التمهيدية هذه. وليس منهجى هذا هنا هو المنهج الوحيد الذى أتبعه فى كل الأحوال، فإذا صح أن لكل مجال مقالاً، صح أن لكل مقال منهجاً أو مناهج تناسبه، ومن البديهى أن الدراسات الأدبية النقدية تعرف مناهج أخرى قيِّمة تربط ربطاً وثيقاً بين حياة الأديب وما يكتبه، فيدخل المنهج السيكولوجى فى تفصيلات فرضية العلاقة التسببية بين المبدع والإبداع، وقد يتبع مدرسة بعينها

من المدارس السيكولوجية، وهو جهد مطلوب ومحمود.

أما فى هذا المقام فقد آثرت لهذه الدراسة أن أركز اهتمامى على الفكرة وأهدافها وتجسيمها الفنى المرتبط بواقع ثقافى واجتماعى أجنبى غريب محدد بزمان ومكان.

لا بأس بأن نعرف أن إلْفْريدة يِلِينك أديبة نمساوية ولدت فى ٢٠ أكتوبر ١٩٤٦ فى مورتستسوشلاج Mürzzuschlag بولاية شتايرمارك النمساوية Steiermark ، ونشأت فى العاصمة فيينا Wien ، ودرست علم المسرح وتاريخ الفن والموسيقى واهتمت بالفكر الفلسفى وعلم الثقافة وعلم الاجتماع وعلم النفس وعلم الجنس.

ظهرت لها قصائد ونصوص نثرية متفرقة ضمن كتب مختارات وفى مجلات أدبية قبل أن يخرج أول كتاب لها بعنوان «يا صغيرى نحن طيور استدراجية تغرى كالطعم». وقد تنبه النقاد إلى موهبتها الفذة، فلا غرابة فى أن نجدها فى عام ١٩٨٦ تحصل على جائزة هاينريش بل Heinrich Böll من مدينة كولن Köln الألمانية، وفى العام التالى - ١٩٨٧ - على جائزة الأدب من ولاية شتايرمارك النمساوية، نذكر بصفة خاصة جائزة بريمن Bremen الأدبية التى حصلت عليها فى عام ١٩٩٦، وجائزة جيورج بوشنر Georg Büchner التى نالتها فى عام ١٩٩٨، ولا غرابة فى أن تحصل فى عام ٢٠٠٤ على جائزة نوبل فى الأدب.

يهمنا هنا من حياة إِلْفْريدة يِلينِك إذن أنها ولدت بقرية فى قلب الطبيعة التى تتسم بالجمال الجذاب وبالتحدى الشاق فى آن واحد، حيث الغابات والمراعى والحقول التى تعطى الكثير من الخير، ولكنها تتطلب من الكد والعناء ما لايعرفه إلا من كابده، فهى تعرف الأرض والناس، وتعرف ما تتعرض له من أخطار انهمار الصناعة الواردة من المدينة، فالصناعة تتجذب نحو البيئة الجميلة، فتشوهها بمبان من الأسمنت والألومنيوم، وتحوّل البشر من التعامل مع الفطرة الحية إلى التعامل مع منتجات لا حياة فيها، وتُخرج الناس عن مسارهم إلى مسارات تغريهم ببريقها وبما يرتبط بها من سلطة ورفاهية فتصعد بهم أو تهبط، وتعدهم بوعود كثيرة يتحقق منها ما يتحقق ويتحطم ما يتحطم. والأبرياء والسذج والجهلاء والضعاف هم الضحايا، يشدهم النور والبريق، ولا يرون النار والحريق. وكل هؤلاء مادة ثرية للأدب الملتزم.

كذلك يهمنا من حياة إِلْفْريدة يِلينِك أنها درست فى الجامعة والمعاهد الفنية طائفة من العلوم والفنون، حيث جذبت انتباهها مناهج علم النفس وعلم الاجتماع وعلم الجنس وعلم الثقافة، وبخاصة تلك التى ترصد التحولات الاجتماعية وتدرس حالات بعينها تصفها وتشخصها وتتابع ما يطرأ عليها من تغيرات وما تتعرض له من مؤثرات، وانتفعت من هذا كله فى تكوين فكرها الملتزم، ولغتها المتميزة، وأسلوبها الأدبى الشعرى المتأثر بقوالب التأليف الموسيقى

والزخارف اللحنية، والموروثات الشعبية فى فنون الغناء والشعر والقص. وأدبها يرتبط ارتباطاً قوياً بالواقع النمساوى التاريخى والمعاصر، الفنى والاجتماعى والنفسى.

ومن الخير أن نستحضر فى مخيلتنا الخطوط العريضة للنمسا وتضاريسها وثقافتها، ونعى أن مساحة النمسا التى كانت إمبراطورية ضخمة مزدهرة انكمشت بعد الحرب العالمية الأولى وأصبحت ضيقة جداً وأنها تتاخم جنوب ألمانيا وسويسرا وإيطاليا والمجر، وتشيكوسلوفاكيا (القديمة) ويوغوسلافيا (القديمة) وأن الطبيعة الجميلة هناك تتنوع صاعدة هابطة بين جبال الألب ومرتفعات وسهول غنية تشتهر بالغابات وبالمراعى وبحقول تحتاج إلى عمل شاق لصعوبة الأرض، وتتخللها أنهار ونهيرات وغدران وبحيرات. وهذه الطبيعة الجميلة تجتذب السائحين شتاءً وصيفاً، فيكونون ضيوف الشتاء وضيوف الصيف أو المصطافين. وكما أن السائحين يأتون بخير كثير ينتعش به الاقتصاد، وتزيد به الدخول، فإنهم يأتون بقليل أو كثير من الشر متمثلاً فى إغراء ضعاف النفوس من التجار والباعة بالغش والاحتيال والجرى وراء المال السهل، كما يغرى بعض الرجال والنساء إلى التحلل من الأخلاق القويمة ومن تعاليم المسيحية الكاثوليكية والدخول فى علاقات جنسية عشوائية لا تحمد عقباها، تؤدى فيما تؤدى إليه من نتائج إلى تفكك جانب لا يستهان به من العلاقات الاجتماعية التقليدية.

كما أصبحت الطبيعة الجميلة الثرية تجتذب الصناعة وتستزيد منها أحياناً، لتنشئ مصانع ومتاجر وتخلق فرص عمل مختلفة تحول القوة العاملة إلى حرف جديدة وتدفع إلى المستهلكين الجدد بمنتجات جديدة تثير التطلعات وتحرك فى نفوس الناس حاجات جديدة.

ويغلب على الصناعة التركيز على منتجات تَرَفية من ملابس وأدوات تجميل لهواة الأناقة ومتع الطعام والشراب وما تكتمل به من الكريستال والپورسلين ناهيك عن أطباق وحلوى ومشروبات. وهى منتجات تستفز غير القادرين الذين يعملون فى صناعتها، فتكون بين أيديهم، ولا يكون لهم أن ينعموا بها. وهناك صناعة الآلات الموسيقية المرتبطة بالاهتمام الفائق بالموسيقى بخاصة والفنون بعامة.

ونظراً لأن رجال الأعمال يهمهم الإنتاج المربح فى المقام الأول، فإنهم يغفلون عن إتلاف البيئة والاعتداء على جمال الطبيعة بمبان لا تنسجم معها، ويفجرون مشكلات يضيق بها المفكرون. وقد لاحظ المشتغلون بعلم الثقافة وعلم الاجتماع تغير إيقاع الحياة على نحو متزايد، فلم يعد هادئاً مطمئناً مبتهجاً، بل أصبح صاخباً مقلقاً محزناً أيضاً، ولاحظوا التباين بين الشكل والمضمون، والأمنيات والقدرة على تحقيقها، مما غير التركيبة الاجتماعية ورج أركان التقاليد. وربما شغلهم على نحو خاص الخطر الذى تتعرض له الطبقة الدنيا، والشريحة الدنيا من الطبقة المتوسطة،

فى حركة الصعود الاجتماعى والتناحر بين القرية والمدينة.

والثقافة النمساوية لها خصوصيتها، ولكنها وثيقة الارتباط بالثقافة الألمانية فى مجموعها، وهو ارتباط لا يعنى بحال من الأحوال الذوبان فى البوتقة الثقافية الألمانية الكبيرة. والنمساويون لهم مشاركة كبيرة فى العلوم ومشاركة أكبر فى الفنون ومن بينها الأدب (١) والموسيقى، وسواء عمدوا إلى الخصوصية أو تركوا خصوصيتهم على سجيتها، فالهوية النمساوية الثقافية عنيدة فى فرض ذاتها.

هذه الرواية التى تحمل عنوان العاشقات محيِّرة ومستفزة وهادفة ومجددة وإن ارتبط تجديدها بخبرات المجددين السابقين ونزعاتهم ومدارسهم. فقد شهد تاريخ الثقافة فى عصور مختلفة حركات تجديدية تريد أن تسبق الزمن، فتنقلب على القديم ثائرة عليه، أو تحور القديم مستثمرة ما يدعم السعى إلى الجديد، فلم يكن القديم ينتهى نهايات عقيمة بل كان دائماً ينبئ بما يمكن أن يأتى بعده وكان فى كوامنه يفتح للأجيال المتعاقبة نوافذ على تراث متراكم. لم تمت فى الآداب الألمانية منذ انتقلت من العصور الوسطى إلى العصور الجديدة الإبداعات

---

(١) من المكن الرجوع إلى كتابنا «الجسر الذهبي» الذي ضم دراسات عن الأدب النمساوي المعاصر، وترجمات لمختارات من الشعر والقصة القصيرة من أعمال نحو خمسين كاتباً وشاعراً. القاهرة ١٩٩٤(المترجم)

المتتالية منذ النهضة والإنسانياتية والتنوير مروراً بحركات العاصفة والاندفاع والكلاسيكية والرومانتيكية والواقعية والطبيعية والانطباعية والتأثيرية ولم تنته محاولات اللامعقول والتداخل بين الفنون والعلوم والتجديد الثورى الجرىء [1] . بل دار الزمن بكل هذه الثمار دورته الحتمية نحو الصيرورة وألوان متجددة مستفزة مغرقة فى الابتكار المتعاظم. جديد يتولد عن قديم فى صراع مستمر قد يسمونه شجاراً.

والحق أننا مازلنا نستخدم فى تقييم أدب إلفريدة يلينك وغيرها من المجددين المستفزين مصطلحات وخبرات مما تراكم لدينا على مر العصور، فنرى فيها تأثراً بالحركة الطبيعية الناتورالية وما انبثق منها من محاولات الربط بين العلوم الطبيعية والاجتماعية وبين الأدب وغيره من الفنون. ونرى فيها استثماراً للتراث الشعبى ولتجارب اللامعقول وتجارب التمرد على ما تهرأ من القديم ومحاولات الانطلاق إلى الابتكار المتحرر من كل القيود، والانصراف عن مثاليات البطولة والأبطال، والنزول إلى ألف باء الحياة اليومية المحصورة فى الحاجات الأولية.

---

(١) يستطيع القارئ أن يجد معلومات مفيدة عن هذه الحركات والاتجاهات وأصحابها وأعمالهم في كتابنا «صفحات خالدة من الأدب الألماني»، بيروت ١٩٧٠ وكتابنا ألوان من الأدب الألماني الحديث في الشعر والقصة والمقال. بيروت ١٩٧٤ (المترجم).

إلْفريدة يِلِينِك تدرس هنا حالات ثلاث عاشقات دراسة بين العلم والفن، من منطلق العلاقات غير المتوازنة بين الرجال والنساء وما يطرأ عليها من تغيرات فى فترات الانتقال والتحول وبخاصة فى زماننا هذا، وتكتب إلْفريدة يِلِينِك دراساتها وتقاريرها وحكاياتها متداخلة، متشابكة، مستفزة.

ولا غرابة فى أن تكون الرواية فى بنائها حافلة بالمتناقضات، لأن موضوعها حافل بالمتناقضات، ولأن هذه الموضوع يتشعب إلى موضوعات حافلة بالمتناقضات أيضاً، ولكننا لا نفقد الخيط الأحمر الذى تنظم فيه القاصة عقدها، على طريقة العمل الموسيقى الأوركسترالى الذى يعيد ويزيد وينوع ويتنوع دون أن يفقد نوعاً من الوحدة تناسب زماننا المضطرب.

يلفت النظر أن الرواية تبدأ بوصف موجز لمكان جميل تكتنفه طبيعة خلابة ويعيش فيه الناس أصلاً حياة نشيطة متناغمة وصعبة مع هذه الطبيعة الجميلة البسيطة، وتقترب بنا عدسة الأديبة من مصنع اندس فى هذا المكان فخلق فيه الكثير من المتناقضات. فهو شكل يتكون من مواد صناعية تتناقض مع الطبيعة، وهو يصنع منتجات ترفية لا تمت إلى حياة الكادحين بصلة مباشرة ولا يتصور أنها تزودهم بمتطلبات حياتهم اليومية، وإنما هى ملابس نسائية غالية الثمن تنتجها عاملات من نساء القرية، وتحملها الشاحنات إلى نساء مترفات ينجذبن إليها

ويدفعن فيها مالاً غَدَقاً يندرج تحت المظاهر المترفة. هذا المصنع الذى يبدو جسماً غريباً يخلق شريحة جديدة من العاملات، الخيّاطات، اللاتى تنهمر المتغيرات والمتناقضات عليهن انهماراً. وهكذا تتضح لنا القيمة الرمزية لهذا المصنع والملابس النسائية الترفية التى ينتجها.

وتقترب عدسة الأديبة المصورة فى مواضع أخرى من الرواية من المحل الاستهلاكى أو السوپر ماركت الذى أتى إلى القرية أو البلدة الصغيرة من المدينة ببضائع وأنظمة للبيع مختلفة، فظهرت شريحة من العاملات، البائعات، انهمرت عليهن أيضاً فى دنيا الاستهلاك المتغيرات والمتناقضات، فقلبت حياتهن ودفعتهن إلى مسارات لا قبل لهن بها.

ومن البديهى أن تختار الأديبة شخصيات نسائية من هاتين الشريحتين ينتمين إلى عالم القرية الذى هبت عليه عواصف التغيير القادمة من المدينة حيث رجال المال الأذكياء يخططون ويبنون ويعدون بحياة أفضل تغرى البسطاء وغير البسطاء، ولكن البسطاء غنيمة سهلة وضحية سهلة أيضاً.

اختارت إلْفْريدة يِلينِك للرواية شخصيات بسيطة من النوع الذى عرفناه فى أدب الطبيعية والواقعية، ونزلت إلى قاع المجتمع، لتحكى قصصاً من الحياة اليومية البدائية لأناس ساذجين وجهلاء وبائسين ومكافحين فى مواقف أكبر من قدراتهم.

ولنا أن نذكر فى هذا المقام ما أبدعه أدباء الناتورالية الطبيعية الأوئل فى فرنسا وفى ألمانيا، وأن نذكر تأثرهم بكتاب كلود برنار «مقدمة فى دراسة الطب التجريبى» (١٨٦٥) الذى قلدوا مناهجه العلمية وأدخلوا تقليد مناهج الطب فى عالم الأدب فقرأنا روايات تجمع بين الفن والفنون والعلوم. وكلما اتسعت مجالات العلوم وتطورت علوم جديدة استقبلها الأدباء بشغف واستغلوها فى تطوير أدبهم وتعميقه.

مناهج علم النفس وعلم الاجتماع وعلم الجنس ودخلت عالم الأدب، فنسج الأدباء على منوالها، وألفنا أدباً يزداد ثراء، ويسعى إلى تصوير الحقيقة الواقعة أقرب ما يكون إلى الاكتمال والكمال، والتقطوا صورها الحقيقية فى بيئاتها الحقيقية، ورجعوا فيها إلى المراجع التى كانت آلة من آلات العلماء الذين يتحرون المنهج العلمى.

روايتنا هذه وسط بين التقرير العلمى وبين الإبداع الفنى. هناك علاقة بين دورة حياة البشر فى تطورها وبين دورة البيع والشراء المتمثلة فى هذه المحلات الاستهلاكية الحديثة التى تبيع البضائع الاستهلاكية ويدور بالبائعات فيها دورة مماثلة لدورة البضائع الاستهلاكية.

نقرأ فى الرواية: «وهكذا نشأت على مر السنين دورة طبيعية: ولادة، دخول، تزويج، ثم خروج، ثم وضع طفلة، تصبح ربة بيت أو بائعة، غالباً ما تصبح ربة

بيت، البنت تدخل، الأم تقضى نحبها، البنت يزوجونها، تخرج، تقفز من السُّلم، تلد هى ذاتها الابنة التالية، والمحل الاستهلاكى هو القرص الدوار لدورة الفطرة الطبيعة، فى فاكهته وخضراواته تنعكس فصول السنة، والحياة الإنسانية تنعكس فى أشكال تعبيراته العديدة، على صفحة معروضاته الوحيدة تنعكس وجوه بائعاته المتبهات اللاتى اجتمعن هنا ينتظرن الزواج أو الحياة. الزواج يأتى دائماً وحده بدون الحياة. لا تكاد امرأة متزوجة واحدة تعمل فى المحل، إلا إذا كان زوجها عندئذ عاطلاً أو مصاباً بإصابات بليغة. وهو دائماً سكير لا يفيق من السكر».

من هذا المنظور اختارت إلْفْريده يِلينِك لروايتها بنتين من الطبقة الدنيا تحاولان الصعود إلى حياة أفضل، دون إمكانات تناسب النضال فى مرحلة انتقالية عسيرة يمر بها المجتمع القاسى، وتغترف إلْفْريده يِلينِك الكثير من عناصر النقاش الذى دار ويدور - بحق - حول التمييز بين الجنسين، الذكور والإناث، فالذكور متهمون بأنهم مصممون على الهيمنة على الإناث، والإناث يعاب عليهن أنهن يسهلن على الذكور هذه الهيمنة. والطبيعة متهمة بأنها تلعب دورها فى تحقيق التذلل فى جانب والهيمنة فى الجانب الآخر.

الشخصيتان الرئيسيتان «بريجِيتّه» و«پاولا» إذن من وسط اجتماعى منخفض بائس يشبه وسط من أسماهم طه حسين المعذبين فى الأرض، إحداهن

تستطيع أن تحقق على نحو ما الحلم الذى كانت تحلم به، والثانية استطاعت بجهد جهيد وتنازلات أقسى أن تحقق حداً أدنى مما كانت تتمناه ثم أخطأت التقدير والتصرف فانحرفت وعادت إلى نقطة بداية زاد فيها العناء وتنوع.

وبناء الرواية إذا شئنا بسيط فى أساسياته المعمارية، فهو يتكون من وحدتين متوازيتين متحركتين متداخلتين، على مسارين يرسمهما القدر والمصادفة ومحاولات من البشر وضغوط من القوى الطبيعية الكونية، مسار «بريجّيتّه» ومسار «پاولا». «بريجّيتّه» و«پاولا» لا تعرف إحداهما الأخرى. وتقطع إلْفْريدة يِلينِك كل مسار إلى قطع تتنقل بينهما على طريقة «يرجع مرجوعنا إلى» وما تزال هكذا حتى تطمئن إلى أنها حققت هدفها.

وتضيف إلْفْريدة يِلينِك إلى البنتين الرئيستين بنتاً ثالثة هى «زوزانه» أو «زوزى» من طبقة اجتماعية أرفع، تستخدمها فى حدود ضيقة نسبياً لإلقاء الضوء على السمات الفارقة المميزة للطبقة الاجتماعية الأدنى.

ويمكننا أن نبسط نسيج أحداث الرواية إلى بنتين تسعيان إلى نوع من الصعود الاجتماعى عن طريق الارتباط برجلين لا يحبانهما، ولكنهما تريدان الزواج بهما بربطهما بطفل أو طفلين. وبنت ثالثة تختار خطيبها وتتنازل عن الدراسة الجامعية.

لكل وسط اجتماعى لغته؛ وهذا الوسط الاجتماعى المنخفض الذى أفرز فتية وفتيات يريدون الصعود إلى أعلى له لغته الدارجة المبتذلة الساذجة العاجزة التى تعج بتكرار أسماء الأفراد وتكرار كلمات غير محددة مثل «الشىء» و«الإنسان» و«الواحد» و«ذات مرة» و«ذات يوم» و«أيضاً»، وتكرار كلمات مفتاحية مثل: الشغل ، العمل، شغل البيت، المصنع، الغابة، تدبير المنزل، النظافة، القذارة، وكلمات أحط من المبتذلة مما يدور فى المراحيض، وما يصف به المستهترون العلاقات بين الذكور والإناث.

هذه اللغة الحية استثمرتها إِلْفْريدة يِلِينِك، فلم تأخذها كما هى، ولم تجعلها لغة الرواية، بل وظفتها فى لغتها هى وبأسلوبها هى وسيّرتها نحو هدفها الذى ترمى إليه. وهذه طريقة شبيهة بما يحدث فى عالم الموسيقى حيث يستقى الموسيقيون المبدعون من ينابيع التراث الشعبى والإبداع التلقائى ثروة من الموتيفات والنغمات والقوالب يقومون بتوظيفها فى أعمال يؤلفونها ويجعلونها تتكامل تكامل البناء المعمارى، اللغة هنا نواتها لغة نمساوية دارجة تتكلمها شريحة اجتماعية معينة، ولكنها منتظمة برغمها فى تركيب اللغة الفصيحة نحواً وإملاءً.

ويمكننا أن نقول إن هذه اللغة التى تصطنعها إِلْفْريده يِلِينِك لنفسها، تفرض إرادتها على اللغة الفصيحة الرفيعة بما تدسه فيها عنوةً من كلمات وتراكيب، وما تقولبها فيه من قوالب موسيقية

واستطيقية. وتكشف إلْفْريدة يِلينِك عن رغبتها فى التحرر من القيود اللغوية التقليدية، فتتحرر من علامات الترقيم إلا القليل وتتحرر من قوانين الإملاء الألمانية المشهورة، وتتعمد تجاهل الحروف الكبيرة التى تبدأ بها الأسماء الأعلام، كما فى اللغات الأوروبية، وتبدأ بها أسماء الأشياء والنباتات والحيوانات والجمادات والمفاهيم، وكل الكلمات التى تستخدم نحوياً أو فلسفياً استخدام الأسماء. وهذا التحرر الذى تأخذ به الكاتبة، والذى جربه غيرها من الكتاب والشعراء وعلماء اللغة والأدب فى عصور مختلفة وبخاصة فى القرن التاسع عشر، لا يسهِّل علينا القراءة والفهم، بل يصعبه. وهكذا تحيرنا لغة إلْفْريدة يِلينِك الألمانية كما تحير أهلها، تارة بقواعد ضبط صارمة، وتارة بتحرر من كل القواعد.

وتفاجئنا الكاتبة بكثرة استخدام الأسماء الأعلام، فربما جاء الاسم الواحد فى الصفحة الواحدة عشر مرات أو عشرين مرة. فالشخصيات الرئيسية والفرعية فى الرواية - كما تعرضهم يلينك - أناس لم يتعلموا فى المدارس ما يمكنهم من التعبير بلغة غنية منوعة قادرة على الوصف التفصيلى وعلى التصوير المحيط بالأشكال والألوان والأحداث. إنها لغة قليلة الألوان والأبعاد. فالشخص يعرفونه باسمه أو باسم يطلقونه عليه أو بكلمة مركبة من اسم وعلاقة، فهذه هى «أم إيريش» كلمة واحدة مركبة وهذا هو «أبو هاينتس». والأشخاص أناس بلا تحدى أو أشياء بلا

تحديد أيضاً. واللغة الدارجة الفقيرة التى يتحدث بها أبناء الشريحة الدنيا فى المجتمع تعرف هذا الاقتصاد وهذا الاختزال.

كذلك أخذت إلْفَريدة يِلينك من اللغة الدارجة الإسراف فى الحشو بكلمات أو تعبيرات بمعنى أو بلا معنى: أيضاً، وذات مرة، وذات يوم، وثم ومن بعد ومن قبل. والطريف أنها صنعت منها نغمات موسيقية تنتظرها الأذن وتحس فيها رتابة الحياة الريفية.

وهناك مواضع كثيرة تتكرر فيها الجمل مع شىء من التعديل أو بدون تعديل، وهى طريقة تذكرنا بطريقة الشعراء الريفيين الذين يتلون الملاحم الشعبية، ويستخدمون آلة موسيقية بوتر واحد أو وترين.

ونجد نوعاً خاصاً من التكرار يقوم على تلقف كلمة من نهاية فقرة واستخدامها فى الاستهلال والربط بين الفقرات المتتالية؛ فالفقرة الأولى تنتهى بعبارة فيها اسم أو فعل معين، فتجىء الفقرة التالية لتستخدمه فى سياق تال. وربما حلا لها اللعب بالاشتقاقات والتحويرات بالدلالات والاشتقاقات.

وموسيقى الكلمة والجملة مكوّن أساسى من مكونات الرواية. وقد نبهنا القارئ فى العديد من الملحوظات الهامشية إلى العديد من الظواهر اللغوية والأسلوبية والثقافية والأمثلة والشواهد.

كذلك هناك الكلمات المفتاحية التى تعبر عن الأفكار والمقاصد التى تشغل بال الكاتبة وتوردها على ألسنة أشخاص الرواية: الشغل، العمل، البيت، الملك الخاص، الآلة، الجنس، الفعلة القذرة، السكْر القمىء.

وللقارئ الحق كل الحق فى أن ينظر إلى هذه الصياغة اللغوية المتداخلة المثيرة البارعة من منطلقات مختلفة، فقد يرى فيها تعبيراً عن اصطناع السذاجة، والانتقال إلى السخرية والنقد اللاذع. فهو يحس بأن هذه الشخصيات تعيش تحت سمعه وبصره كما هى فى الواقع، ولكنها مبروزة فى برواز الأديبة القابضة على مقاليد الإبداع. فهى صاحبة موهبة فريدة فى السخرية بكل أشكالها، من الضحك مما ليس من شأنه الإضحاك، بمعنى «شر البلية ما يضحك» أو اصطناع عدم الفهم أو الفهم الخاطئ أو المعكوس.

ومن النقاد من تساءل عما إذا كان من المتوقع أن يعتبر علماء الاجتماع رواية إلْفريدة يِلينِك تقريراً اجتماعياً أو سيكولوجياً، وإن كان عليهم أن يعتبروه كذلك، ومنهم من استبعد أن يكون القصد من السخرية الاستهزاء والتمتع بمصائب الآخرين. فليس هناك شك فى أنها ترفض هذا الذى يصيب البنتين وهذا الذى يفعلانه من حماقة. وهى فى استخدامها المتكرر لكلمة الشىء أو الإنسان بمعنى الشخص غير المعرَّف، توحى بأن الشخصيات النسائية الرئيسية والفرعية ترتكب من الحماقة ما يجعلها كالأشياء، أى

إننا فى مواجهة ظاهرة «تشيؤ البشر» التى جسمها كتاب الواقعية المادية.

وما من شك فى أنها تقصد بهذا الاستفزاز الكشف عن النفاق الاجتماعى، وعما تنطوى عليه التقاليد الاجتماعية من مفاهيم بالية أو متعسفة أو بحاجة إلى إعادة النظر. هذا الاستفزاز الساخر يقصد إلى إيقاظ الوعى الأخلاقى، والوعى الاجتماعى، والوعى الإنسانى.

هذا الأدب القصصى الذى أبدعته إلْفْريدة يِلينِك والذى مدحه الحريصون على الابتكار الجرىء والحرية والتحرر فى التعبير عما يتحرج الكثيرون من التعبير عنه، وأنكره من أنكره من المتشبثين بالقديم والمألوف، أدب متفرد، يسلك دروباً غير مألوفة، ويحقق ما يرجوه محبو الفن القصصى من ارتياد المجهول.

القراء الطامحون يحبون الإبداع الأدبى الذى فيه فكرة تثير اهتمامهم وتحرك أفكارهم وموقفهم الابتكارى. ومن هنا ظهرت نوعية من الفن شديدة الاقتراب من العلوم، علم الاجتماع ، علم النفس، علم الثقافة. ليس الفن مجرد خيال ابتكارى، بل فيه جرعة كبيرة من الجرأة السياسية والفكرية والعلمية، من الاعتماد على الفكر فى معالجة مشكلات حقيقية.

موضوع الحب وتنويعاته يغلب عليه تصور الكاتبة أن العلاقة بين الرجل والمرأة يحكمها استغلال الرجا

للمرأة وركوع المرأة أمام الرجل وجريها وراءه. ولهذا فإن النغمة السائدة عنيفة وهجومية، وفيها من الكراهية أكثر مما فيها من الحب، وفيها على كل حال افتعال فنى استفزازى يستهدف شحذ الوعى.

ولا تقف يلينك فى تتبع تنويعات موضوع الحب وتقلبه بين المأساة والملهاة عند مرحلة عمرية معينة فنجدها مثلاً فى معرض الحديث عن "پاولا" تنتقل إلى الجد والجدة وما يتصل بينهما من علاقة حب تحوَّل إلى كره، وخيمت عليه انعكاسات المرض والانتقام ونوع من الترابط العائلى الذى تحكمه الضرورة والحاجة والعادة.

فى مواجهة خطاب القسوة يمكننا أن نسوق خطاب المودة والرحمة والتفاهم المتبادل الذى نستشفه بين السطور والذى يكون صورة فى الظل أو فى الخلفية أو فى مخزون الاحتمالات، فالرواية تلقى الضوء على عشق لا شأن له بالصبابة، وإنما هو اندفاع هذه البنت أو تلك إلى علاقة تحقق لها الخروج من البؤس وتكوين أسرة فى بيت خاص يكون مملكتها.

والرواية لا تخلو من فلسفة. إلفْريدة يِلينِك لا تستدرج القارئ إلى تأملات فلسفية مرهقة، ولكنها تطرح فى إطار فلسفة قريبة من عقلية الجماهير أسئلة عن الإنسان وإرادته وقدراته. وإذا لم تكن «پاولا» قد تعلمت فى المدرسة شيئاً يضىء لها الطريق فى الحياة بين الناس، فهى على الأقل قد أدرت

الضغوط التى تحد من إرادة الإنسان: «عندما تهيم أفكار «پاولا» إلى بعيد جداً، فإنها تعرج إلى القوى الطبيعية التى تعرف «پاولا» عنها أنها أقوى من الإنسان. وبنفس الطريقة التى يتصدى بها الإنسان للطبيعة، يمكن أن يتصدى الإنسان لقانون طبيعى، هذا هو ما زالت تعرفه من المدرسة."

وتترجم البنت فى واقعها الذى تعيش فيه القانون الطبيعى إلى شىء ملموس، إلى كائن من الذكور المهيمنين على مقادير الإناث اسمه فى هذه الحالة «إيريش» كذا تلاحظ «پاولا» كم هى صغيرة بالمقارنة بقانون الطبيعة. حبة تراب. حبة تراب فى الصحراء. الإنسان لا يستطيع أن يفعل شيئاً ضد قوة الطبيعة. هذا ما قاله بالأمس فيلم ثقافى فى التليڤزيون، وهذا ما تقوله «پاولا» أيضاً كثيراً.

ومسار الإنسان وبخاصة المرأة يخضع لعوامل متعددة، منها القدر والمصادفة والحظ والمعرفة الحقة والجهل والمحاولة. والإنسان فى مجتمع تحركه منظومة اقتصادية قوامها المال والمصلحة والهيمنة، فى حيرة من أمر هويته التى تتغير بتغير الظروف. والمقهور يتحول إلى بضاعة. وهذه "پاولا" فى محنتها، تبحث عن الرجل الذى قررت أن ترتبط به، فإذا هو سكير، معتوه، يعتبره زملاؤه الذين يكدحون كدح البهائم فى قطع الأشجار حيواناً من حيوانات الدرك الأسفل. أو هو شىء. وكذلك تدرك البنت أنها شىء كالفواكه والخضراوات التى يبيعونها فى الأسواق بثمن

تحدده درجة الجودة. «پاولا» لم تعد لها قيمة فى سلم درجات الجودة. «پاولا» لم يعد لها قيمة تجارية.

والمجربون ينصحون المقهورين والمستضعفين بأن يستسلموا للطبيعة ومسارها الجبار وعلى الحظ أن يدخل الساحة. ولسنا نعرف بالضبط كيف يكون الجمع بين الطبيعة وبين الحظ. وإذا كان للطبيعة قوانينها، فلا أحد يعرف قوانين الحظ. وهل للمصادفة قوانين؟ بل إن الطبيعة تحيرنا بأسرارها حول الصيرورة والفناء فى الطبيعة. هل الصيرورة تبدأ بطفل يولد، ويكبر، ويعمل ، ويعانى ، ثم يكبر ويحل محل والديه اللذين يفنيان تاركين ما بنيا واقتصرا للابن الذى يبدأ دورة شبيهة؟ هل هذا التبسيط الذى أخذ به «هاينتس» و«إيريش» هو خلاصة فلسفة تتمحور حول الإنسان؟.

وإذا لم يكن مبدأ الصيرورة والفناء ليحقق مآرب لطامحين إلى الخروج من البؤس والضعة والمعاناة والتمتع بالهيمنة والبهجة والحياة الرغدة، فهل ننظر صامتين إلى الأولاد الذين يستعجلون فناء الوالدين، ويلقون بهم إلى دار المسنين، أو إلى المجهول؟ ولا تنحصر هذه المشكلة الأخلاقية فى العلاقة بين الأبناء والآباء، بل تتجاوزها إلى مجالات أخرى منها مجال العمل حيث يتمنى الصبى المتدرج الذى تعلم يد المعلم وأصبح عاملاً أن يفنى المعلم حتى يحل محله، لأنه يحتاج إلى فرصته.

الدراسة السيكولوجية والاجتماعية ركن ركين فى بناء العمل القصصى الذى بين أيدينا. وإلفريدة يلينك تدقق فى الدراسة السيكولوجية والاجتماعية للشخصيات الرئيسية والفرعية فى ظل التطورات والتغيرات الكثيرة التى شملت البيئة والموروثات والتقاليد، وهى بطبيعة الحال تلقى الضوء على التقاليد البالية التى تقبل هيمنة الرجل على المرأة، إلى الحد الذى جعل الضرب المبرح شيئاً مألوفاً، وجعل الحامل تتمنى أن يكون المولود ولداً وليس بنتاً.

وقد استقر فى ضمائر الكثيرين أن المدينة بحضارتها أفضل من الريف وتخلفه. نجد الرؤساء والمديرين والمخططين وأصحاب الحل والعقد من المدينة، أما العمال ومن دونهم فمن القرية. والمدينة فيها الرفاهية، والقرية تخدم المدينة. ولم تجد تقاليد القرية ما يجعلها تعترض على اتجاه الريفيات إلى العمل خادمات فى المدينة، مما ينتهى عادة بمصائب، حيث يستغل أهل المدينة الريفيات المعدمات أسوأ استغلال ويظهر هذا فى المسافحة والأولاد غير الشرعيين. حالة أم «پاولا».

إلفريدة يلينك تبسط الصورة النفسية والاجتماعية: المرأة تريد بيتاً يكون مملكتها وتريد أن تكون صاحبة الأمر والنهى فيه، وهى بحسب قدراتها وحظها وشطارتها تسعى لاقتناء هذ البيت، هذا العش، ومن الممكن أن تضيع نفسها إذا لم تأخذ التقاليد فى اعتبارها. والبيت يعنى تدبير المال اللازم

لاقتنائه. وتدبير المال يعنى الشغل. أو الانحراف. أما الحب فشىء ثانوى، أو حيلة من الحيل التى يتبادل الالتجاء إليها الذكور والإناث.

والذكور يقومون بالأعمال الشاقة، وتدفعهم المعاناة إلى إدمان الكحوليات المنفرة، والشغب والخروج على الأخلاق، وقد تكون لهم مواهب وقدرات تتيح لهم احتراف عمل فنى أو مقاولات، وهنا يظهر الصراع بين المصالح والأخلاق، بين المتعة والالتزام.

منظومة أخلاقية متكاملة تحمل هذا البناء القصصى الجديد القديم. مبادئها تختلط بالمكونات الشكلية والمضمونية العديدة، ولكنها لا تراوغ القارئ بل تجذب انتباهه.

التعبيرات الساخرة التى تصف بها إلْفْريده يلينك السلوك الأخلاقى تعبر عن منظومة أخلاقية. فى حديثها عن «هاينتس» تحدد أن ما يقوم عليه سلوكه : المتعة والمنفعة. والمنفعة تصل به إلى برود إجرامى يتمثل فى الاستيلاء على أموال الأب التى وفرها فى مقابل ثمن باهظ هو تحطم غضاريف عموده الفقرى. الأب والأم يتصوران أن «هاينتس» سيستخدم أموال الأب فى توسيع البيت حتى يكون لهما فيه مكاناً ينعمان فيه بالراحة ويسعدان بالأحفاد. أما "هاينتس" فقد مكر بهما، فوسع البيت، وأخرجهما منه، ووضعهما فى دار المسنين، وضاق بزياراتهما فيما بعد.

«يقـــرر "هاينتس» فى ســـره أن مـــوضع الراحـــة المناسب للأب هـو دار المسنين بعد أن يتم تحويل المال الذى وفـره أبوه إلى خلطات أسـمنتـيـة يدخلهـا فى البناء. لابد أولاً من تحـويل المال الذى وفـرته حـيـاة فـانية إلى خـرسـانة باقيـة. «بريجيتّه» على كل حـال توافق على «هاينتس» وعلـى ما يوافق عليه «هـاينتس» لن يصلا أبداً هكذا إلى غصن أخضر هما يريدان أن يصلا إليه.

تصف إلْفْريده يِلينِك العلاقات غير المسئولة التى تلقى البنات الثلاث أنفسهن فى خضمها بأنها «قذرة»، وأن الرجلين المسـتهـدفـين لهـمـا غـايات أخـرى، فى مجتمع الأسرة، وفى مجتمع العمال ، وفى المجتمع الكبـيـر. وتكشف النقـاب عن الحـمق والسـذاجـة والاستغلال الذى يبيت الرجـلان النيـة عليـه، والذى ترتمى البنات فى مستنقعه.

ويتخذ نقد إلْفْريدة يِلينِك شرب الخمور وعواقب الإدمان شكل البرنامج. والنموذج الذى يجسد السكر هو «إيريش»:

«على «إيريش» أن يكف عن شـرب الكحـول كليـةً، لأن شرب الكحول أسوأ شىء [1] ، فهو يمس شخصياً أثاث المطبخ المطلى باللاكـيـه الأبيض وأثاث حـجـرة

---

(١) فى أكثر من موضع توجه يلينك نقـداً عنيفـاً لشـرب الخمـور واعتيـادها وإدمانها، وهى هنا تصف جانباً من مـساوئ إدمان منظور امرأة بسيطة مغرمة بالنظافة، وهذا الجانب هو القىء وما ينجم عنه من توسيخ كل شىء . (المترجم).

النوم الجديد المصنوع من خشب البندق وينصب عليه. الكحول والأثاث الجديد شيئان متضادان بحكم الطبيعة، غرماء طبيعيون. وكذلك الكحول والمرايل التى صنعت على هيئة فساتين نظيفة معتنى بها، والتى لا يصح أن يتقيأ عليها أحد، والأحذية البيضاء التى تلوح كأنها صنعت من الجلد الطبيعى وما هى من الجلد الطبيعى ولكن لا يصح على الرغم من ذلك أن يتقيأ عليها أحد، والأطفال البنات لابسات الفساتين الملونة، والنباتات فى الأصص، والتليڤزيون ومن فوقه زهرية من البلاستيك فيها زهور من المواد الصناعية، كل هذا فى ناحية والكحول فى ناحية، والستائر المصنوعة من فتائل صناعية شفافة فى ناحية والكحول فى ناحية، المنسوجات التى لا تكوى فى ناحية والكحول فى ناحية، هذه كلها أعداء فى الطبيعة التى تتلاقى فيها أعداء.

كل الأشياء البيضاء واللينة تنسجم معاً فى رأس «پاولا» أما الكحول فلا ينسجم معها. الكحول يزعج ويهدم.

المعركة بين الجنسين محور تشدد إلْفَريده يِلِينك على أهميته، وتبرز محاولة الجنس الأنثوى الانتصار فيها بما لديه من إمكانات محدودة للتدخل فى تغيير مسار القدر. وقد تنتصر المرأة انتصاراً محققاً وقد تنتصر مؤقتاً، وهذا ما يعرف بالمعركة بين الجنسين، وما تتناوله يلينك موضوعاً محورياً. ونقرأ: «صعود»

«بريجيتّه» هو نجاحُ عمل تتابع قليلاً قليلاً بجهد جهيدَ. استطاعت «بريجيتّه» مرة أخرى أن تحسم المعركة بين الجنسين لصالحها.

من المؤكد أن «بريجيتّه» ستكون فى المحل قوة عاملة بلغت الكمال وخدمة يقظة واعية.

سعادة «بريجيتّه» لا تستند إلى مصادفة، بل كان عليها أن تكافح كفاحاً عسيراً إلى أن حصلت عليه.

ولكن المصادفة ليست كل شىء:

«بطريق المصادفة أصاب «پاولا" حظٌ سىء وستعانى سقوطاً عسيراً.

بطريق المصادفة أصاب «بريجيتّه» حظٌ حسن وستعيش صعوداً عالياً سريعاً كالشهاب.

من أجل ذلك استثمرت «بريجيتّه» الكثير، كل قواها البدنية والعقلية.

من أجل ذلك استثمرت «پاولا» الكثير، كل قواها البدنية والعقلية.

«بريجيتّه» واتاها الحظ والنجاح.

«پاولا» لم يواتها الحظ والنجاح.

حظ «بريجيتّه» يرتهن بالمصادفة التى واتتها.

حظ «پاولا» يرتهن بالمصادفة التى أولتها ظهرها.

«هاينتس» له حرفة ذات مستقبل.

«إيريش» له حرفة غير ذات مستقبل، ولكن حاضرها مضمون.

«هاينتس» يعرف ما يعوّلُ عليه فى الحياة الاقتصادية.

«إيريش» لا يعرف شيئاً عما يعوّلُ عليه فى الحياة الاقتصادية. «ايريش» يعرف ما يعوّلُ عليه فى رياضة سباق السيارات للحصول على الجائزة الكبرى: سيارة سريعة.

ويتضمن برنامج إلْفريده يِلينِك الأخلاقى تعرية النفاق الفردى والاجتماعى بكل صراحة وسخرية واستنكار. «بريجيته» مثلاً تلعب لعبة الحب للحصول على هاينتس الذى تشمئز منه:

«كذلك «بريجيتّه تشمئز من «هاينتس» ومن جسمه الأبيض السمين، جسم الكهربائى، الذى اسمه أيضاً «هاينتس». وعلى الرغم من ذلك فهى أيضاً فرحانة مرة أخرى، فرحانة جداً جداً، ميتة من الفرح، لأنها نالته، فهو مستقبلها».

وبريجيته تلعب على هاينتس لعبة الأطفال تحتال بها لتربطه بها وتتصنع أنها تحب الأطفال وهى فى الحقيقة تكرههم أبشع الكره.

«الواقع أن «بريجيتّه» تشمئز من الأطفال الرضَّع. والواقع أنها تود لو استطاعت أن تكسّر عظيمات أصابعهم الرقيقة، وأن تخز فى أصابع أقدامهم الصغيرة الضعيفة شظايا الخيزران وأن تدس فى حنك الطفل الصغير القادم الجديد وقد أصبح الشخص الرئيسى خرقة قذرة بدلاً من البزازة

المحبوبة، حتى تعرف عن خبرة كيف يكون الصراخ الحقيقى».

ومجتمع القرية كما تصفه وإلْفَريده يِلينِك مجتمع يكيل بمكاييل مختلفة، فهو يتصنع التمسك بالأخلاق والشرف، ولكنه غارق فى الفساد، يرضى بالسكر والاغتصاب والعنف والانتصار للفاسدين الظالمين.

مصطفى ماهر

العاشقات

مقدمة:

هـــل [1] تعرفون هذه المنطقة الجميلة بوديانها وتلالها؟ [2]

على البعد تحدها جبال جميلة، ولها أفق، وهو ما لم تؤته مناطق كثيرة.

هل تعرفون مراعى هذه المنطقة وحقولها وغيطانها؟ هل تعرفون بيوتها المسالمة، والناس المسالمين فيها؟

فى قلب هذه المنطقة الجميلة بنى أناس طيبون [3]

---

(١) من المعروف أن اللغة الألمانية تستخدم فى الإملاء التقليدى الحروف الكبيرة على نطاق أوسع من كثير من اللغات الأخرى. والمتمردون من الكتاب والشعراء يكتبون بحروف صغيرة حتى الأسماء الأعلام، وهكذا تعمل إلفريدة يلينك في هذه الرواية.(المترجم)

(٢) لجوته قصيدة تبدأ بـ : هل تعرفون البلد الخ؟ ونحس هنا صدى هذا التراث. (المترجم)

(٣) طيبون = المقصود العكس، من أمثلة السخرية المستترة. (المترجم).

مصنعاً. سطحه المنطوى على نفسه المصنوع من الألومنيوم المضلع يشكل تبايناً جميلا [1] حيال الغابات الورقية والإبرية المحيطة. المصنع ينطوى فى المنطقة الطبيعية الجميلة.

على الرغم من أنه ليس لديه سبب يجعله ينطوى على نفسه.

كان من الممكن أن يقوم سامقاً.

ما أعظمه من خير فى أنه يقوم [2] هنا، فى هذا المكان الجميل، لا فى مكان آخر لا جمال فيه.

والمصنع يبدو عليه كأنما كان جزءًا من هذه المنطقة الطبيعية الجميلة.

يبدو عليه كأنما نما هنا .. لكن لا! عندما يتأمله الإنسان عن كثب يرى أن: أناساً طيبين شيدوه. فلا شىء ينجم بطبيعة الحال من لا شىء.

وهناك أناس طيبون يدخلون المصنع ويخرجون منه. ثم ينهمرون على المنطقة الطبيعية الجميلة كأنما كانت مِلك يمينهم.

والمصنع والأرض التى من تحته مِلك يمين الشاغل وهو مؤسسة كبيرة.

والمصنع يفرح على الرغم من ذلك عندما ينهمر عليه أناس مبتهجون، لأن المبتهجين ينتجون أكثر من غير المبتهجين.

---

(١) راجع الملحوظة السابقة (المترجم).

(٢) تكاد الرواية كلها أن تكون مكتوبة فى المضارع، الزمن النحوى المناسب للتقارير، وهو ما حاولنا الالتزام به (المترجم).

والنساء اللاتى يعملن هنا ليسوا مِلك صاحب المصنع. النساء اللاتى يعملن هنا تمتلكهن عائلاتهن بالكامل.

المبنى فقط هو الذى تمتلكه المؤسسة. وهكذا وضع يرضى الجميع.

النوافذ الكثيرة تلمع وتبرق مثل الدراجات والسيارات الصغيرة الكثيرة فى الخارج. النوافذ لمعتًها النساء، أما السيارات فغالباً ما يكون الرجال هم الذين لمعوها.

كل من نزحوا إلى هذا المكان نساء.

يعملن فى الخياطة. يشتغلن بخياطة مشدات تحتانية وسوتيانات وأحياناً كورسيهات وسليبات.

كثيراً ما تتزوج هذه النساء، أو ينتهين على نحو أو آخر إلى الضياع. ولكن طالما كن يخطن، فإنهن يخطن. وكثيراً ما تسرح نظرتهن إلى الخارج إلى طائر أو نحلة أو نبتة نجيلة.

إنهن يستطعن [1] أحياناً أن يتمتعن بالطبيعة فى الخارج وأن يفهمنها كأى رجل.

أى ماكينة تخيط دائماً غرز خياطة. وهى لا تحس فى أثناء ذلك بملل. إنها تؤدى واجبها فى المكان الذى توضع فيه.

---

(١) من مميزات اللغة الألمانية كثرة استخدام أفعال مساعدة معينة يمكن ترجمتها إلى العربية بيستطيع، يكون عليه، يجب عليه، يتمنى إلى آخره الخ، وهو ما يصبغ الترجمة من الألمانية إلى العربية بصبغة نوعية معينة. (المترجم).

وكل ماكينة خياطة تقوم بتشغيلها عاملة خياطة مدربة. وعاملة الخياطة لا تحس فى أثناء ذلك بالملل. هى أيضاً تؤدى واجباً.

لها فى أثناء ذلك أن تقعد. فعليها مسئولية كبيرة، ولكن ليس لديها نظرة شاملة ولا نظرة بعيدة. ولكن لديها فى أغلب الأحيان بيت تدبره.

أحياناً فى المساء تُقِل الدراجاتُ صاحباتها إلى منازلهن

إلى البيت. والبيوت موجودة فى المنطقة الطبيعية الجميلة ذاتها.

هنا يترعرع الرضا، وهذا ما يراه الإنسان (١).

ومن لا تحقق لها المنطقة الطبيعية الرضا، يحقق لها الأولاد والزوج الرضا الكامل.

ومن لا تحقق لها المنطقة الطبيعية، ولا يحقق لها الأولاد والزوج الرضا، يحقق لها العمل الرضا الكامل.

ولكن قصتنا تبدأ فى مكان آخر غير هذا المكان: فى المدينة الكبيرة (٢).

---

(١) الإنسان كلمة غير محددة، شخص ما غير معروف، وكأن العبارة مبنية للمجهول. كذلك نلاحظ التعبير الساخر عن الرضا الذي يترعرع والذي تقول المؤلفة إنه يُرى، والعكس هو الصحيح.(المترجم).

(٢) المدينة الكبيرة Grobstadt مصطلح معناه المدينة التي يكون عدد سكانها ١٠٠٠٠٠ فأكثر، المدينة الصغيرة Kleinstadt ٥٠٠٠–٢٠٠٠٠، المدينة المتوسطة Mittelstadt ٢٠٠٠٠ ـ ١٠٠٠٠٠ (المترجم).

هناك فرع من المصنع، أو بعبارة أفضل، هناك المقر الرئيسى للمصنع ، أما الفرع الموجود فى المنطقة دون سفح جبال الألب فهو الفرع (١) .

كذلك هنا تخيط النساء كما يحلو لهن.

إنهن لا يخطن ما يحلو لهن، ولكن الخياطة فى حد ذاتها موجودة فى دم النساء (٢) .

وما عليهن إلا أن يخرجن هذا الدم من ذواتهن.

وهذا العمل هنا عمل نسائى هادئ.

نساء كثيرات يخطن بنصف قلبهن، ونصف القلب الآخر تحتله أسرهن. وبعض النساء يخطن بقلبهن كله، وليست اللاتى يفعلن هذا خير النساء.

فى جزيرة الهدوء بالمدينة الكبيرة تبدأ قصتنا التى تنتهى وشيكاً.

وإذا جرب إنسانٌ ما قدَرَاً مقدراً ، فليس هنا.

ولو كان لإنسان قدَرٌ ، فهو إذن رجل. وإذا تلقى إنسانٌ قدَراً فهو امرأة.

---

(١) تحديد جغرافي عام للمكان الذي تجري فيه أحداث الرواية والذي لم تذكر المؤلفة له اسماً فهو مكان ما في النمسا، في المنطقة دون سفح جبال الألب في النمسا. (المترجم).

(٢) تحدد المؤلفة بعض الممارسات والأعمال والتصورات التي تعتبرها النساء "نسائية" والتي تتسبب في التعب والذل الذي يتعرضن له، ومنه هنا الخياطة، وقد ذكرت من قبل تدبير المنزل، وفيما بعد ستذكر النظافة، والتزين والتأنق والسعي لتكوين بيت مستقل، وأسرة، وهو ما يعني أحياناً الاستماتة في الحصول على زوج إلخ. (المترجم).

والحياة للأسف تعْبُر هنا على الإنسان عبوراً، والعمل وحده هو الذى يبقى. أحياناً تحاول واحدة من النساء أن تلحق نفسها بالحياة العابرة وأن تثرثر قليلاً.

إلا أن الحياة كثيراً ما تفر بالسيارة، بسرعة أكبر مما تستطيع الدراجة. إلى اللقاء!

بداية

ذات يوم قررت «بريجيتّه» Brigitte أنها تريد ألا تكون امرأة بأغلب كيانها فقط، بل امرأة بكل كيانها، من أجل شخص اسمه «هاينتس» Heinz .

إنها تعتقد أن جوانب ضعفها ستكون جديرة بالحب وأن جوانب قوتها ستتوارى تماماً.

إلا أن «هاينتس» لا يجد فى «بريجيتّه» شيئاً جديراً بالحب، كذلك نواحى ضعفها لا يجدها إلا مثيرة للغثيان.

«بريجيتّه» تعتنى الآن بنفسها من أجل «هاينتس»، فعندما يكون الإنسان امرأة ، لا يستطيع الرجوع عن سلوك هذا الطريق مرة أخرى، ويكون عليه أيضاً أن يعتنى بنفسه. و«بريجيتّه» ترجو أن يعبر لها المستقبل ذات مرة عن امتنانه لها بأن يجعلها تبدو أكثر شباباً. ربما لا يكون لـ «بريجيتّه» أى مستقبل. المستقبل يرتهن كلية بـ «هاينتس».

عندما يكون الإنسان شاباً، فإنه يبدو دائماً شاباً، وعندما تتقدم بالإنسان السن، فإن الوقت على أية حال يكون قد تأخر تأخراً مفرطاً. وعندما لا يبدو الإنسان آنئذ أكثر شباباً، فإن حكم البيئة المحيطة المجرد من الرحمة يكون: تلك عاقبة من لا يستعد بالتدبير المسبق فى شبابه مستعيناً بوسائل التجميل !

فعلت «بريجيتّه» إذن شيئاً، سيكون مهماً فى المستقبل.

عندما لا يكون للإنسان حاضر، يكون عليه أن يستعد بالتدبير مسبقاً للمستقبل.

«بريجيتّه» تخيط سوتيانات. عندما يكون على الإنسان أن يخيط خياطة قصيرة، يكون عليه أن ينتج عدداً كبيراً منها، أربعين خياطة هى أدنى حد لمعدل الإنتاج المفروض. أما عندما يخيط الإنسان خياطة أطول وأكثر تعقيداً، فإنه يكون عليه فى المقابل أن ينتج منها عدداً أقل. هذا تقدير إنسانى وعادل (١).

كان فى مقدور «بريجيتّه» أن تنال عمالاً كثيرين، ولكنها لا تريد أن تنال سوى «هاينتس» وحده الذى سيصبح رجل أعمال.

الخامة عبارة عن دانتيللا من النايلون تحتها قطعة رقيقة من الإسفنج الصناعى. والمصنع الذى تعمل فيه

---

(١) الفقرة نموذج لاصطناع السذاجة. ووصف التناسب بين الكمية ونوعية القطعة المستصنعة بالإنسانية والعدل فيه سخرية مستترة، لأن البنات اللاتي يعملن في المصنع يعانين من الاستغلال والملل. (المترجم)

«بريجيتّه» له أنصبة كثيرة فى السوق، خارج البلاد، ولَديه خياطات أجنبيات. وهناك خياطات كثيرات يخرجن من المصنع بسبب الزواج أو الولادة أو الموت.

و«بريجيتّه» تأمل أن تخرج من المصنع بسبب الزواج والولَادة. «بريجِيتّه» تأمل فى أن يخرجها «هاينتس» من هنا.

أما كل ما عدا ذلك من مخرج فهو على الأرجح موتها، حتى لو بقيت على الحياة.

ليس لدى بـ [1]مؤقتاً شىء سوى اسمها، وفى مسار القصة ستحصل «بريجيتّه» على اسم «هاينتس»، وهذا شىء أهم من المال ومِن الأملاك، فهو يستطيع أن يجلب المال والأملاك.

والحياة الحقة التى يجوز لها أن تعبر عن ذاتها عندما يسألها سائل هى الحياة بعد العمل. أما بالنسبة إلى «بريجِيتّه» فالحياة والعمل مثل النهار والليل. ولهذا فسيدور أغلب الحديث عن وقت الفراغ.

و«هاينتس» فى هذه الحالة الخاصة هو اسم الحياة. والحياة الحقة لا تحمل فقط اسم «هاينتس»، بل هى كذلك «هاينتس».

لا وجود لشىء سوى «هاينتس». بالنسبة إلى «بريجيتّه» من المحال على الإطلاق بلوغ ما هو أفضل من «هَاينتس» و«بريجِيتّه» لا تريد شيئاً يكون أسوأ

---

(١) تختصر يلينك أحياناً اسم بريجيته إلى ب واسم هاينتس إلى هـ. (المترجم)

من «هاينتس». و«بريجيتّه» تتصدى حتى اليأس بيديها ورجليها للهبوط، والهبوط هو فقدان «هاينتس».

ولكن «بريجيتّه» تعرف كذلك أنه ليس هناك من صعود بالنسبةَ إليها، ليس هناك إلا «هاينتس» أو ما هو أسوأ من «هاينتس» أو تكون خيّاطة سوتيانات إلى نهاية الحياة. وخياطة السوتيانات بدون «هاينتس» معناها من الآن نهاية الحياة.

أن تعيش «بريجيتّه»، مع «هاينتس»، أو أن تتسلخ من الحياة وتضيع، هذا أمر متروك إطلاقاً للصدفة وحدها.

وليست هناك قوانين حتمية لذلك. القدَر يقرر قدَر «بريجيتّه». ليس ما تعمله وما تكونه هو الذى يحسب له حساب، بل «هاينتس» وما يعمله ومايكونه هو الذى يحسب له حساب.

ليس لـ «بريجيتّه» و«هاينتس» تاريخ. ليس لـ «بريجيتّه» و«هاينتس» إلا عمل. على «هاينتس» أن يصبح هو تاريخ «بريجيتّه» ، عليه أن يصنع لها حياة خاصة، ثم عليه أن يجعلها تلد له طفلاً سينطبع مستقبله بدوره بطابع «هاينتس» ومهنته.

وليس تاريخ ب و هـ شيئاً سيكون، بل هو شىء وُجد فجأة (برق) واسمه حُب.

الحب يأتى من جانب «بريجيتّه». عليها هى أن تقنع «هاينتس» بأن الحب يأتى كذلك من جانبه. عليه أن يدرك هو أيضاً أنه لا يمكن أن يكون له مستقبل

بدون «بريجيتّه». لـ «هاينتس» بطبيعة الحال من الآن مستقبل، ألا وهو فنى تركيبات كهربية. إنه يستطيع أن يملك هذا المستقبل، حتى بدون «بريجيتّه». من الممكن أن يركب الإنسان وصلات كهربائية دون أن تكون ب موجودة أصلاً. بل يمكنه حتى أن يعيش! وأن يذهب ليلعب لعبة البولينج أو الكيجلن (١) بدون «بريجيتّه».

لكن «بريجيتّه» عليها مهمة.

عليها أن تبين لـ «هاينتس» دائماً بوضوح، أنه ليس له بدونها مستقبل، وهذه مهمة تتطلب جهداً شاقاً. وعليها علاوة على ذلك أن تَحُول فى صلابة دون أن يميل «هاينتس» ربما إلى أن يرى مستقبله فى غيرها. وسنعود إلى هذا الموضوع فيما بعد.

و«هاينتس» يريد أن يكون، أى أن يصبح مقاولاً صغيراً مستقلاً بمحل مقاولات صغير خاص به. سيقتنى «هاينتس» ذات مرة ملكاً خاصاً، وستحصل «بريجيتّه» على هذا الذى يقتنيه. و«بريجيتّه» تفضل أن يقتَنى لها زوجها ملكاً خاصاً فى محَله الخاص، الذى سيكون فى قليل منه محلها الخاص أيضاً.

خطةَ ألا يعرف «هاينتس» ذات يوم تلميذة فى المدرسة الثانوية من قبيل «زوزى» مثلاً! وعلى ألا يعتقد «هاينتس» ذات يوم، لا قدر اللهُ، أن إنساناً ما

---

(١) Bowling و Kegeln نوعان من لعبة تقوم على دفع كرة لإيقاع أنصاب أو أقماع من خشب أو خلافه مصفوفة على نهاية ممر التصويب. وكلمة بولينج مصرية ومتداولة بهذا المعنى. (المترجم)

سيكون أفضل مما ستكون «بريجيتّه» أبداً، وأن هذا الإنسان سيكون أفضل بالنسبة إليه.

لو وجد «هاينتس» الأفضل فلا بد من أن يتركه مرة أخرى. والأمثل ألا يعرفه أصلاً، وهذا هو الأضمن أيضاً.

عندما تقعد «ريجيتّه» إلى ماكينة خياطتها وتخز غرزاً في النسيج المطاط، وتتحسس الإسفنج الصناعي والدانتيللا المنشية بين أصابعها، والسوتيان الساحر الصغير الجديد بألوانه الموضة، تتملكها كوابيس سببها شخص ما لا وجود له قط حتى الآن، ولكن من الممكن على الرغم من ذلك أن يمر في طريق «هاينتس» على هيئة الشيء الأفضل [1].

«بريجيتّه» لا تعرف راحة البال حتى في أثناء العمل.

حتى في أثناء العمل عليها أن تعمل.

ليس لها أن تفكر في أثناء العمل، ولكن شيئاً ما فيها يفكر على الرغم من ذلك بلا انقطاع.

«بريجيتّه» لا تستطيع أن تصنع من حياتها شيئاً أفضل. المفروض أن يأتي الأفضل من حياة «هاينتس». «هاينتس» يستطيع أن يحرر «بريجيتّه» من ماكينة خياطتها، وهو ما لا تستطيع «بريجيتّه» أن تعمله من تلقاء ذاتها.

---

(١) المقصود بالكلمات «إنسان ما» و«شخص ما» و«شيء ما» : بنت أو امرأة. (المترجم).

ولكنها ليس لديها ما يضمن ذلك، لأن الحظ صدفة وليس قانوناً حتمياً ولا تتابعاً منطقياً لأفعال.

«بريجيتّه» تريد أن تحصل على مستقبلها مصنوعاً. إنها لا تستطيع أن تصنعه بنفسها.

لا أهميةَ لقصةِ تعارُفِ الاثنين، بل إن الاثنين ذاتهما لا أهمية لهما. إنهما بالضبط أعراض دالة على كل شىء عديم الأهمية.

كثيراً ما يتلاقى طلاب وطالبات يطابق بعضهم بعضاً إلا فى الجنس. وكثيراً ما يستطيع الإنسان أن يحكى عن هذه اللقاءات قصصاً مثيرة.

بل إن لمثل هؤلاء الناس أحياناً قصصًا سابقة طويلة.

وعلى الرغم من أن قصة «بريجيتّه» السابقة من المتصور أنها غير ملائمة لتكوين ثروة فى المستقبل، فإنها على الرغم من ذلك تعرفت إلى «هاينتس» الذى ستتكون ذات مرة ثروة بين يديه.

و«بريجيتّه» هى البنت غير الشرعية لأم تخيط نفس ما تخيطه «بريجيتّه»، أى سوتيانات ومشدات تحتانية.

و«هاينتس» هو الابن الشرعى لسائق مسافات طويلة وامرأته التى بقيت برضاه فى البيت.

وعلى الرغم من هذا الفارق الصارخ فقد تعارفت ب و هـ.

في هــذه الحـالـة الخـاصـة يعنى التـعـارف إرادة الهـرب، أو عـدم تـرك الشخص يفلت والتمسك.

«هاينتس» تعلم شيئاً سيفتح له العالم كله ذات مرة، تعلم حرفة التركيبات الكهربائية.

«بريجيتّه» لم تتعلم قط أى شىء.

«هاينتس» شىء، «بريجيتّه» لا شىء وهو ما يمكن أن يكونه بالضبط آخرون دون جهد. «هاينتس» لا يمكن تبديله، وكثيراً ما يحتاج إليه الناس أيضاً، مثلاً عندما يتلف خط كهرباء أو عندما يحتاج بعضهم إلى شىء من حُب. «ريجيتّه» يمكن تبديلها بغيرها، ولا يحتاج إليها أحد. «هاينتس» له مستقبل، «بريجيتّه» ليس لها حتى حاضر.

«هـاينتـس» هـو كـل شـىء بالـنـسـبـة إلـى «بريجـيـتّه»، ومـا العـمـل إلا عـذاب مـضـجـر لـ «بريجيتّه». إنسـانٌ مـا يحبك، هـذا هـو كل شـىء. إنسـانٌ مـا يحبك ويكـون بالإضـافـة إلى ذلك، وتلك هـى القمـة، شخصـاً تستطيع «بريجيتّه» أن تصل إليه. العمل لا شـىء، لأن «بريجيتّه» تملكه منذ حين، الحب أكثر من ذلك، لأن الإنسان عليه أولاً أن يبحث عنه.

«بريجيتّه» وجدت منذ حين: «هاينتس».

كثيراً مـا يسـأل «هاينتس» نفسه، مـاذا عند «بريجيتّه» من ميزات.

وكثيراً ما يفكر «هاينتس» فى أن يأخذ واحدة أخرى لديها ما تقدمه، نقوداً حاضرة أو أماكن مناسبة لمحل للعمل.

«بريجيتّه» لديها جسد.

وهناك غير جسد «بريجيتّه» أجساد أخرى كثيرة ملقاة فى السوق. الشىء الوحيد الذى يقف إيجابياً إلى جانب «بريجيتّه» على هذا الدرب هو صناعة أدوات التجميل. «بريجيتّه» لديها صدر وساقان و....(١) .

وتلك أشياء لدى آخريات كذلك، بل أحيانا من نوعية أفضل.

و«بريجيتّه» لديها شبابها، عليها أن تعطى آخرين نصيباً منه، المصنع والضجيج بداخله والحافلة المزدحمة. كلها تفترس ما تفترس من شباب «بريجيتّه».

«بريجيتّه» تتقدم بها السن وتتقلص دواماً كامرأة، والمنافسةُ يتزايد شبابُها وتزيد دواماً كامرأة.

«بريجيتّه» تقول لـ «هاينتس» إننى أحتاج حقاً إلى إنسان يتمسك بى، يكون موجوداً من أجلى، وأنا فى المقابل أتمسك به وأكون دائما موجودة من أجله.

---

(١) تلقي إلفريده يلينك الضوء بطريقتها المباشرة الجريئة على دور الجنس في محاولات الصعود الاجتماعي، وتستخدم في بعض المواضع مفردات مباشرة مكشوفة من السجل اللغوي للطبقة الدنيا ونشير إلى هذه المواضع بأربع نقط.... (المترجم) .

هاينس يقول إنه يحتقر هذه الأشياء (١).

خسارة أن «بريجيتّه» تمقت «هاينتس» كل هذا المقت.

اليوم على سبيل المثال تركع «بريجيتّه» على الأرضية الباردة أمام سلطانية المرحاض فى حديقة «هاينتس» ووالديه الشريبرية الصغيرة خارج المدينة(٢).

هذه الأرضية أشد برودة

من الحب الساخن الذى اسمه «هاينتس».

الأب سائق المسافات البعيدة غائب، و«بريجيتّه» تساعد فى الأعمال المنزلية، وهو الشىء الوحيد الذى تستطيع أن تستميل به الناس، يعنى أنها تنظف مبتهجة سلطانية المرحاض بفرشاة الوساخة. قالت قبل خمس دقائق إنها تحب القيام بهذا العمل. وهى الآن لم تعد تحب القيام به. إنها يتملكها الغثيان كل الغثيان من كل البراز الذى يتجمع طوال أسبوع فى بيت من ثلاثة أفراد (٣) .

---

(١) الكلمة فى الأصل كلمة مبتذلة (المترجم).

(٢) حدائق صغيرة على هيئة المستعمرة، كانت في القرن التاسع عشر تقام على هامش بعض المدن الكبيرة لمن يسكنون في المدينة في مساكن بلا حديقة، ويحتاجون إلى متنفس وزهور وأشجار فاكهة، ويحظر فيها بناء البيوت، ويستثنى من ذلك الشاليهات الخفيفة الصغيرة، التي ربما تحايل أصحابها ووسعوها، فكر فيها شريبر Schreber (١٨٠٨ ـ ١٨٦١) وما زالت موجودة، وهي علامة على أن أصحابها من محدودي الدخل أو صغار البورجوازيين. (المترجم).

(٣) هذه هي طريقة إلفريده يلينك المباشرة في تصوير قبول البنت الذل والمهانة لتحقيق ما تتصور أنه مكان أفضل في الحياة عن طريق الارتباط برجل تؤمن بأنه ستكون له ثروة وبيت ومحل (المترجم).

و«هاينتس» سيتزوج، إن لم تكن سكرتيرة، تلميذة في مدرسة ثانوية، فسكرتيرة أو سكرتيرة أو سكرتيرة سيتزوج امرأة تكون امرأة، امرأة حقيقية، تستطيع كما ينبغي أن تتعامل بالفرشاة وكل ما يواكبها من أحوال مقززة.

في البيت لا تساعد «بريجيتّه» في شيء، ولو فعلت لكان معنى هذا وضع رأس المال والقوى العاملة في مشروع صغير يشتغل بالخسارة ومحكوم عليه بالفشل. لا مستقبل له. لا أمل فيه. «بريجيتّه» تستثمر أفضل في شيء يمكن أن يَخرُج منه عائد. حياة كاملة جديدة.

ولما كان مخ «بريجيتّه» صغير، فإن النتيجة غير مؤكدة.

والمديرون يستعينون في نهاية المطاف بمخهم، عندما يخططون شيئاً. أما «بريجيتّه» فلم يدربوا فيها إلا أصابعها. لا شيء غير ذلك. أما من لهن أذرعة شغالة فيمكنهن العمل لثلاثة إذا اضطررن. وهن مضطرات. من أجل «هاينتس».

و«بريجيتّه» تتمسح في مقعدة والدة «هاينتس». لا تجد هنا شيئاً آخر غير نفس الوساخة التي في سلطانية المرحاض الذي تعكف على حكه. ذات مرة ستكون هذه ورائي ، وسيكون المستقبل أمامي. عليّ أولاً أن أصنع لي بعملي وضعاً يؤهلني لأن يكون لي أساساً أن أتخذ مستقبلاً. المستقبل ترف. وليس المتاح منه كثير كثرة مفرطة.

ليس المقصود من هذه القطعة أن تبيِّن شيئاً آخر سوى أن «بريجيتّه» تستطيع أن تعمل عندما تدعو الضرورة.

والضرورة تدعو.

على مثال «پاولا»

على مثال «پاولا» . «پاولا» من الريف. وحياة الريف[1] أحكمت قبضتها عليها . وكذلك على أختيها «إريكا» و «ريناته» ، وهما متزوجتان. ومن الممكن أن نسقط الاثنتين من حسابنا من الآن ، بالضبط كأنما لم يكن لهما وجود في الدنيا . الوضع بالنسبة إلى «پاولا» مختلف ، فهي أصغرهن سناً وهي ما تزال في الدنيا تماماً . عمرها ١٥ سنة. لها الآن من العمر ما يكفي لكي تفكر ملياً فيما تريد أن تصبح ذات يوم: ربة بيت أم بائعة. بائعة أم ربة بيت. كل البنات في سنها لهن من العمر ما يكفي للتفكير فيما يردن أن يصبحن ذات يوم. المدرسة الإعدادية انتهت، الرجال

(١) مشكلة حياة الريف التي تتحكم في مقدرات أهل الريف وتفرض عليهم الكثير من القيود وهي أمور تعاني منها المرأة خاصة، وتظهر في التقاليد البالية وفي اعتبار القرية دون المدينة، وحصر فرص العمل في القرية على العمل اليدوي، بينما تتركز في المدينة الأعمال التي تتطلب التفكير والتخطيط واستغلال الإنسان الريفي المظلوم والمرأة الريفية المقهورة. (المترجم).

في القرية هم إما خشابون يقطعون الشجر أو سيصبحون نجارين أو كهربائية أو سباكين أو بنائين أو يذهبون إلى المصنع أو يحاولون أن يصبحوا عمال نجارة أو كهرباء أو سباكة أو عمالاً في المصنع ثم يذهبون مع ذلك إلى الغابة ويصبحون خشابين. وستصبح البنات زوجاتهم. وصيد الحيوانات مهنة أفضل، وهم يستوردون صيادي الحيوانات من الخارج. ليس بالقرية مدرسون أو قساوسة، فليس بالقرية كنيسة أو مدرسة. كذلك المهنة الذكية التي يمارسها مدير فرع المحلات الاستهلاكية يستوردونها من الخارج، وتحت يده تعمل ثلاث نساء وبنات من القرية وصبية متدرجة [1] من القرية. والنساء يبقين حتى الزواج بائعات أو مساعدات بائعات، وعندما يُزَوجن ينتهي البيع ، ويكنَّ هن اللاتي جرى بيعهن، ويكون للبائعة التالية أن تتقدم وتشغل مكانها وتستأنف البيع، التبديل يحدث بسرعة خاطفة.

وهكذا نشأت على مر السنين دورة طبيعية: ولادة، دخول، تزويج، ثم خروج، ووضع طفلة، تصبح ربة بيت أو بائعة، غالباً ما تصبح ربة بيت، البنت تدخل، الأم تقضي نحبها، البنت يزوجونها، تخرج، تقفز من السُّلم، تلد هي ذاتها الابنة التالية، والمحل الاستهلاكي هو القرص الدوار لدورة الفطرة الطبيعة، في فاكهته

---

(١) انظر الملحوظة الهامشية رقم ٢٧ ففيها شرح لمنظومة العمالة في النمسا وألمانيا بدرجاتها الثلاث: Lehrling الصبي المتدرج (الصبية المتدرجة)، Geselle العامل (العاملة)، Meister المعلم (المعلمة). (المترجم)

وخضرواته تتعكس فصول السنة، والحياة الإنسانية تتعكس في أشكال تعبيراته العديدة، على صفحة معروضاته الوحيدة تنعكس وجوه بائعاته المتبهة اللاتي اجتمعن هنا لكي ينتظرن الزواج أو الحياة. الزواج يأتي دائماً وحده بدون الحياة. لا تكاد امرأة متزوجة واحدة تعمل في المحل، إلا إذا كان زوجها عندئذ عاطلاً أو مصاباً بإصابات بليغة. وهو دائماً سكير.

الخشاب [1] يمارس مهنة صعبة وخطيرة، كثيراً ما لا يعود منها أبداً. ولهذا فإن الخشابين يتمتعون بحياتهم إلى أبعد الحدود طالما كانوا شباباً، من سن ١٣ سنة لا تكون بنت في مأمن منهم، حيث يبدأ السباق، وتكسير القرون [2] رمزاً على الجنس، وتحدث هذه الفعلة دوياً في القرية كلها. ويتردد صدى هذه الفعلة من خلال الوادي.

وفي نهاية الصبا يتخذ كل واحد من الشباب زوجة نشيطة مدبرة في البيت. نهاية الشباب . بداية الكبَر.

---

(١) الخشاب عامل يشتغل بقطع الأشجار فى الغابة وتجهيز الخشب على شكل كتل تتحول إلى ألواح وعروق ومراين وخلافة، وعمل الخشاب يتطلب قدرة عضلية كبيرة، وهو يتعرض لمخاطر وأخطار كثيرة أشهرها قطع الأصابع بالمناشير وما إلى ذلك من حوادث العمل ، ناهيك عن الموت تحت جذوع الأشجار أو الكتل. ويرتبط بهذا العمل المنيف القاسى ما يعترى شخصية الخشاب من خروج على الأخلاق الكريمة وارتكاب موبقات فى مجال الجنس والإدمان الكحولى الخ (المترجم).

(٢) إشارة إلى تقليد شعبى قديم يتمثل فيه الصبى هيئة الجدى ويكسر قرونه على باب بيت دلالة على دوافع حيوانية عارمة لا تعرف الخوف ولا تنصاع لحميد الخلق. (المترجم)

بالنسبة إلى المرأة نهاية الحياة وبداية الإنجاب. بينما ينضج الرجال نضجاً حسناً ويبدءون مرحلة الشيخوخة وينسبون إلى الكحول أنه يحفظهم أقوياء وبلا سرطان، كثيراً ما يدوم صراعُ زوجاتهم مع الموت سنوات وسنوات، وكثيراً أيضاً ما يطول إلى أن يشهدوا صراع بناتهن مع الموت. وتبدأ النساء في كُرْهِ بناتهن ويردن بأسرع ما يستطيعون أن يجعلهن يمتن كما متن هن أنفسهن ذات يوم، ولهذا: لابد من أن يأتي رجل.

وقد يحدث أحياناً أن بنتاً لا تريد أن تموت بالسرعة التي ينبغي أن تموت بها، وتفضل أن تبقى سنة أو سنتين بائعة وأن تعيش! نعم أن تعيش! بل قد تتمنى في حالات نادرة أن تعمل بائعة في المدينة مقر الإدارة المحلية التي بها حرف أخرى، فيها القسيس والمدرس وعامل المصنع والسباك والنجار والسمكري بل والساعاتي والخباز والجزار! وصانع السجق! وغير هؤلاء وأولئك كثير. وأكثر من الكثير من وعود بحياة في مستقبل أجمل.

إلا أن القدرة على الإمساك برجل لديه مستقبل أجمل ليست متاحة بهذه السهولة. فأصحاب الحرف الأفضل لديهم ما يقدمونه مما هو أفضل، ولهذا لهم أن يطلبوا الاستجابة مباشرة، ومع ذلك لا يجوز أن يستجيب الإنسان مباشرة، لأن صاحب الحرفة الأفضل سيطلب ما هو أفضل من الأفضل، وقضي الأمر. العامل البسيط المشتغل بقطع الشجر قد ينتظر في بعض الأحيان، ولكن صاحب الحرفة

الأفضل لا ينتظر أبداً. لا تكاد تكون هناك واحدة وجدت ضالتها وعادت يوماً ما، إلا أن تكون في زيارة ومعها طفل بلا أب.

والبقية الضئيلة المتاهية الضالة منهن تأتي إلى بيت أهلها أحياناً أيضاً للزيارة لتُري أمها وأباها الأولاد وكيف أنهم ينعمون بالخير، وأن زوجها رجل طيب يعطيها المال كله ولا يشرب إلا القليل من الخمر، وأن المطبخ جديد والمكنسة الكهربائية جديدة والستائر جديدة ومنضدة الركن أيضاً جديدة والتليفزيون جديد والكنبة الجديدة جديدة والفرن الجديد صحيح مستعمل ولكنه كالجديد، والأرضية مكحتة ولكنها بعد التنظيف والتلميع تبدو كأنها ما زالت جديدة. والابنة ما زالت كالجديدة ، ولكنها عما قريب ستصبح بائعة وستشيخ بسرعة وتُستهلك. ولماذا لا يجوز أن تُستهلك البنت إذا كانت أمها قد استهلكت؟ ستُستخدم البنت عما قريب، وقد أصبحت بحاجة إلى ذلك، هيا بالرجل الأفضل الجديد، موجود هنا قساوسة ومدرسون وعمال المصنع وسباكون ونجارون وسمكرية وساعاتية وجزارون وصناع سجق، وغيرهم كثير، كثير، وكلهم يحتاجون بلا انقطاع إلى نساء ، ويستخدموهن أيضاً. ولكنهم هم لا يريدون بحال من الأحوال أن يشتروا زوجة كانت لها علاقات من قبل وأن يستأنفوا استهلاكها. لا. سيكون ذلك حينئذ شيئاً صعباً. فأين يجد الإنسان نساء لم يستخدمن من قبل، ما دامت النساء تستهلك دون هوادة؟ ليست هناك دعارة، ولكن

هناك كثير من الأولاد غير الشرعيين، وما كان للمرأة التي أنجبتهم أن تنجبهم، ولكنها أنجبتهم، وهناك من فعل بها هذه الفعلة، وفعلها بإتقان، وهاهي ذي تقف وحدها، وتقوم بنفسها بالعمل ، حتى العمل الذي يكون على الرجل أصلاً أن يقوم به، ويبقى الطفل عند الجدة التي امتلأت بكراهية أم العيال وعيالها. والمرأة المستخدمة من النادر أن يتزوجها أحد، ولو تزوجها أحد فالمستهلك الأول. وعلى مثل هؤلاء النساء أن يسمعوا طوال حياتهن: لو لم أتزوجك ، لما تزوجك أحد غيري، وكنت ستضطرين إلى أن تبحثي عن النقود من أين تدبرينها للإنفاق على الطفل، ولهذا تزوجتك في آخر لحظة على أية حال، ويمكنك أن تأخذيها مني، بعد أن آخذ أولاً لنفسي ثمن الكحول، ثم أستطيع أن أفعل بك كلما شئت دون صعوبات ما أريد، أما ابنتنا فإنني سأنتبه إلى ألا يأخذها أحد بلا رجعة ويستخدمها، سأنتبه إلى ألا تصبح مثل أمها، التي سلمت نفسها من قبل.

عليها أن تنتظر حتى يقترب منها أحدهم، ولكن لاحقا، ثم تدعه يقترب منها، ولكن لاحقاً. أما إذا فرطت في نفسها مثلك من قبل، فإنها بعد ذلك ستفرح إذا رضى بها أى رجل. ويمكن أن تفرح ابنتك لأن لها أب.

فظيع هذا الموت البطيء. الرجال والنساء يموتون معاً شيئاً فشيئاً، وإن كان الرجل يجد في أثناء ذلك شيئاً من تغيير، فهو يحرس زوجته مثل كلب العزبة من

الخارج، يحرسها في أثناء الموت. والمرأة تحرس من الداخل زوجها والمصطافات وابنتها ونقود المصروف ألا تضيع في عب الكحول. والزوج يحرس من الخارج زوجته والمصطافات والبنت ونقود المصروف لكي يستطيع أن يقص منها ما يعب به الكحول. وهكذا يموتان وعين كل منهما تراقب الآخر. والابنة لم تعد تطيق الانتظار حتى يكون لها أن تموت، والوالدان يشتريان من الآن لوازم موت ابنتهما: مفارش من التيل وفوط حمام وفوط مطبخ وثلاجة كهربائية مستعملة. هكذا تبقى على الأقل ميتة ولكن نضرة (١) .

وإلام تصير «پاولا» ؟ بائعة أم ربة بيت؟ لا ينبغي أن ننسى في هذا الخضم «پاولا» بالذات! فالموضوع هنا يدور حولها. ماذا يجري على «پاولا» ؟ هل تموت في وقت متأخر أم مبكر؟ أم تُراها لا تبدأ في الحياة أصلاً؟ تموت حالاً ؟ لا تستطيع أن تنتظر، ثم تتأخر تأخراً مفرطاً، ويأتي الطفل وتموت الأم من فورها بدلاً من أن تموت بعد الزفاف؟ لا! «پاولا» تريد أصلاً أن تتعلم الخياطة لتصبح خياطة. لم يحدث في القرية من قبل قط، أن تتمنى واحدة أن تتعلم شيئاً. ذلك أمر لا ينتهي إلى خير. والأم تسأل: ألا تريدين يا «پاولا» حقاً أن تصبحي بائعة، فتستطيعين أن تعرفي أحداً، أو أن تصبحي ربة بيت وقد عرفت بالفعل أحداً ؟

---

(١) سخرية قاسية تصور التجهيز للزواج على أنه تجهيز لموت بطيء. وهذه السخرية القاسية الناقدة لما تتعرض له الأنثى من ظلم من جهات كثيرة سمة مميزة لأسلوب يلينك. (المترجم).

وتقول الأم: لابد يا «پاولا» أن تصبحي بائعة أو ربة بيت. وترد «پاولا»: يا أمي [1] ليس هناك في الوقت الحالى مكان خال لصبية متدرجة تتعلم لكي تصبح بائعة. وتقول الأم: فاقعدي إذن في البيت يا «پاولا» وكوني ربة بيت وساعديني في شغل البيت وفي الحظيرة واخدمي أباك كما أخدمه واخدمي كذلك أخاك "جيرالد" عندما يعود من قطع الشجر في الغابة، لماذا تريدين أن تكوني أفضل مني، أنا لم أكن قط شيئاً أفضل من أمي التي كانت ربة بيت لأننا لم يكن عندنا في ذلك الوقت بائعات، ولو كان لهن وجود لقتلني أبى [2] .

وهو قال إن عليّ أن أقعد في البيت وأن أساعد أمي وأخدمه عندما يعود من الشغل وأحضر له البيرة من صاحب الحانة، ثماني دقائق ذهاباً وإياباً، وإذا أطلت عن ذلك قطمت وسطك. ولماذا تريدين يا ابنتي حظاً أفضل؟ اقعدي في البيت، هذا أفضل لك، وساعديني عندما يعود أبوك وأخوك لتوهم إلى البيت. وربما قطمنا وسطك مرة بالفعل أنا وأبوك وأخوك «جيرالد». هاللو !

ولكن «پاولا» تقول: يا أمي أنا لا أريد هذا، أنا أريد أن أتعلم الخياطة. وعندما انتهى من تعلم الخياطة،

---

(١) تكتب الفريدة يلينك الكلمات الدالة على الأب Vatter أو Vatta والأم Mutta والولد Bub والبنت Mädel بحسب اللهجة النمساوية تأكيداً لأن الأحداث تدور في النمسا. (المترجم).

(٢) جملة مقتضبة، والمعنى: إذا طلبت أن أكون مثلهن (المترجم).

أريد أن أنال شيئاً من حياتي، أن أسافر إلى إيطاليا وأن أدخل السينما بالنقود التي أكسبها بنفسي، ثم عندما أكون قد نلت شيئاً من حياتى، أريد أن أسافر إلى إيطاليا مرة أخرى، مرة أخيرة وأن أدخل السينما مرة أخرى، آخر مرة، بنقودي التي كسبتها، ثم أريد أن أبحث لى عن رجل جدع، أو أقل من ذلك، من قبيل الرجال الذين نراهم الآن بكثرة متزايدة فى السينما، وأريد أن أتزوجه وأن أنجب أطفالاً. أطفالاً أحبهم كلهم معاً، نعم أحبهم، وأريد أن يكونوا اثنين، ولداً وبنتاً. ثم إنني أريد أيضاً أن أتعاطى حبوب منع الحمل، حتى يظل الطفلان اثنين، ولداً وبنتاً، ويكون كل شيء دائماً نظيفاً لا تشوبه شائبة. ولا يكون عليّ إلا أن أخيط أكثر من أجل الطفلان ومن أجلى، وأن أبنى بنفسى بيتاً مستقلاً لنا مع زوج مجتهد.

وسأخيط للطفلين ولى كل شيء بنفسي، ففى ذلك توفير لكثير من النقود. ولن يكون عليّ أن أخيط من أجل الأغراب، فهو لن يسمح لي بذلك، لا. أرجوك يا أمى، إننى أود أن أتعلم الخياطة.

والأم تقول: إنها ستقول للأب ولـ «جيرالد». هى دخلت السينما فى حياتها ثلاث مرات على الأكثر، ولم تعجبها السينما ولم تثر اهتمامها وكانت تطيب نفساً عندما ترجع إلى البيت (١). وأنا لم أكن في إيطاليا

---

(١) هذا التداخل بين لغة السرد ولغة الحديث المباشر سمة السمات المميزة لأسلوب يلينك تجاري به اسلوب البسطاء من الناس. (المترجم).

قط، إطلاقاً حتى الآن، والتليڤزيون أمتع بكثير[1] الإنسان يرى الدنيا كلها، دون أن يود أو يضطر إلى أن يكون بداخلها مباشرة. عندما كان أبي حياً تعبت كل التعب فى خدمته، ثم تعبت كل التعب بعد ذلك فى خدمة أبيك وأخيك «جيرالد»، والآن وقد بلغتِ من السن ما يكفى لكي تتعبى معى هاأنت ذي فجأة لا تريدين، وبدلاً من هذا تريدين أن تتعلمى الخياطة النظيفة. لماذا ومن أجل أى شيء شقيت طوال حياتي إن لم يكن من أجل الأب و«جيرالد»، والآن وقد أصبح فى مقدورك أخيراً أن تشقى معى، لا تريدين. أخرجى هذا من دماغك! وسأقول للأب ولـ «جيرالد» حالاً. نعم حالاً!

والرأى عند الأب و«جيرالد» أن «پاولا» لا يجوز لها أن تتعلل بالخياطة السهلة النظيفة للإفلات بينما هما يقومان بالعمل القذر الشاق فى قطع الشجر. ولا يحق لها على أية حال أن تظن أنها تستطيع أن تفلت من

---

(١) لم تحدد يلينك تاريخ الأحداث ولكننا نتبين أنها تجرى فى زمن قريب منا، فيه بقية قوية من صراع بين الموروث وبين الجديد، زمن التليڤزيون، وسيارات السباق، وحبوب منع الحمل، والملابس الداخلية الأنيقة المصنوعة من النايلون والاستريتش، الزمن الذى اتجهت فيه شرائح من الطبقات الوسطى الدنيا إلى امتلاك بيت خاص، وأثاث جيد، ومطبخ مزود بالأجهزة الكهربائية، وكانت تقاليد الطبقة الفقيرة من المجتمع القروى الموروثة تفرض على البنت أن تشقى فى شغل البيت والغيط كأمها وأن تعمل خادمة للأب والأخ ولا تقبل أن تتعلم البنت شيئاً تبنى عليه حياتها باختيارها، ولا أن تحترف مهنة أفضل كالبيع فى المحلات المودرن والخياطة فى المصانع التى تنتج الرفاهية. (المترجم).

حنق الأب على سعيها إلى عمل نظيف، بينما اضطر الأب يوماً أن يتزوج الأم، نعم، بسببها هي، أو بالأحرى بسبب أختها الكبرى المتزوجة الآن منذ حين والتي أصبحت بمنأى عن الهجوم. كما كرهنا أمك إذن، لأنها سُمح لها بأن تقوم بشغل البيت النظيف، بينما كان علينا نحن أن نقوم بالعمل الشاق القذر، وانهلنا إذن على أمك آنذاك في غمرة السكر مراراً وتكراراً وأوسعناها ضرباً مبرحاً حتى أشرفت على الموت، ورمينا أحذية شغلنا الطويلة العريضة القذرة في وجه أمك وقذفنا بنطلوناتنا القذرة على الكنبة، بنطلونات شغلنا القذرة على الكنبة المنجدة التي كانت حينذاك جديدة، كذلك نريد أن نرمي أحذية شغلنا الطويل العريضة القذرة في وجهك بما فيه الكفاية، وأن نقذف بنطلونات شغلنا على الكنبة فيكون عليك أن تنظفيها من كل القذارة التي علقت بها. هل نسينا حنقنا الصادق النظيف عليكن لحظة؟ لا ! انظرى واعتبري! إلا في لحظة عيد ميلاد، أو ليلة الكريسماس أو حادثة عنيفة ، وتريدين أن تتعلمى الخياطة؟

ولكن «پاولا» تستمر في التطلع إلى الحياة الأفضل، أينما تلقاها، في أي مكان، في السينما أو مع المصطافين، ولكنها دائماً الحياة الأفضل التي أتيحت لآخرين فقط، وليست قط حياتها هي.

وهي تقول كذلك أحياناً: ربما تحتاجون إلى أجر الصبية المتدرجة [1]، ولا بد في نهاية المطاف أن تتعلم البائعة عملها. وفستان زفافي، فكروا في هذا الموضوع، إنني أستطيع عندما أكون خياطة، أن أخيطه لنفسي بنفسي!!! وأخيط للأم كذلك شيئاً، وللخالة وللجدة وللجميع، للجميع. وفي هذا بالتالي توفير لنقود، وأرى في أثناء ذلك في أحيان كثيرة ناساً نظيفة، وأكون أيضاً واحدة من النظيفين والنظيفات، لأنني كذلك أخيط لنفسي فساتين جديدة، يمكن أن تعجب رجلاً أفضل.

و ـ سيقول الجميع إنني نظيفة، وقد يتزوجني حتى نجار أو بناء أو سباك أو جزار! أو صانع سجق!

و ـ وتتطلع «باولا» طوال الوقت إلى الحياة الأفضل كما لو كان من الممكن أن تكون ملك يمينها ذات يوم، على الرغم من أنها لم تصنع لها.

---

(١) منظومة العمل والعمال في النمسا وألمانيا تبدأ بالصبي المتدرج أو الصبية المتدرجة وهي وظيفة لها أجر ويطلب فيها من شاغلها أن يتعلم الحرفة نظرياً وعملياً حتى إذا فرغ من هذه المرحلة، وكان موهوباً ومجداً وطموحاً كان له أن يتقدم لامتحان العامل المتخصص الذي يعمل تحت رئاسة «معلم»، ودرجة المعلم (الأسطى، الأستاذ، الأسطون) درجة رفيعة تتطلب المزيد من الذكاء والموهبة والاجتهاد، ولها امتحان صعب، ولا يجوز أن يكون هناك محل عمل قائم بذاته إلا أن يكون على رأسه معلم حاصل على شهادة المعلم التي هي أعلى رتبة في التخصص. وسيأتي في سياق الرواية في أكثر من موضع حديث عن هذه الدرجات الثلاث: Lehrling الصبي المتدرج (الصبية المتدرجة)، Geselle العامل (العاملة)، Meister المعلم (المعلمة). (المترجم)

و ـ ونظراً لأنها غير جديرة بالشغل الكثير، ونظراً لأن الأب مساءً يتوق إلى راحته، ونظراً لأنه لا يستطيع أن يُجهز عليها على الرغم من أنه يود ذلك لأنه بكل بساطةٍ مرهق إلى حد أنه لا يستطيع أن يجازف بسورة غيظ ثانية، ونظراً لأنه لا يستطيع قتلها على الرغم من أنه يود ذلك، ونظراً لأن الأمر بالنسبة إليه تافه، ونظراً لأن «پاولا» وعدت بألف شيء، من بينها أن تساعد أمها مساءً في الحظيرة، ونظراً لأن المال مال، فهذه «پاولا» في النهاية يحق لها أن تتعلم الخياطة.

و ـ ومنذ تلك اللحظة ترى «پاولا» الحياة الأفضل بعينين مختلفتين كل الاختلاف، تراها أشبه بشيء قد يستطيع الإنسان حتى أن يأخذه لنفسه، على الرغم من أن الواحدة يكون عليها أولاً أن تقصر الفستان وتضيق وسطه (١).

في الحياة الأسوأ تبدأ إذن سنوات تعليم «پاولا»، والمطلوب أن تنتهي حيث تبدأ الحياة الأفضل. والمأمول ألا تنتهي قبل أن تبدأ أصلاً بحق.

والمأمول ألا تكون الحياة الأفضل قد أصبحت من نصيب واحدة أخرى، ربما لم يعد من الممكن بالوسط المحزّق والجونيللا الأقصر أن تناسبها!

---

(١) نلاحظ تتابع أربع فقرات تبدأ بـ «و» على نحو غير مألوف في اللغة الألمانية، للتعبير عن الإلحاح. كما نلاحظ أن البنت في هذا الوسط الاجتماعي لم يكن يسمح لها بتقصير الفستان وتضييق وسطه ولبس المحزق، وهي امور مستحبة في «الوسط الأفضل». وقد أبرزتها بـ (و) في البداية. (المترجم).

ماهذا الذى يبرق هناك ؟

ما هذا الذى يبرق هناك مثل ثمار الكستنة الناضجة الملمعة، هذا السؤال سأله «هاينتس» نفسه ذات يوم فى الطريق إلى العمل. إنه شعر «بريجيتّه» المصبوغ لتوه. ما على الإنسان إلا أن ينتبه إلى ألا يطول وقت تأثير الصبغة فى الشعر عما ينبغى.

لقد ظن «هاينتس» أن ما يبرق كل هذا البريق ثمار كستنة ناضجة ملمعة، وإذا هو يرى الآن أنه شَعر "بريجيتّه" الذى يبرق كل هذا البريق. إنه يَدهَش لأن القَدَرَ تدخل.

تقول «بريجيتّه» أنا أحبك. وشعرها يلمع فى الشمس مثل ثمار كستنة ناضجة وفوق ذلك ملمعة. أحبك جداً جداً. إنه إحساس الحب، ذلك الإحساس الذى لا فكاك منه. إننى أشعر كأننى كنت دائماً أعرفك، منذ طفولتى التى انقضت منذ أمد بعيد. وترفع «بريجيتّه» نظرها إلى «هاينتس».

وكـــــذلك «هـاينتس» تملكه فى الحــــال نفس الإحساس. وعلاوة على ذلك تملكته حِسِّية سمع من قبل أنها موجودة.

شىء جديد ومفزع فى آن واحد.

«هاينتس» يريد أن يصبح كهربائياً [1]. والإنســان عندما يتعلم يصبح فيما بعد أكثر مما كان من قبل. ويكون الإنسان علاوة على ذلك أيضاً أكثر مِن كل مَن لم يتعلموا شيئاً.

تقول «بريجيتّه» إننا كلانا يحدث لنا شىء أكثر جدة وإفزاعاً مَن كل حدث لنا حتى الآن، كذلك أكثر جدة وإفزاعاً من حادثة المصنع فى العام الماضى التى فقدت فيها امرأة يدها، إنه: الحب. أنا أعرف تحديداً الآن أننى أحبك، وأنا فرحانة لأننى أعرف ذلك. ليس لى رجل آخر سواك أنت يا «هاينتس»، ولن يكون لى فى المستقبل أيضاً رجل آخر سواك. أم هل ترى هنا رجلاً آخر؟ «هاينتس» لا يرى أحداً ، وشعور الحسية يزداد قوة. ويفكر «هاينتس» هاتان الشفتان تجذباننى كل الجذب إلى سحرهما. إنهما تستدرجاننى وتعدانني بشىء. بماذا؟ «هاينتس» يفكر. الآن عرف الإجابة، إنها: الحسية.

«بريجيتّه» تقول، أنا أحبك جداً جداً، وشعرها يلمع كما تلمع ثمار الكستنة فى الشمس. شفتاها الممتلئتان مفتوحتان قليلاً كأنما تستدرجان أو على

---

(١) أن يتجاوز مرحلة الصبي المتدرج ويؤدي الامتحان ويصبح عاملاً فنياً فيتخصص التركيبات الكهربائية. (المترجم).

الأقل تعدان بشىء. ماذا؟ أنا أحبك جداً لدرجة الألم، أحس بألم روحى فى روحى، وألم جسدى فى جسمى. أتمنى أن تبقى دائماً عندى وألا تتركينى أبداً. بعد الزفاف أتمنى أن أبقى فى البيت كليةً ، وألا يكون وجودى إلا لك ولطفلنا فقط.

ماذا يساوى عملى فى المصنع بالقياس إلى هذا الإحساس بالحب؟ لا شىء! العمل يختفى ولا يبقى هنا إلا الإحساس بالحب.

«هاينتس» يريد أن يشترى لنفسه بنطلوناً جديداً على الموضة. الآن وقد أصبح محبوباً يصبح البنطلون الموضة أكثر أهمية عن ذى قبل. وكذلك يضيع للأسف كل ما اجتمع له من أجر الصبى المتدرج طوال العام المنقضى فى التردد على الديسكوتيكات آخر كل أسبوع. وهناك أيضاً تسود حسية، ولكنها أقل من الحسية هنا مع «بريجيتّه» حيث أصبحت واقعاً يقع فى حينه.

تقول «بريجيتّه» : أنا بحاجة إليك، وأنا أحبك. شعرها يبرق فى الشمس مثل ثمار كستنة ناضجة ملمعة، الحب إحساس بأن أحداً يريد الآخر. تقول «بريجيتّه» : أنا بحاجة إليك لكى لا يكون علىّ أن أذهب إلى المصنع بعد ذلك، لأننى أساساً لا أحتاج إلى المصنع بتاتاً. ما أحتاج إليه هو أنت وقربك منى. أنا أحب وأحتاج إليك.

ويمنّى «هاينتس» نفسه، ليت هذا الحب يكون جسدياً أيضاً. على أى رجل أن يأخذ كل ما يستطيع

أخذه. كذلك عليه أن يقتنى ذات يوم بيتاً جميلاً لابد أن يوفر له مالاً من قبل، كذلك لابد أن يكون له يوماً ما أولاد، ولكن لابد قبل ذلك أن يكون قد نال شيئاً من الحياة. العمل ليس كل شيء، لأن الحب هو كل شيء. هل هذا الحب يا ترى جسدى، هذا سؤال يسأله «هاينتس».

تقول «بريجيتّه»: نعم يا «هاينتس» ، هذا هو الحب. شعرها يبرق فى الشمس مثل ثمار كستنة ناضجة ملمعة. لقد أتى إلينا فجأة ،فى قلب الليل، يا «هاينتس»، من كان يفكر فى هذا؟ أنت ستكون قواماً علىّ، وستكافئنى على حبى، وستعوّضنى، أليس كذلك يا «هاينتس»؟

.. ذلك أننى أحبك جداً جداً (١) .

«هاينتس» يظل واضعاً نصب عينيه تقدُّمَه المِهَنى ودورات تعليمية ربما يكون من الضرورى الالتحاق بها. أما «بريجيتّه» فتظل واضعة نصب عين من عينيها الحب الذى هو كالمرض العضال، ونصب العين الأخرى مسكنها القادم وتأثيثه. «بريجيتّه» سمعت أن الحب يكون صحيحاً إذا كان كالمرض، «بريجيتّه» تحب «هاينتس» حباً صحيحاً خالصاً.

لا تتركنى أبداً يا «هاينتس»!

والدا «هاينتس» يضحيان تضحية كبيرة ليشتريا لـ «هاينتس» البنطلون الموضة. وهما يريدان فى المقابل

---

(١) أربع جمل قصيرة تلى كل واحد منها فقرة على طريق القرار في بعض قوالب الشعر الغنائى وقد أظهرتها بنقطتين في البداية (المترجم).

ألا تحـدث حـمـاقـات بين البنات وبين «هـاينتس».
ويقولان إنه بهذا يمكنه أن يضيع مستقبله المهنى كله.
ألم يلق الأب طول عمره من العنت ما فيه الكفاية ؟
حياة ضائعة واحدة فى الأسرة تكفى فعلاً.

المستقبل مهم بالنسبة إلى «هاينتس» الذى يريد أن يصل إلى شىء. «هاينتس» الذى لم يصل إلى شىء فى حياته حتى الآن يقول: الحياة لا تتكون من عمل فقط. والأب الذى لم يتعلم ولم يصل إلى شىء والذى تقدم به العمر يقول: أنت لم تتعلم فى حياتك حتى الآن شيئاً، ولم تصل إلى شىء، لذلك فأنت لا يمكنك أن تعرف هذا إطلاقاً.

«بريجيتّه» التى لا تريد أن تفقد «هاينتس» تقول أنا أحبكَ. الإنسان يود أن يحتفظ بما يحصل عليه، وقد يكون من الممكن أن يحصل الإنسان على أكثر مما أوتى. ربما محل عمل خاص. يمكنها أن تشترك نشيطة فى العمل ، وهو ما اعتادت عليه.

«بريجيتّه» تقول أنا أحبك. أخيراً لا يكون على الإنسان أن يعود إلى السؤال هل هذا هو الحب ، فهى متأكدة من ذلك.

«هاينتس» و«بريجيتّه» فى فزع من ضخامة هذا الإحساس. «بريجيتّه» أكثر فزعاً من «هاينتس» لأن الأحاسيس أكثر أنثوية.

المهنة أكثر رجولية. إنها لا تثير فى «هاينتس» إلا القليل من البهجة. وعلى الرغم من ذلك فهو يريد

ويستطيع أن يتقدم، ولا يهمه إلى أين. صحيح أن الحب يحدث فى «هاينتس» بهجة أشد، ولكن عليه مع ذلك أن يكون حريصاً، كى لا يعوقه مهنياً. والملابس الموضة التى سيستطيع «هاينتس» أن يشتريها من أجره، تحدث فيه يقيناً بهجة، والملابس الموضة التى سيكون عليه أن يشتريها لزوجته تحدث فيه يقيناً بهجة أقل. لهذا: الحرص!

الحب يسبب لـ «بريجيتّه» ألماً. إنها تنتظر اتصالاً تليفونياً من «هاينتس». لماذا لا يأتى هذا الـ «هاينتس»؟ الانتظار مؤلم. أنه مؤلم لأن «بريجيتّه» فى شوق إلى «هاينتس». «بريجيتّه» تقول إن «هاينتس» هو عالمها كله. لهذا فإن عالم «بريجيتّه» صغير. الحياة تلوح لها بلا معنى بدونه، والحياة لا تبدو لها ذات معنى بدرجة كبيرة، كل ما فى الأمر أن ما لها من معنى يبدو على أية حال أكثر من عملها فى مصنع السوتيانات.

عد يا «هاينتس»! إننى أحبك وإننى بحاجة إليك.

«هاينس» بحاجة [1] إلى وجود مضمون. شىء فى نفسه يقول اسع إلى أمام، هذا هو ما يقوله أيضاً والداه ذوا الخبرة اللذان لم يجاوزا حدود بلدهما حتى الآن.

---

(١) نلاحظ سمة متكررة يتسم بها أسلوب يلينك من ناحية الصنعة، فهي تبدأ الفقرة عادة بكلمة أو بتركيب انتهت به الفقرة السابقة. هنا : «بحاجة إلى»، هي بحاجة إلى كذا وهو بحاجة إلى كذا. وهذه السمة الشكلية معروفة في منظومة الهارموني في التأليف الموسيقي. (المترجم).

«بريجيتّه» ترجوه: لا تدعنى وحدى، حياتى لا معنى لها بدون حياتك.

«بريجيتّه» عليها فى تدابيرها أن تنظر كيف تنال زوجاً لا يذهب إلى الحانة. وعليها أن تدبر أن تنال مسكناً جميلاً، وأن يكون لها أولاد، وأن يكون لها أثاث جميل. ثم عليها أن تدبر ألا يكون عليها أن تخرج بعد الزواج للعمل. ثم عليها أن تدبر قبل ذلك أن يتم دفع أقساط السيارة بالكامل. ثم عليها أن تدبر أن يكون فى مقدورهما أن يقضيا إجازة جميلة كل سنة. ثم عليها على أية حال أن تدبر أمرها على ألا تضطر إلى عدم الحصول على شىء (١) .

الإنسان يحيا مرة واحدة هذا ما تقوله أم "بريجيتّه" التى كانت هذه الحياة مرة واحدة بالنسبة إليها أشق وأطول مما ينبغى لأنها ظلت بلا زوج.

أما حياة «بريجيتّه» الواحدة فهى ممتلئة كل الامتلاء، لأنها مليئة بـ «هاينتس». شعرها يلمع مثل ثمار كستنة ملمعة فى الشمس. بل إن «بريجيتّه» غلبتها هذه الحياة التى هى بفضل «هاينتس» أكبر من مقاسها بنمرة. أما عملها فلم يغلبها لأنه على وتيرة

---

(١) كذلك نلاحظ فى الإطار نفسه تكرار اسم أو فعل أو صفة أو ظرف أو مجموعة لفظية عدة مرات فى الفقرة الواحدة فى سعى منها إلى تحقيق الهدف المضمونى والشكلى بأقل عدد من الكلمات، وإظهار براعة فنية فهذا النوع من التعبير الذى نلاحظه أيضاً على كثير من الناس فى أحاديثهم العادية. هنا كلمة «تدبير» ، وبعدها «مرة واحدة» ثم «غلب» ثم «وصل» إلخ. (المترجم).

واحـدة. وهذا هـو «هاينتس» على العكس من عـملهـا غالب.

مـــا يـزال على «هـاينتس» أن يصل إلـى شىء فـى الحـيـاة، قـبل أن يكون لهْ أن يفـكر فـى أسـرة مـجـرد التفكير. «بريجيتّه» تريد أن تصل إلى «هـاينتس» الذى ينبغـى أن يصلَ إلى شىء من أجلها ، لأنه له مستقبل. ومستقبل «هاينتس» فـى مـجال الكهرباء الذى يعمل هو فيه. ومستقبل «بريجيتّه» فى «هاينتس». المتخصصون المتمكنون بضاعة نادرة.

تقول «بريجيتّه» لـ «هـاينتس» رباه كم أحبك.

ويرد «هـاينتس» وأنـا كذلك أحس نفس الإحسـاس. أبوه سـائق المسـافـات البـعـيـدة يتـحـسس غـضـاريف فـقـرات عـمـوده الفـقـرى لأنه سـائق مـسـافـات بعـيـدة، وعـمـا قـريب سيكون سـائق مـسـافـات بعيـدة سـابقـاً، عندمـا لا تتصاع غضـاريف الفـقـرات لمحاولته التـحكم فيها. سائق المسافات البعيدة يعتقد أن «بريجيتّه» لا شىء وأنهـا لا تمتلك شـيـئـاً. وهـو يعتقـد أن «هاينتس» سيصبح شيئاً وأنه الآن يملك شيئاً: ألا وهو الموهبـة والمداومـــة والاجـتـهـــاد. لا تخـــيـب رجـــاء أبيك يـا «هـاينتس»! إنـه يعـتـقـد أن فـى مـقـدورك وأن لك أن تطالب بتطلعات.

أحـسن شىء هـو أن يبـحث «هـاينتس» عن امـرأة لديهـا مـال، لكى يستطيع عـمـا قـريب أن يسـتقل وأن يكون له محله الخاص. أما الوجوه الجميلة مثل وجه

«بريجيتّه» فكثيراً ما تضلل. فيهن يكمن التدهور
ـهـنـى. أبـوا "هـاينتس" يـريدان لـه الأفـضل.
"بريجيتّه" يقيناً ليست هى: الأفضل.

«بريجـيتّه» تقـول: أنا أحـبك جـداً جـداً. شـعرى
للامع البراق يدعم حـبى. ومـا يدعم حـبى أيضـاً:
ـهنتك التى لها مستقبل. وما يدعم حبى علاوة على
ذلك: أنا نفسى، أنا التى لا أملك شيئاً إطلاقاً.

والدا «هاينتس» يريدان أن ينظر «هاينتس» إلى ما
هو أصيل، فما شعر «بريجيتّه» بأصيل. إنه مصبوغ.
وما زال «هـاينتس» أصغـر سناً جداً من أن يستطيع أن
يعرف ما هو أصيل، عندما يراه. معرفة الأصيل من
اختصاص الوالدين اللذين شغلا به طوال عمرهما.
الأب يشعر أن غضاريف فقراته لابد أنها أصيلة جداً
جداً، فى مقدور هاينتس أن يطالب بمطالب قد تعلّم
من أجلها حرفته.

كذلك «بريجيتّه» تحب جداً مـا هو أصيل. تحب
«هاينتس» الرجلَ الأصيل، مثلاً، ثم سجاجيد أصيلة
ومجموعة مقاعد أصيلة وباراً منزلياً صغيراً.

وما يزال «هاينتس» يريد أن ينال من حياته نصيباً.
وما يزال «هاينتس» يستطيع أن ينال من حياته نصيباً
طالما أقام عند والديه ووفر نقوداً. وهو علاوة على
ذلك ما يزال أصغر سناً جداً من أن يرتبط بالزواج
مبكراً. «بريجيتّه» التى يلمع شعرها اليوم ويبرق مرة
أخرى حتى إنه ليؤذى عيون الناظرين تحب «هاينتس»

جداً جداً إلى حد أن شيئاً فيها سيتحطم إذا رماها «هاينتس». تقول أحبك على طريقة محبيها المفضلين فى السينما والإذاعة والتليفزيون والأسطوانات. «هاينتس» يقول لا أعرف إن كان هذا يكفى لحياة كاملة، الرجل يريد أن ينعم بنساء كثيرات. الرجل مختلف.

تقول «بريجيتّه» وأنا أحبك لهذا السبب، لأنك رجل. أنت رجل يتعلم مهنة، وأنا امرأة لم تتعلم مهنة. ولا بد من أن تكفينا معاً مهنة واحدة. وستكفينا فى سهولة ويسر لأنها مهنة كبيرة، جميلة، جداً. تقول «بريجيتّه» لا ينبغى لك أبداً أن تتركنى، وإلا مت.

ويقول «هاينتس» الإنسان لا يموت بمثل هذه السرعة. كان الأحرى بك لهذا أن تعتمدى على رجل يكسب أقل مما سأكسب أنا يوماً ما.

إلا إننى أحبك بالذات لأنك تكسب أكثر من رجل يكسب أقل.

ثم إن «بريجيتّه» تحب «هاينتس» لأن هذا الإحساس كامن فيها ولا تستطيع أن تتصدى له. انتهينا.

شعرها مثل ثمار كستنة نفيسة ملمعة.

يقول «هاينتس» سأفكر فى ذلك حتى الغد. هكذا يفعل الناس فى الحياة الاقتصادية الحديثة التى أعرفها جيداً.

وتجيب «بريجيتّه» إننى أحبك جداً جداً. غدا هو المستقبل، وأنا ليس لدى مستقبل.

يقول «هاينتس» وأنا لست لك على أية حال.

وأنا لهذا السبب لا أتمنى أن أكون مثلك.

ويستمر مثال «پاولا» السيئ

وهذا هو مثال «پاولا» السيئ يزحف شيئاً فشيئاً بالتبادل مع مثال«بريجيتّه» الطيب.

عندما يكون الليل ما يزال مخيماً يزحف مثالُ «پاولا» شيئاً فشيئاً إلى البلدة المجاورة التى تكاد تكون قد أصبحت مدينة حيث يكون على الإنسان لهذا السبب أيضاً أن يتعلم مهنة يمكنها فى بعض الظروف أن تغير حياة بأكملها، هى مهنة: الخياطة.

فى البلدة المجاورة يتعلم الناس أيضاً أشياء لا ضرورة لها قد تؤدى بالإنسان إلى الطريق المعوج ألا وهى: الذهاب إلى السينما والمقهى.

وكثيراً ما حذر البعض «پاولا» منهما.

جميل جداً أن يجلس الإنسان فى مقهى.

وكأن الإنسان قد أتى إلى الدنيا من أجل شىء جميل. بينما أتى الإنسان إلى الدنيا من أجل شىء لا

جمال فيه: حياة زائفة اسمها شغل البيت تلتصق بالإنسان إذا أخطأ ودس يده فيها.

و«پاولا» تعمل فى المنزل من أجل أهلها الذين تدين لهم بهذه الحياة الزائفة.

هل يدهشن أحدٌ عندما يجيش فى «پاولا» حنين؟

وفى الأتوبيس يركب علاوة على ذلك كثير من الأطفال يذهبون إلى المدرسة، وكثير من النساء يذهبن إلى الجزار وصانع السجق! أو إلى القرافة.

لا يركب رجل دون السبعين الأتوبيس، اللهم إلا إذا كان مسجلاً فى سجل المرضى. ومن كان مريضاً بصفة رسمية لا يجوز له ركوب الأتوبيس الذى يتيح له نوعاً من المتعة، وكل لون من ألوان المتعة يبلغه الوشاة فوراً إلى رئيس العمال. ولهذا السبب فكل رجل تحت السبعين فى الأتوبيس يرتكب فيه عملاً غير مشروع. ذلك لأن الرجال تحت السبعين فى وضعهم القانونى السليم تقلّهم سيارة چيپ عالياً إلى الغابة الكثيفة.

وربات البيوت فى الأتوبيس يعلنّ «پاولا» بصوت كورالى واحد أنها واحدة منهن.

و«پاولا» فى سرها تعتقد أنها فوق مستواهن.

ربات البيوت فى الأوتوبيس يكاشفن "پـــاولا" صراحةً بأنها ليست شيئاً أحسن منهن.

وترد «پاولا» هناك فوق كل شىء الحب الذى هو

حسن شيء. «پاولا» أحسن منهن لأنها ستنال حباً في سميم ذاتها عندما تجيء اللحظة المناسبة. «پاولا» ادئ ذي بدء أحسن منهن بسبب الخياطة، ثم إنها بعد لك ستسمو بالحب وتشرُف. سيحل الحب محل لخياطة. وأنا فرحانة من الآن على حالي هذه.

«پاولا» تحكم قبضتها على حقيبتها الجلدية لصغيرة التي هي أحسن من شنط نظيراتها لمصنوعة من البلاستيك. النساء الأخريات يحكمن قبضتهن على معرفتهن بالرجال وهي معرفة لم تؤتها «پاولا» بعد.

من الممكن أن يكون الرجال خنازير، ولكن العكس أيضاً صحيح. ما هو عكس خنزير؟

من أجل هذا يقوم الرجال طوال الأسبوع بأعمال شاقة. يوم السبت هو يوم القهر الكبير. يومئذ ترتعد القرية كلها من ضرب الركب والظهور ولمس الأكتاف.

«پاولا» ترتعد عندما تسمع هذا الكلام، سيكون الحال عندها مختلفاً تماماً. أفضل.

ويستطيع الإنسان بعد ذلك مباشرة أن يلعق جروحه مع شرب القهوة ومشاهدة التليڤزيون. نعم، مشاهدة التليڤزيون. برنامج بعد الظهر. عند مشاهدة فيلم كارتون هزلي لا يفهم الإنسان إلا نصفه لأنه سريع الحركة، ينسى كل ألم أسفل البطن ما وخز.

أما إذا أصر الألم في أسفل البطن على أن يطل برأسه مثل الدودة التي تطل برأسها من التفاحة،

يكون الوقت قد فات، والمثل السائر القديم يقول وُلدت النساء للألم والرجالُ للعمل: شىء عض فى جسم الآخر واستقر فيه مخرباً كالدخيل الفندالى [1]، يعيش عليه ويتغذى منه، ويسمون ذلك التكافل المعيشى.

كذلك عاجلت نساء الأوتوبيس «پاولا" » بمعلومة عن آلام الوضع الشافية. السبق كبير، ولكنه لا يستعصى على الاستعواض. أحاديث كثيرة تتردد من خلال الهواء العطن وتتناول الآلام عموماً، الآلام المرضية الناجمة عن جر الأحمال الثقيلة، العمليات الجراحية، الروماتزم، الفتق، اللومباجو، الكاتاراكت، أو السرطان. ومن بعدها يدور النقاش حول آلام الولادة الشافية، التى تجعل المرأة مرة بعد مرة أكثر قدرة. ويلحق بهذا النقاش فى الحال دون تمهيد الفرحة الكبيرة بالولادة التى تجر وراءها الفرحة الكبرى للنفاسة.

وتتعلم «پاولا" » ضحية الحرف اليدوية: الخياطة. تستطيع الآن أن تخيط مريلة. شغلها بطىء، ولكنه مقبول. عملية التقليب فى الأقمشة تُشعر «پاولا» بالبهجة. ولكن فى حالات كثيرة عندما تكون «پاولا» منهمكة فى خياطة صعبة معقدة، يدس الحب رأسه القبيح من خلال الأشياء. وحيث إن «پاولا» فى فترات الفسحة تلم بالمزيد من المعرفة بالحب، غالباً عن

---

(١) يضربون بالفندال Wandalen ، وهم أمة جرمانية قديمة، المثل في الشراسة والعنف والتخريب. (المترجم)

طريق مجلات مصورة، فإنها أصبحت تعرف فى أثناء العمل ما يجرى بين الرجال والنساء. وهى على أية حال أشياء جديدة ومختلفة عما سمعت من قبل طول عمرها. ما سمعته من قبل طول عمرها هو ما سمعته «پاولا» من أسرتها ومن صديقاتها. ماذا يمكن أن يتوقع الإنسان سماعه من هؤلاء السفلة! ولو تضامنت «پاولا» مع نساء أسرتها، المنحطات المسكينات، لاعتراها الجنون! ولهذا تفضل "پاولا" التضامن مع أفضل صديقاتها. مع «أوشى جلاس» أو مع صديقتها المفضلة التالية، الحسناء الشقراء زوجة مغنى الأغنيات الرائجة الجميل الأسود (الأسود الشعر).

فى فترات الفسحة تمتص «پاولا» الحب حتى تمتلئ حباً، وفى أثناء العمل تتقيأ كل شىء. لا بد أولاً وقبل كل شىء آخر أن يكون الحب نظيفاً وحسياً. وهذا ما يضايق «پاولا»، كشوكة فى العين كما يقولون. كيف يمكن أن ينمو الحب ويترعرع فى محيطها المنافى للنظافة وللحسية، نعم كيف؟

ما الذى ينشأ فى داخل إنسان ما عندما يتصور شيئاً لا وجود له فى واقعه؟ إجابة صحيحة: تنشأ أحلام قوامها هذه التوليفة السيئة.

«پاولا» تحلم مثل كل النساء بالحب.

كل النساء، وكذلك «پاولا»، يحلمن بالحب.

الكثيرات من صديقاتها القديمات فى المدرسة، والكثيرات من زميلاتها الحاليات فى العمل، يحلمن به

كذلك، إلا أن كل واحدة منهن تؤمن إيماناً راسخاً أنها هى وحدها التى ستنال هذا الحب بالذات.

فى أثناء قيام البائعة بالبيع، فى مهنة النجوم، يجد الحب مائة مرة فى اليوم الفرصة والحظ للدخول. ولكن المحل لا يدخله على الدوام سوى ربات بيوت مع أطفال، ولا يدخله الحب أبداً. وربات البيوت الداخلات اللاتى عرفن الحب فيما مضى من زمن بعيد، يشفقن على البائعات ويحتقرنهن لأنهن يضطررن للبيع، وليست أجملهن هن اللاتى يتبعن الحب، بل الأطفال ومصاريف البيت التى تأتى من الرجل وتعود جلها إليه، يستطعن أن ينعمن بالحب. النساء المصونات يحتقرن غير المصونات.

والبائعات يكرهن فى المقابل ربات البيوت لأنهن خرجن من كل شىء، بينما هن لا يزلن فى داخل صراع التنافس الحاد، ويضطررن أن يشترين بدلاً من الأثاث المدهون باللاكيه المزيد من الجوارب النايلون والبلوفرات والجونيللات المينى چيب - على اعتبار أنها بضائع استثمارية.

نعم ، إنها تذهب إلى المال!

هناك حركة كراهية عامة فى البلدة تنتشر متزايدة من حولها وتنتقل كالعدوى إلى كل شىء ولا يوقفها عائق، النساء يكتشفن عدم وجود شىء مشترك بينهن، وأن ما بينهن ليس سوى أشياء متضادة اللاتى حصلن على شىء أحسن بناء على ميزات جسدية، يردن

الاحتفاظ به وإخفائه عن الأخريات، والأخريات يردن أخذه منهن أو أخذ شيء أحسن منه. هناك كراهية واحتقار.

ولقد وضع حجر أساس هذه الحركة من قبل فى المدرسة. أن يخطر ببال «پاولا» أصلاً أن تقارن الحب بزهور وبراعم وحشائش وأعشاب، كل هذا يرجع إلى أيامها فى المدرسة.

أن تربط «پاولا" »الحب بالحسية فتلك نتيجة من نتائج المجلات التى أحبت قراءتها. ولقد سمعت «پاولا» كلمة جنسية ولكنها لم تفهمها تماماً.

ألا يكون للحب إلا صلة بعمل ما، ذلك ما لا يحلو لأحد أن يقوله. و«پاولا» تعرف كل المعرفة كيف يلف الطفل باللفة وكيف يغذّى. ولكن "پاولا" لا تعرف كيف يتم منع الحمل.

و«پاولا» تعرف يقيناً عين المراد، ألا وهو الإحساس وحده.

وتنتظر «پاولا" » أن يقع عليها الاختيار، وذلك هو عين المراد. عين المراد هو أن يختارها الرجل المناسب.

و«پاولا» لم تتعلم قط أن تقوم هى ذاتها وحدها بالاختيار والتحديد. «پاولا» تعيش خبراتها بكل الأشياء فى الصيغة السلبية، لا فى الصيغة الإيجابية. أقصى ما عاشته «پاولا» من خبرة هو أنها يمكنها أن تقول لا. ولكن لا ينبغى أن يسرف الإنسان فى قول لا، وإلا فإن الإنسان يكون ذات مرة قد أفرط فى قول لا،

فتمر السعادة فى المستقبل عابرة ولا تدق جرس الباب بعد ذلك.

و«پاولا» تذهب أحياناً إلى حلبة الرقص عندما يقام حفل. أحيانا تجد «پاولا» رجلاً مخموراً من زوار حلبة الرقص يجرها مرة أخرى إلى الغابة، وهو شىء لا يصح أن يراه أحد، لأنه يؤدى إلى الحط من قيمتها فى السوق تواً إلى حضيض وضيع لا قاع له.

ثم تجد «پاولا» الرجل يمد يده إلى صدرها، أو قد يمد يده على أسوأ الأحوال إلى موضع حساس ....

ولقد علموا «پاولا» تقييم الشخص الذى يمد يده هكذا.... هل هو شخص له مستقبل أم ليس له مستقبل.

هل هو شخص له مستقبل أم حيوان شغل؟

إذا كان حيوان شغل فلا يمكن أن يصبح بختاً لـ «پاولا» تعلَّم مخ «پاولا» أن يعمل فى هذه الحالات مثل الكومپيوتر. هذه هى النتيجة التى وصل إليها: متزوج وله طفلان.

يلى ذلك دفع إلى بعيد، سباب، صراخ، وأحياناً يتبعه ترنح المخمور المغرر ووقوعه أرضاً.

قد يتبع ذلك انبطاحه واستسلامه ونعاسه حتى يتلاشى أثر الكحول.

وأحياناً ينقلب المذكور أيضاً إلى شخص فظ غليظ شرس.

لا يكفى إذن أن يستسلم الإنسان للحب ببساطة دون تشغيل المخ عندما يقرع الحب الباب، بل لابد من أن يحسب الإنسان حساب الحياة القادمة التى تأتى أحياناً فيما بعد.

لابد من أن يحسب الإنسان حساب المستقبل الذى لايزال أمامه.

والمستقبل هو دائماً الآخَر، إنه يأتى من الآخَر. والمستقبل يتنزل على الإنسان مثل ضربة البَرَد. والحب إذا أتى أصلاً يلم بالإنسان كالجو العاصف. وهو فى أسوأ الأحوال لا يأتى مطلقاً. أما الخِياطة فهى عمل على الإنسان أن يعمله بنفسه.

«پاولا» تشرع إذًا فوراً فى التفكير، فى البرمجة، عندما يلمسها أحد. وكثيراً ما يتملكها الغثيان فى هذه الأثناء على عكس البرنامج تماماً. فليحيا الغثيان! ولكنها تعود فتكبته تواً. عسى الا يشتد بـ «پاولا» الحماس مرة فتكبت معه الحب على سبيل الخطأ!

فى وقت مبكر تعلمت «پاولا» أن تعتبر جسمها وما يحدث له كأنه شىء يجرى على شخص آخَر لا عليها هى. على جسم يشبه أن يكون جسماً ثانوياً، «پاولا» ثانوية.

كل المادة الناجمة عن أحلام «پاولا»، كل الحنان من شأن جسم «پاولا» الرئيسى، والضرب الذى يأتى من الأب يصيب الجسم الثانوى. وعلى الأم التى لم تتعلم

قط أن تتخذ لنفسها جسماً ثانوياً، أن تتلقف كل شىء بجسمها الرئيسى، ولهذا استهلك وذوى.

على الإنسان أن يعرف كيف يساعد نفسه. لابد من أن يستطيع أن يساعد نفسه على أى نحو. إذا لم يكن للإنسان أن يأخذ لنفسه شيئاً، سوى العمل، إذا كان الإنسان يؤخذ فقط دائماً ، فلابد من أن يعرف كيف يساعد نفسه.

عندما تتكلم النساء عن أزواجهن يقلن (بالألمانية) [1] meiner MEINER. يقلن فقط meiner . ولا يزدن عليها شيئاً، لا يقلن زوجى، بل يقلن meiner . ربما عند الحديث إلى أجنبى يقلن: زوجى. أما عند الحديث إلى أحد من الناس هنا يقلن: meiner. تلاحظ «پاولا» ابتسامة الانتصار على شفتى أمها أو أختيها عندما يقلن: meiner. إنها الفرصة الوحيدة التى ترسم المقهورات على أفواههن ابتسامة انتصار.

إنها تتمنى أن تستطيع هى الأخرى ذات يوم أن تقول عن أحدهم : meiner. و«پاولا» لا تقول أبداً عن الخياطة التى تمارسها: عملى. و«پاولا» (لاتقول) عن عملها أبداً meine . ولا تقول ذلك حتى بينها وبين نفسها، فى داخلها. العمل شىء منفصل عن الإنسان، العمل هو فى أكثره واجب وهو لهذا يجرى فى الجسم الثانوى.

---

(١) شكل من ضمير الملكية ، ليس له مقابل في العربية، ومعناه : الذي لي. له مقابل تقريبي في الفرنسية le mien والإنجليزية mine إلخ (المترجم).

أما الحب فهو بهجة، ارتياح، ولهذا يحدث فى الجسم الرئيسى.

والعمل، حتى عندما يحب الإنسان أداءه، عناء يعانيه الإنسان. ولقد تعلمت "پاولا"، على الرغم من كل حبها للخياطة، أن العمل شىء مزعج يصد الحب، لا يجلبه.

فى دماغ «پاولا» لن يستطيع أن يقيم النظام إلا آلة خلط الخرسانة. فى كل الحب الجسدى وفى كل الحب العقلى لممثلات السينما ومغنى الأغانى الرائجة ونجوم التليڤزيون.

«پاولا» تتلقى فقط، ولا تستوعب. مثل قطعة إسفنج لا تُعصر لتفريغها. قطعة إسفنج امتلأت بالكامل، يتسرسب منها كل الزائد على نحو أكثره من شأن المصادفة. ما سبيل «پاولا» يا تُرى إلى أن تتعلم شيئاً ؟»

عن طريق التعرض للضرر طبعاً.

فمن خلاله يتعلم الإنسان الفطنة.

كذلك تشمئز «بريجيتّه» من «هاينتس»؛
كذلك «بريجيتّه» تشمئز من «هايتس» (١)

كذلك "بريجيتّه تشمئز من «هاينتس» ومن جسمه الأبيض السمين، جسم الكهربائى، الذى اسمه أيضاً «هاينتس». وعلى الرغم من ذلك فهى أيضاً فرحانة مرة أخرى، فرحانة جداً جداً، ميتة من الفرح، لأنها نالته، فهو مستقبلها.

هل لكُنَّ مستقبل؟ كوّنَّ جملةً كاملة: مستقبلى اسمه «إدى». ويكون على «بريجيتّه» أن تخرج وحدها أحاسيسها مستعينة بقوتها العضلية. دون الاستعانة بمُعين تقنى.

لا غرابة فى أن المطلوب منها فوق طاقتها.

«هاينتس» يستخدم قوته العضلية ليبنى لنفسه مهنة.

---

(١) التكرار مع تغيير مكان الفعل تقديمًا وتأخيرًا فى الأصل (المترجم).

«هاينتس» لديه أيضاً ذكاء، وهو عنصر يضاف أيضاً إلى قوته العضلية.

«بريجيتّه» لا تعوّل على قوتها العضلية لكى تستطيع بها بناء مهنة لنفسها، «بريجيتّه» تستطيع الحب فقط ولا شىء غيره.

ذات يوم تأتى أخت «هاينتس» للزيارة ومعها رضيعها وطفلها الصغير. «بريجيتّه» تحمل حملاً ثقيلاً من فناجين وأطباق الجاتوه وما يتبعها من جاتوه، وتتعثر بها هنا وهناك. أم «هاينتس» (١) تود أن تخفى «بريجيتّه» عن الناس، ربما فى حوض زهور الهورتنسيا (٢) الكثيفة؟! لأنها لا عمل لها إلا أن تخيط على خط إنتاج السوتيانات، على الأقل ٤٠ قطعة هى أقل عدد فى الإنتاج المفروض إنجازه. «بريجيتّه» تريد بأى ثمن أن تنتمى إلى هذا الذى يجرى هنا الآن، تريد أن ترسخ مستقبلها من الآن فى الحاضر ترسيخاً لا يستطيع أحد أن ينتزعه منها.

أم «هاينتس» بطبيعتها طيبة القلب، إلا أنها ترى مستقبل «هاينتس» فى «هاينتس» وحده، فى «هاينتس»

---

(١) تصنع يلينك من كلمتى أم و هاينتس كلمة واحدة مركبة هى heinzmutter ممكنة فى اللغة الألمانية ولكنها غير مألوفة إلا للتعبير عن معنى الالتحام والتحول إلى كائن له اسم خاص. (المترجم).

(٢) الهورتنسيا نبات منتشر فى بلاد كثيرة منها النمسا وألمانيا، موجود فى مصر أيضاً، له زهور بيضاء وحمراء وزرقاء تزدحم حول ما يشبه العناقيد، وهو نبات كثيف يمكن أن يتوارى الأولاد فيه أو يخفى فيه البعض أشياء صغيرة وكبيرة. (المترجم).

وفى البيت المأمول والذى سيتمكن من بنائه من أجل ماما وبابا، و أخيراً وليس آخراً من أجل نفسه، يموله وحده من عائد محل مقاولاته الصغير. يريد وسيكون. أم «هاينتس» ترى هذا كله الآن أمامها كالسراب، مستقبلاً صبوراً تحمل الكثير حتى الآن قبل أن يوجد أصلاً، مستقبلاً يمتد البيت الصغير فوق ظهره. آه يا أولاد! كم سيكون ذلك جميلاً! والأم لا ترى فى أى موضع من البيت مكاناً لـ «بريجيتّه»، ولا حتى فى المطبخ، مكان «بريجيتّه» هو خَط الإنتاج، ثم خط الإنتاج، ثم خط الإنتَاج مرة أخرى، تكدست عليه دانتيللا سوتيانات وإسفنج صناعى وستريتش، بيت «بريجيتّه» هو الخياطة، وهو ما تعلمته.

لا بد أولاً من أن يتم تجهيز محل خاص، وهو ما يبتلع مالاً كثيراً، وكثيراً ما جرى توفيره من أجره من قيادة (الوالد) سيارات نقل للمسافات البعيدة. كذلك كانت أم «هاينتس» لا شىء ولا أحد [1] فى وقت مضى قبل أن تصبح زوجة سائق سيارات نقل مسافات بعيدة، قبل سنوات وسنوات، بل قبل أن تصبح أماً لمن يمكن أن يكون فى المستقبل مقاولاً. أى أنها تعرف هذا الوضع حق المعرفة.

---

(١) «لا شىء ولا أحد» تعبيرات متكررة عند يلينك فى تصوير المرأة التى لا كيان لها ولا وجود إلا من خلال رجل، أيا كان هذا الرجل، وهو يمثل عادة القهر والإذلال: مشكلة العلاقة بين المرأة والرجل، مشكلة الجنسين التى كثر الحديث عنها فى برامج حقوق الإنسان العالمية، وتناولها فلاسفة وعلماء متخصصات متعددة بالدراسة (المترجم).

هى نفسها على أية حال خارج الدائرة وعجوز.
الأب لا يزال فى داخل الدائرة ، فقد أصبح سائق سيارات نقل للمسافات البعيدة. صحيح أن الغضاريف ضاعت بلا رجعة، ولكن بابا لا يزال قادراً على أن يرفع ابنه على كتفيه وأن يحمله، وأن يجلسه على السرج وأن يدخله فى حياة الأعمال.

أم «هاينتس» تدفع «بريجيتّه» تحت مائدة القهوة، تدسها فى درج الصحون، تضطر «بريجيتّه» أن تعطيها كل شيء، الجاتوه الذى تحمله والكريم شانتى والسكرية وإبريق القهوة. «بريجيتّه» ليس لها أن تساعد.

ماما نفسها، شخصياً، الأم بشخصها تحمل كل هذه الأشياء مع ابنتها المتزوجة أم الحفيدين. فى أثناء تناول القهوة تتحدث النساء عن المنزل والأجهزة المنزلية الخاصة به وعمّن يأتى بالنقود للإنفاق على تدبير البيت وعن الأطفال. فى أثناء تناول القهوة يتحدث الرجال عن كرة القدم، ثم عن كرة القدم، والشغل، والنقود، وعن كرة القدم.

الرجال لا يتحدثون عن النساء، لأن هؤلاء النساء موجودات هنا، سواء تحدثوا عنهن الآن أم لم يتحدثوا.

أخت «هاينتس» المتزوجة تصور ما يعتمل فى نفس الإنسان عندما يشعر إلى جواره بجسم طفل صغير يتنفس، بشيء صغير لا حيلة له، بهذه الحياة التى

تظل زمناً طويلاً فى صيرورة ثم تصير الآن أخيراً حياة، هى هذا الرضيع. ومهما كان الرضيع من الصغر فقد جعل الأم فى النهاية امرأة.

«بريجيتّه» تود أيضاً تبادل خبرات. ولكنها ليس لديها ما تقدمه للتبادل.

أخت «هاينتس» تحكى كيف تعمل الزوجة لكى تهب الزوج الحبيب طفلاً. وهاهو ذا الآن عنده أخيراً طفل.

لقد تمت الهبة.

كانت حدثاً مثيراً للحماس.

«بريجيتّه» زحفت أخيراً خارجةً من دولاب المواعين الذى بحثت فيه عن مواعين، على الرغم من أنها لا شأن لها به، أو كما يقولون ليس لها شىء بتاتاً تبحث عنه فيه، وانضمت إلى الجماعة التى ليس لها شىء تبحث عنه فيها. عند كل جملة تقولها أخت «هاينتس» تومئ «بريجيتّه» برأسها بصوت عال. وهى تذكر على سبيل المثال شيئاً ترى أنه لا يزال جميلاً الآن وهو أن تشترى لنفسها من أجل «هاينتس» فساتين أنيقة، لكى تعجبه، ولكن كم سيكون جميلاً بحق يوماً ما، عندما لا يكون عليها أن تشترى فساتين أنيقة لأنها ستكون قد أصبحت أماً. عندما تكون هبة طفل أو عددٍ من الأطفال قد تحققت. سيكون الطفل الصغير نتيجة حبها الكبير.

وأبدت الأخريان اعتراضاً غاضباً، وكانتا لتوهما قد تحدثتا حديثاً إيجابياً عن الأطفال ووضعهم.

وتذكر «بريجيتّه» أن كائناً صغيراً إلى هذا الحد سيجعلها أماً ، أَماً، أماً، وأن «هاينتس» لا يعرف كيف يتعامل مع الأطفال الصغار لأنه رجل، وأنها هى تستطيع أن تتعامل كثيراً مع الأطفال الصغار لأنها امرأة. «هاينتس» سيحب الطفل الصغير فيما بعد، أما «بريجيتّه» فستستطيع أن تحب الطفل الصغير تواً وفى الحال.

«هاينتس» لا يزال يهتم اهتماماً متزايداً بالمتعة والمنفعة.

أم هاينتس لا تزال تهتم اهتماماً متزايداً بتوسيع بناء البيت حتى يصبح هناك فى النهاية مكان راحة (١) لغضاريف فقرات (الأب) التى حُطّمت. يقرر «هاينتس» فى سره أن موضع الراحة المناسب للأب هو دار للمسنين بعد أن يتم تحويل المال الذى وفره أبوه إلى خلطات أسمنتية يدخلها فى البناء. لابد أولاً من تحويل المال الذى وفرته حياة فانية إلى خرسانة باقية. «بريجيتّه» على كل حال توافق على «هاينتس» وعلى ما يوافق عليه «هاينتس». لن يصلا أبداً هكذا إلى غصن أخضر هما يريدان أن يصلا إليه.

فى الحديقة أغصان خضراء كثيرة جداً يتدلى منها حتى فاكهة. وفى الحديقة أيضاً زهور للقطف، ينبغى قطفها طالما كانت يانعة.

---

(١) تستخدم الكلمة الألمانية في الدلالة على القبر، وهو ما تلمح اليه الأديبة. (المترجم)

فى هذه المسائل أبو «هاينتس» حُجّة.

الواقع أن «بريجيتّه» تشمئز من الأطفال الرضّع. والواقع أنها تود لو استطاعت أن تكسّر عظيمات أصابعهم الرقيقة، وأن تخز فى أصابع أقدامهم الصغيرة الضعيفة شظايا الخيزران وأن تدس فى حنك الطفل الصغير القادم الجديد وقد أصبح الشخص الرئيسى خرقة قذرة بدلاً من البزازة المحبوبة، حتى تعرف عن خبرة كيف يكون الصراخ الحقيقى.

ليت الحاضرات يستطعن استشفاف ما جرى فى داخل «بريجيتّه» من تحول إلى لاإنسان.

عابراً يتبول الرضيع ابن أخت «هاينتس» بقوة فوق دماغ «بريجيتّه» المسكينة، فى قلب صبغة الشعر الطازجة، وفى صميم البرمانانت الذى يلف الشعر لفات دائمة، وهو ما تسبب فى موجة جديدة من الضحك. «بريجيتّه» التى انحنت لتلتقط ملعقة مفضضة من الأرض تنهض وأصابعها تتقبض تلقائياً على هيئة مخالب الطيور الجارحة، وهى الأصابع التى يتحتم عليها بحكم العادة أن تكافح للحصول على كل شىء.

لا تستطيع «بريجيتّه» أن تحتمل مثل هذا الإذلال أمام كل الناس. وكثيراً ما يتحطم إنسان مثل «بريجيتّه» عندما يتعرض لمثل هذه الأشياء الصغيرة.

ولقد جرت أشياء كبيرة كثيرة ، لم تحطم «بريجيتّه».

الجميع يضحكون من مزاح الطفل الصغير، حتى والد «هاينتس» الذى لا يكاد يكون قد بقى له ما يضحك منه. حتى الغضاريف تشارك اليوم فى الضحك. وثمرة الحب تضحك أكثر من الآخرين. كذلك الحب الذى هو فى بيته فى العالم الصغير، يشارك فى الضحك. وعالم «بريجيتّه» هو عالم الحب الصغير. وهى تصفق للطفل الصغير عابراً. ثمرة شاطرة!

أم «هاينتس» تُطَفِّش «بريجيتّه» إلى المطبخ مرة أخرى. أتنقصنا هذه المصيبة. أن تريد الشغالة أن تكون لها هى أيضاً ثمرة كهذه، وربما تكون أيضاً من «هاينتس» ابننا!

من البعد تأتى تحية على سبيل التهديد من دار المسنين، التى لم يَرد ذكرها من قبل قط، والتى لها وجود على الرغم من ذلك.

فى اللحظة المناسبة ستظهر.

مستقبلنا نحن الذين نصنعه لأنفسنا بأنفسنا، هذا ما تقوله أم «هاينتس». وهو إذَن لهذا السبب ملكٌ لنا، لنا نحن فقط. هى إذَن تصنع مستقبلها الخاص بها. مستقبلنا يصنعه «هاينتس» ، الابن. مستقبلنا، مستقبله، وليس مستقبلاً آخرًا.

لماذا تريد «بريجيتّه» عن تصميم عنيد أن تنال كل هذا، بل تنال الأكثر، ألا وهو ابننا؟

لماذا لا ترضى «بريجِيتّه» أصلاً بما لديها، أى بلا شىء؟

هناك أناس آخرون ليس لديهم شىء هم أيضاً، ولكنهم راضون.

عندما يكون الإنسان راضياً، يتاح له إذ ذاك شىء حتى من اللاشىء.

لماذا لا تستطيع «بريجِيتّه» أن ترضى باللاشىء الذى لديها؟

ثمة رضيع يعبث برجليه فى شعر «بريجِيتّه» الذى يشبه الصوف.

الرضيع يخز بأصابع الرضيع عينى «بريجِيتّه» وأذنيها وأنفها ويعبث بها.

الجميع يضحكون بصوت عال، حتى الأب المتجهم و«هاينتس» الطموح.

الأمل [1] يضحك معهم، على الرغم من أنه فقد شيئاً.

المستقبل لا يمكن أن يضحك لأنه لم يأت بعد.

الحاضر لا يضحك لأنه أثقل من أن يضحك.

---

(١) تؤنس يلينك العديد من المسميات المطلقة : الحياة، المستقبل، الحاضر إلخ وتجعلها تضحك أو لا تضحك وما إلى ذلك. (المترجم)

عمل «بريجيتّه» لا يَضحك قط كحاله من قبل، لأنه بعيد بعداً مَفرطاً.

ذلك أن اليوم يوم عيد للجميع!

«بريجيتّه» تصطنع بشاشة حيال البلية وتضحك معهم من القلب. ثم تذهب لتغتسل.

أسنانها تصطك صاخبة من فرط الكراهية.

لا مفر نتيجة لكل هذه الكراهية من أن يصمت أشد الحب تشبثاً بالبقاء.

إنه ينسحب مفزوعاً.

تحول «هاينتس» لتوّه من الحب إلى الواجب الجاد.

من المتعة إلى العمل.

«بريجيتّه» تعرف على أية حال أمور العمل أفضل.

أخت «هاينتس» تضحك بصوت أعلى من الجميع، لأنها فى أمان. لا يمكن أن يصيبها مكروه مستقبلاً، فقد حققت المرام.

أم «هاينتس» تضحك بشيء من المعاناة، لأن «بريجيتّه» حتى الآن لم تُخْلِ الميدان للمستقبل الأفضلَ لـ «هاينتس».

ولما كانت «بريجيتّه» ما تزال فى الحلبة وتنوى على ما يبدو أن تبقَى فيها (١).

فإن السعد يضحك لهم جميعاً.

---

(١) جملة غير مكتملة على ما يبدو، وهذا النوع من الجمل المجتثة متكررة عند يلينك، وكأنها تترك للقارئ حرية الإكمال. (المترجم).

ولكن ذات يوم

ولكن ذات يوم جاء هذا الذى يجعل من الإنسان إنساناً، جاء إلى «پاولا» أيضاً. ولقد انتظرناه طويلاً بما فيه الكفاية. فى هذا اليوم لاح لها فجأة كأنها لم تعش حقاً حتى هذا الحين.

والسبب: من قبل لم تكن الحياة إلا العمل، والبيت، وشغل البيت، والصديقات، العمل، عمل فى البيت وعمل فى الخياطة (لم يبدأ إلا مؤخراً!)، تلك إذاً حياة زائفة أو ناقصة. ولكن هذا سيُمحى الآن، فالحب موجود هنا، أخيراً جاء الحب، وأخيراً أصبحت «پاولا» الآن إنساناً.

العمل، والبيت، وشغل البيت، والصديقات، العمل، العمل فى البيت والعمل فى الخياطة، كل ذلك لا يزال موجوداً، صحيح، ولكنه لا يسير من تلقاء ذاته، من يوم ليوم، إنما هناك علاوة على ذلك الحب لا يزال

موجوداً، هيا هيا، أهم شيء في الحياة الإنسانية، وأهم شيء الآن كذلك في حياة «پاولا».

«پاولا» نوت على ذلك نية صلبة كل الصلابة.

كذلك تريد أن تعمل كل شيء على الوجه الصحيح.

عليها أيضاً أن تعمل كل شيء على الوجه الصحيح، وإلا رحل الحب تواً مرة أخرى، أو أبعده العمل، والبيت، وشغل البيت، والصديقات، العمل، العمل في البيت والعمل في الخياطة، فتقع في الخسارة دون ما أمل في النجاة.

شغل البيت سيظل على أية حال باقياً على كاهلها.

«إيريش» هو أجمل واحد في القرية. صحيح أن «إيريش» ولد لم يتزوج له ثلاثة أخوة كلهم من أب آخر غير أبيه، وهو ما يخلق منطلقات سيئة، كما هو معلوم، ولكنه جميل.

جميل جمال الصورة التي يضرب بها المثل في الجمال، جميل مثل صورة شاب أسود الشعر أزرق العينين، أن يُعشق.

و«إيريش» تتمناه كذلك أخريات.

وإذا لم يكن من المهم بالنسبة للرجل أن يكون جميلاً - إذ الجمال شديد الأهمية بالنسبة للمرأة - فجميل على أية حال أن يكون الرجل جميلا [1].

---

(١) لاحظ تكرار كلمة جميل على غير المألوف في اللغة الألمانية المعاصرة. (المترجم).

و«ايريش» يمتهن مهنة معتبرة: فهو خشّاب يقطع الشجر فى الغابة. ولكن مهنة «إيريش» لا تسره على الرغم من أنها مهنة معتبرة، إلا أن الغابة تحتاج إلى رجال، ولهذا: هيا إلى الغابة يا «إيريش» بعد المدرسة الأولية مباشرة! و«إيريش» يحب أن يجعل الناس يحتاجون إلى عمله.

كل هذه الأشياء أصبحت فجأة عديمة الأهمية تماماً بالنسبة إلى «پاولا». لا يهمها إلا شئ واحد، هو أن الحب أخيراً قد جاء، وأنه لم يأت إلى خشاب قبيح، مكدود، سكّير، نحيل، وضيع، حقير، بل جاء إلى خشاب جميل، مكدود، سكّير، متين، وضيع، حقير [1]، كما أتى إليها. هذا ما يجعل الأمر كله شيئاً خاصاً. من المؤكد أن الحب فى حد ذاته شئ خاص، ولكن كم يكون الحب بالضرورة شديد الخصوصية عندما تختار الظروف «إيريش» و«پاولا» للحب. ليس هناك سوى «إيريش» و«پاولا» مرة واحدة لا تتكرر بين آلاف، بل بين ملايين !

«پاولا» التى انتظرت هذا اليوم منذ سنين، بل منذ الأزل، ترجو الحب أن يتفضل تواً بالدخول، وتنفحه فنجاناً من القهوة الجيدة وتضع معه قطعة كبيرة من

---

(١) مجموعة من الصفات المصفوفة يتكرر أغلبها في الحالتين، الإيجابية والسلبية، وتختلف في صفتين، دلالة على هيمنة النسبية على الوصف، فالشاب على الرغم من عيوبه الكثيرة التي تعيب القبيح، جميل متين وهذه الطريقة من التعبير مميزة لأسلوب يلينك الذي يؤكد صعوبة التحديد الجامع المانع. (المترجم).

الجاتوه. وهذا هو «إيريش»، الذى كان بالنسبة إليها نموذج الرجولة كل الرجولة، يأتى قبل أن يكون الحب قد رمى رميته، لأن الرجال الآخرين الذين تعرفهم لا يمكن أن يعتبروا نماذج لأى شىء، إلا أن يكونوا على أقصى تقدير نماذج إدمان الكحول أو الضرب المبرح أو رائحة رائتج الخشب، وفيما عدا ذلك لا يدخل «إيريش» قط إذاً الحجرة المطبخ الصغيرة التى تسكنها [1] . أما اليوم فيأتى «إيريش» نموذج الرجل الرجولى، ونموذج الإدمان الكحولى والضرب المبرح الذى تلقّاه فى ممارسة قطع الخشب منذ طفولته المبكرة من الأم والجدة وزوج الأم والزملاء فى العمل، اليوم إذن يدخل «إيريش» الحجرة المطبخ. ومهما كانت من الصغر والتدنى والبهدلة، فهى نظيفة كل النظافة، حتى ليستطيع الإنسان أن يأكل من فوق أرضيتها. «إيريش» لديه إخطارٌ عليه أن يبلغها إياه. خبر له أهمية قصوى بشأن رحلة الغد. أرسله به رئيس الرحلة. وهو يجد صعوبة فى الكلام كما يجد صعوبة فى كل ما عداه.

اجلس يا «إيريش»، «إيريش» يقول: مهما كان مطبخكم صغيراً رثاً عديماً هديماً، فهو يبدو كأنه جديد خرج لتوه من العلبة! أنت يا «پاولا» تساعدين أمك بشطارتك. أنتِ شاطرة!

---

(١) نمط ضيق فقير من أماكن السكني هو الغرفة التي تستخدم مطبخاً وحجرة معيشة في وقت واحد ويسمونه «الحجرة المطبخ» Wohnküche. (المترجم).

«باولا» تتهلل بشراً لهذا المدح مثل ثور القيامة[1] المزدان بزينة الحرب.

«باولا» عمرها فى هذا الوقت ١٥ سنة بالضبط، أما «إيريش» فعمره ٢٣ سنة. هذا معلومة مهمة، لأن كل شىء قبل ذلك كان مختلفاً وسيكون كل شىء بعد ذلك مختلفاً كل الاختلاف. لنحفظ هذا الوقت فى ذاكرتنا جيداً! فى هذا الوقت لا يجوز لـ «باولا» أن تبدأ فى التفكير فى الزواج [2] لو فكرت «باولا» فى الزواج لفرم أبوها لحمها عن عظمها. ولو فكر فى الزواج لانهالت عليه جدته وأمه وزوج أمه ضرباً حتى تخرج روحه من بدنه. ومن الذى يقوم بعملك؟ من يحش النجيلة ومن يطعم البهائم ومن يفرش التبن ؟ من؟ ومن يجر المسقاة إلى الخنازير ؟

والأم التى كانت دائماً تعمل خارج البيت، منذ أن كان عمرها ١٤ سنة أى أصغر من «باولا» بسنة، تعمل

(١) ثور القيامة Pfingstochse ، بمناسبة عيد القيامة المجيد في يونية جرت عادة الفلاحين والرعاة قديما في جنوب ألمانيا والنمسا على الاحتفال بإطلاق ثور على المراعي اليانعة يزينونه بزينة مبالغ فيه، وأصبح ثور القيامة يضرب مثلاً على الرجل الفحل الذي يزهو بزينة فجة متكلفة، بالإضافة إلى الإسقاطات التي تنسب إلى الثور القوة الخ (المترجم)

(٢) تفرض التقاليد الاجتماعية القاسية على البنات القيام بأعمال الخدمة المفروضة وعدم التفكير في الزواج للتحلل من هذا الالتزام الذي تنقله الأم إلى ابنتها، والأب إلى ابنه، وإن لم يكن يعني في الواقع إلا الاستمرار في العمل في بيت آخر. وكانت التقاليد الاجتماعية القاسية تفرض على الابن مثل ذلك مع اختلاف في النوعية، وكان أي تفكير مبكر في الزواج يقابل من الأسرة أو من يمثلها بالرفض والضرب العنيف. (المترجم).

خـادمـة، فـى المدينـة، البنـدر، وفـى مـدن أخـرى، بنادر أخرى، وهو مـا نجم عنه أولادهـا الأربعة، كل واحد من أب مـختلف، وآلام فـى مـرفق الحـوض، ونزلة شُعبيـة مـزمنة، وتقـوس فى الظهـر نتيـجـة مـسح الأرضيـات، وتلبيس سِنَّيْن بالذهب، ووجه ناشف ممصوص قبيح إلى درجة لا يكاد الإنسـان يصـدقهـا، وزوج شـرعى هو الوحيد الذى تزوجته رسـميـاً، وهو موظف سـابق فى السكك الحـديدية أحـيل إلى المعـاش، ومـن هـذا الرجل بالذات لم تنجب أولاداً، ولهذا كانت عينه تراقبها أكثر وهذا مـوضوع نتناوله بالحـديث فيمـا بعد ـ وأصبحت وهى الأم تقوم بالخدمـة داخل البيت الآن طول الوقت بلا انقطاع بظهـرهـا المقـوس الذى زاد تقـوسـاً وآلام مــرفق الحــوض والنزلـة الشُـعـبـيـيــة الحــادةُ التى استفـحلت أشد ممـا كانت، وفضلت الشغل القاسى فى البـيت على الشـغل خـارجـه، من أجل الرجل الشـاطر المحــال إلى المعــاش والـذى أصبـح زوجـهــا، ومــا كــان ليتزوجها أبداً بعيالها الأربعة، لو لم يكن نتيجة لمعاناته من ربو مزمن خبيث بحاجة إلى من يرعاه، بحاجة إلى هذه الأم التى قـالت لـ «إيـريش» بعـد فتـرة من صـمت بليـغ: أنت لا تسـتطيع أن تنـال شيـئـاً، فـإذا اسـتطعت، فليكن مـا هو أفضل، يا «إيريش». اخـرج (مـن القـرية) إلى المنطقـة الواسـعة المحيطة، كمـا خـرجت أنا إلـيهـا ذات مـرة، وهذا هـو مـا سـاعـدنى جداً فى التـقـدم فى حياتى، بالتحـديد الوصول إلى موظف له معـاش، وإذا كان الطريق وعراً فى بعض الأحيان، ساقنى إلى رجال

منافقين من أهل السوء، حملت نتيجة علاقات سيئة بهم .... ، فاخرج أنت لهذا السبب بالذات من هنا واذهب إلى حيث تجد الأفضل، الذى يوحى به شكلك الظاهرى على أية حال، فأبوك كان إيطالياً، ستنال بسهولة زوجة ثرية، بشكلك هذا بشعرك الأسود الأجنبى، فشكلك هذا أحسن من شكل أهل البلد هنا بشعرهم الأشقر الذى يشبه لون الخبز الكايزر والذى قد يغمق فيصبح داكناً قذراً، بشكلك هذا تحصل بسهولة على زوجة ذات مال، واحدة من النساء اللاتى كثيراً ما نسمع ونقرأ ونشاهد عنهن.

وسيعود علينا هذا نحن كذلك بالخير. والويل لك إذا لم يعد هذا علينا نحن كذلك بالخير!

لهذا لا تتزوج بتاتاً، فإذا اضطررت للزواج، فلا تتزوج من هنا، ابحث لك عن واحدة من مكان آخر، أفضل من هنا. وأنت فى نهاية المطاف رجل، وتستطيع أن تحافظ على نفسك. أنت فى نهاية المطاف رجل. احرص على شىء واحد، هو ألا تثمر علاقتك بامرأة طفلاً، فقد يكلفك ذلك مالاً كثيراً جداً، ومستقبلك، يا «إيريش». وإن لم يكن بد من هذا فلتكن امرأة ثرية، امرأة من المصطافات مثلاً. لهذا اخرج من هنا، إلى العالم الخارجى، ربما إلى البلاد الأجنبية، التى سمعت أنها هى كذلك موجودة، ورأيت الكثير من صورها الملونة الجميلة.

وحذار أن تزعج بابا عندما ينام نومة الظهر التى يحتاج إليها فى مرضه بالربو الحاد، وإلا أصيب بنوبة

اختناق، ووقعنا نحن فى المحظور. حذار أن تزعج بابا عندما ينام نومة الظهر، فقد كان فى السكك الحديدية ، وهذه رتبة عالية أعلى بكثير مما يستطيع أحد من هنا، كائناً من كان، أن يدعيها لنفسه، وإلا مات بين يدىّ وضاع منى. سأحمل إليه تواً قهوته، فيجدها جاهزة عنده عندما يستيقظ.

وحذار أن تزعج بابا عندما ينام نومة الظهر[1]، التى يحتاج إليها فى مرضه بنزلة الربو الشعبية الحادة، لأنه كان يعمل فى السكك الحديدية، ولأنه ضعيف جداً جداً، أضعف من أن يستطيع أن يضربك ضرباً مبرحاً، وأنا كذلك أضعف من أن أقوم بذلك.

صحيح أنك من سلالة أصيلة، فأنت أسمر البشرة يا «إيريش»، ولكنك لم تخترع ملح البارود. ولكن حَدِّق على الرغم من ذلك فيما بعد مرة أخرى فى صور البلاد الأجنبية، فلن يضرك ذلك، حتى وإن لم تكن تفهمها. ومهما كنت أصيلَ الجنس أسمرَ البشرة يا «إيريش» فما أقل ما فى مخك.

بعد ذلك مباشرة لبس «إيريش» البلوفر الجديد الذى اشتراه من كاتالوج محل البيع بالبريد،

---

(١) تكرار الجملة ثلاث مرات يدل على معاناة الأم المطحونة (وهى من قبيل «المعذبون فى الأرض» على حد تعبير طه حسين) وخوفها على الحد الأدنى من الحياة الذى وصلت إليه، وهو على قسوته أفضل من لاشىء، وهى تحاول أن تبرز الجانب المشرق فى المحنة وهو أن الرجل المريض الهالك الذى أتت به إلى البيت كان يعمل فى السكك الحديدية وهو شىء مرموق بالنسبة للطبقة المعدمة فى القرية وهو يحصل على معاش يمثل دخلاً مضموناً. (المترجم).

والبنطلون البلوچينس الجديد من كاتالوج محل البيع بالبريد، والقميص الجديد الأبيض كالثلج من كاتالوج محل البيع بالبريد، وأخيراً أجمل شيء من كاتالوج محل البيع بالبريد: الچاكتة الصوفية المزركشة المصنوعة من الصوف الخالص. هكذا كان «إيريش» الطرد الحى الوارد من محل البيع بالبريد[1] .

وعندما يشعل «إيريش» ذو العينين السوداويين سيجارة، تبدو كأنما كانت دائماً أبداً فى وجهه، كأنما كانت تنتمى بدقة إليه، ولم تكن جسماً غريباً فى وجه (شخص من أهل القرية البيض) مرهق ملَصّق بالعرق ملىء بالتجاعيد الغائرة ومن فوقه شعر أدكن بلون الخبز الكايزر أو رمادى بلون الفئران، كالصورة التى ما أكثر ما يراها الإنسان الآن.

طالما كانت «پاولا» طفلة كان «إيريش» يعاملها معاملة الطفلة فحسب. وعلى «پاولا» الآن أن تبين له بوضوح أنها لم تعد طفلة، بل إنها أصبحت امرأة بمعنى الكلمة.

ولقد كنا فى وقت ما ذات مرة فى الموضع الذى قلنا فيه إن «إيريش» دخل حجرة مطبخ أهل «پاولا» بالسيجارة البيضاء فى الوجه الأسمر يعلوه الشعر الأسود والعينان السوداوان بلون الزفت، شىء شكله غريب وخطير مثل الفهد، أو قليل الشبه بالفهد.

---

(١) غالباً ما يدل الشراء من كاتالوج محلات البيع بالبريد على مستوى اجتماعي منخفض. (المترجم).

«پاولا» قرأت ذات مرة عن رجال معيّنين يبدون فى محيط مألوف مثل الفهد فى دغل من الأدغال.

غريب وخطير ولطيف أمام العين والقلب.

وما كانت قط تصدق أنها هى ذاتها ستلقى فى حجرة مطبخها المألوفة ذات مرة رجلاً يبدو فيها مثل فهد خطير فى دغل خطير. ولو أمكن أن يكون أحد هكذا، فهو «إيريش»، الفهد. وهذه هى «پاولا» تبحث آنئذ فى المجلة عن الفقرة التى فيها الفهد، وهاهى ذى موجودة!

ولقد تعلمت «پاولا» كذلك لغة إنجليزية. وكانت أحسن واحدة فى اللغة الإنجليزية وفى الحساب. وكانت كذلك جيدة فى المواد الأخرى. ولكن هذا لا يفيد الآن فى شىء.

«إيريش» لم يتم المدرسة إلى نهايتها، وهو ما لا تأثير له. والسبب أنه مثل حيوان مفترس جميل: فهد.

«پاولا» تعرف أن «إيريش» كل شىء. ولهذا عليها هى نفسها أن تصبح أكثر بكثير، وإلا سبقتها من هى أكثر أو من هى أكثر كثيراً جداً. ولكن كيف؟ ولكن كيف؟

«پاولا» اللاشىء تنطلق حولها مثل الصاروخ، على خط متعرج زجزاجى، تعد قهوة، وتحضر جاتوه جوجلهوپف [1] كان أصلاً مخصصاً بحساب دقيق

---

(١) Guglhupf نوع من الجاتوه المعروف في النمسا وسويسرا وجنوب ألمانيا يصنع في قالب دائري (المترجم).

لبابا و«جيرالد» وحدهما ولهذا كان مخبّأً حتى لا تمتد إليه أيدى آخرين. وستهال على «پاولا» الهجمة الكبرى من قذائف الرجلين اللذين تتملكتهما الخيبة لضياع الجاتوه قبل انتهاء اليوم، ولكن الجاتوه سيكون قد استقر فى بطن «إيريش». وتحوم «پاولا» بحركة مجنونة متدافعة كالنحلة هنا وهناك. ويحاول «إيريش» بطريقته البطيئة المتثاقلة أن يشرح أن «پاولا» قد أصبحت ربة بيت حقيقية صغيرة.

وكانت «پاولا» ذات مرة قد فضلت الخياطة على شغل البيت الأسوأ. وهاهى ذى تنفش ريشها فجأة كحمامة برية، وتهدل هنا وهناك، وتنفش ريشها، وتتزين، وتسبل جفنيها وتحمل كل ما تصل إليه يداها إلى «إيريش» الذى كان كل شىء ينفعه باستثناء إناء الماء المبارك.

و«إيريش» نهم أكول. يظل يأكل إلى أن يصاب بالإغماء. وليس هناك ما يهمه سوى الموتورات، وتحديداً تلك المركّبة فى الدراجة البخارية الموبيد، ومن قبلها الموتوسيكل. و«إيريش» يتحرق شوقاً إلى الحصول على رخصة القيادة لكى يكون له أن يهتم بموتورات أقوى، يوليها كل حبه الذى يخفيه فى سره، وتحديداً السيارات الرياضية إلخ. ولكنه رسب ثلاث مرات فى اختبار رخصة القيادة حتى الآن.

ومن الممكن أن تكون عائلته باتفاق الآراء قد قامت منذ صباه المبكر بطريقة منظومية بضرب مركز الموتورات فى مخه وتحطيمه تحطيماً لا إصلاح له.

لن يستطيع «إيريش» أبداً أن يسعد مرة أخرى سعادة غير محدودة. ستظل سعادة «إيريش» إلى الأبد محدودة.

أما «پاولا» فلن تنال السعادة مطلقاً.

«إيريش» لا يهتم إلا قليلاً بالسينما التى تهتم بها «پاولا» جداً، لأن كل شىء يجرى فى السينما بسرعة مفرطة.

وكذلك المصطافات يطرن من جديد بسرعة إلى مكان بعيد غير مأمون.

المكان البعيد خطير، والمكان القريب أليف يستطيع الإنسان أن يحبه بحق. لا يوجد فى المكان القريب من «إيريش» شىء يمكنه أن يحبه. فى المكان القريب من «إيريش» لا يوجد سوى «پاولا».

لو خُيِّر «إيريش» بين «پاولا» وبين الموتوسيكل لاختار الموتوسيكل. حتى بالموتوسيكل لا يذهب «إيريش» إلا إلى القرية المجاورة ولا يجاوزها إلى مكان أبعد.

«پاولا» تفصل القشدة عن اللبن حتى تصبح كريمة مضروبة، كريم شانتى. النساء فى عائلة «پاولا» مشهورات بالنظافة. وليس هناك شىء إيجابى آخر يذكر على سبيل التقرير عن النساء فى عائلة «پاولا» من أجل هذه السمة تستحق الحياة أن تعاش، فلا يزال إلى الآن من الممكن تحسينها: النظافة. هيا يا «پاولا»، إلى التنظيف!

«إيريش» البطىء يجلس على الأريكة ويلتهم بشراهة وكأنه يأكل لثلاثة. كل شىء فى البيت مخصص لبابا فقط. ويحشر الجاتوه فى حلقة كفتى كاثوليكى يثبت المطران عقيدته، ويصب عليه قهوة وخمر الاشنبص [١] من الدُّرج السرى. «إيريش» البطىء يزداد ضخامة فوق الأريكة على سعتها ويمتد مجاوزاً حدود الأريكة مثل النبات الهايش، يلتهم ويلتهم ولا يفكر فى شىء آخر إلا فى موتوراته، فى دراجته البخارية التى تستطيع أن تسير بسرعة هائلة، وبخاصة عندما يكون قد عب شيئاً من خمر.

وهو لا يزال عاجزاً عن أن يفهم تركيب الموتور والدراجة البخارية لأن القطع مترابطة بعضها إلى البعض ترابطاً معقداً.

ومع ذلك يحلم «إيريش» بموتوسيكل أعظم سرعة، يحلم بالإحساس بقيادة الموتوسيكل، بسرعة انطلاقه، بموتور سوبر، ولكن عندما يحدث عطل صغير فى دراجته البخارية المنيّلة بستين نيلة [٢]، يضطر إلى

---

(١) الاشنبص Schnaps نوع من الخمر المقطر البراندي الذي يحتوي على نسبة عالية من الكحول. (المترجم).

(٢) ليس من الضروري أسلوبياً استخدام كلمة براز ومرادفاتها المقرفة، وتؤدي المعنى على نحو قريب كلمات زفت وقطران ونيلة ومركباتها. والملاحظ أن كلمة Schei B = براز أو مايشبهه في مستواه الدلالي تأتي كثيراً جداً في كلام السوقة والمنفعلين والغاضبين، في حين أن الدارجة المصرية قليلة ما تستخدمها وتستخدم بدلاً منها في الظروف نفسها نيلة وزفت وقطران وهباب وقرف وعرّة إلخ. (المترجم)

الذهاب حالاً إلى صديقه وهو خبير ، وهو يعمل كذلك فى قطع الخشب، ولكنه عبقرى فى قطع الخشب، فيصلح له العطل فى مقابل بضعة أقداح بيرة. تلك موهبة بائرة فى قطع الخشب.

وأحب أمنية إلى قلب «إيريش» أن يفك دراجته البخارية قطعة قطعة وأن يركبها من جديد فيجعل منها سيارة سباق.

«إيريش» يأكل جاتوه ويشعر بما يشعر به بابا يوم الأحد، «إيريش» يفكر فى دراجته البخارية التى يمتلكها، ودراجته البخارية التى سيمتلكها ذات مرة، لكى يستطيع عندئذ أن يفكر فى سيارة. وأن يفكر فى السيارة التى يفكر فيها لكى يستطيع ذات مرة فى وقت ما ذات مرة فى المستقبل أن يفكر فى سيارة رياضية [1] تلك السيارة التى يستطيع من الآن أن يقرأ عنها ويرى صورها كثيراً جداً.

هل أتى الحب اليوم إلى «پاولا» اليوم، على الرغم من ذلك، أم بالضبط بسبب ذلك؟ «پاولا» تقول للحب، تفضل اجلس ، ويتلقى الحب تواً قهوة باللبن. ولكن الحب لا يجلس طيّعاً، بل يمسك «پاولا» بمخالبه، كيف تكون النهاية؟ ذلك سؤال وجهته «پاولا» إلى نفسها، أما «إيريش»، المجنون بالموتورات، فلم يوجهه إلى نفسه.

---

(١) المقصود بالسيارة الرياضية سيارة بمقعدين ومحرك قوي وسقف مفتوح. (المترجم)

أملى فى الحياة الأفضل، كان هذا أمل «پاولا» كما تكرر من قبل كثيراً.

أملى بأسرع ما يمكن، إلى أبعد ما يمكن، كان هذا أمل «إيريش»، وألا يتم ذلك يقيناً سيراً على الأقدام، كان هذا أمل «إيريش».

كان مرة أخرى عناقًا جميلاً

نعم لقد كان مرة أخرى عناقاً جميلاً....، هذا هو رأى «هاينتس». يمسح على فمه، ويمشط شعره، وينظف حاجبيه وأذنه من الداخل وأنفه ويغسل يديه ويشرب قهوة الإفطار ويخرج من البيت ليمارس مهنته. وعلى التو عندما يخرج من البيت يدخل فى ضغط حياة المهنة، فى عالم الأسلاك المفعم بالأسرار الأسلاك التى لا تفهم منها «بريجيتّه» شيئاً.

فى هذه الأثناء تتبع «بريجيتّه» قدرها كامرأة الذى هو أخف وأبسط من القدر كرجل.

تفتح دولابها، وتخلع عنها الجونيللا والپلوفر وتلبس مريلة من القطن، ملونة ونظيفة وأنيقة ومهيأة لتحسين جو العمل، وإدخال قليل من اللون فى رمادى وأسود الآلات الكئيب. تاتشات لونية مرحة: أشعة شمس. بعد أن تُحَسِّن «بريجيتّه» جو العمل وتسوِّىَ فى أثناء ذلك حالتها هى، تدس قدميها فى الصندل

الصحى الطبى لكى تبقى القدم سليمة صحياً عند العمل ولا يعتريها المرض كما يعترى بعض الأقدام. لكن المرض لا يصيب «بريجِيتّه» ، فهى تأخذ نفسها بالوقاية.

عندما يملك الإنسان معرفة بموضوعات علمية مثل الصحة، يستطيع أن يمنع الكثير، حتى الأمراض.

كذلك كل زميلاتها يلبسن هذه الصنادل الصحية، فهن يفعلن شيئاً من أجل صحة أقدامهن. والصندل الخشبى محبوب فى هذه الدائرة.

وهاهو ذا عمل «بريجِيتّه» على خط الإنتاج قد بدأ قبل أن تستطيع أن تنظر بوضوح. والعمل على خط الإنتاج يترك لـ «بريجِيتّه» أنوثتها، ولأن المؤسسة نسائية موظفوها (العامِلات) كلهم تقريباً نساء، فليس من الصعب الحفاظ على النظافة. العنصر المذكّر الوحيد قاصر على الوظائف العالية التى لا يراها الناس والتى لا يستطيع شاغلوها أن يفسدوا النظافة النسائية.

فى المؤسسات التى يغلب على القوة العاملة فيها الرجال يحدث أن يوجد على الأرض هنا أو هناك شىء قبيح دون أن يقوم أحد بمواجهته بعمل شىء على الفور. فى هذا المصنع لا يوجد على الأرض إلا أشياء جميلة، ربما قطعة دانتيللا أو خط بلون السلمون الوردى، وحتى هذه الأشياء تزال على الفور.

فى الحقيقة لا يوجد أى شىء قط على الأرض. وحدّث قبل هذا ولا حرج عن الموائد فى المقصف! هنا أيضاً فى كل مكان ميزات النظافة: الموائد ذاتها نظيفة جداً حتى إن الإنسان ليستطيع أن يتناول طعامه من فوقها مباشرة (دون حاجة إلى صحون). النساء والبنات يتنافسن، من تسبق إلى اكتشاف بقية متسخة من تراب أو بقعة، فتتحاشى العاملات على الفور البقعة أو يكن قد تحاشينها قبل أن تنشأ.

أحياناً تصل الحال إلى أن يصبح من الضرورى إزالة بقعة قهوة من فوق قرصة مائدة من الفورمايكا، فيحس الجميع بعد ذلك بالارتياح.

إذا حدث أن مر مصادفةً موظف قيادى لم يمر هنا من قبل قط ، تكون البقعة قد لفظت أنفاس حياتها القصيرة منذ حين.

كذلك سكرتيرة مكتب المدير إذا مرت هنا بطريقة المصادفة لا يصح أن ترى بقعة لأنها تعرف البقع حق المعرفة، ويبدو أنها لم تعمل أى بقع قط.

والسكرتيرات كثيراً ما يكون لهن هوايات. منها الرحلات والرقص والتجول والسينما والأعمال اليدوية.

والرجال الذين يعرفون الخياطات لا يهتمون للأسف، علاوة على عملهم، إلا بكيف يستريحون من الشغل. فليس لديهم هوايات. وكثيراً ما يكون لهم هوايات رديئة لا يشركون معهم أسرهم فى ممارستها.

ولا يعـرف أحـد شيئًا عن الأشـيـاء التى يهتم بهـا رئيس المبيعات، والمدير ورئيس الدعاية والمدير الفنى.

ولا أحـد يعـرف بالضـبـط مـاذا يـعـملون. فـالسـادة ليسوا من هنا.

على خط إنتاج السوتيانات لا يمكن إلا بصعوبةٍ أىّ صعوبة أن يكون للإنسان اهتمـامات غـريبـة على خط الإنتـاج، لأن الإنسـان لا يعـرف أصـلاً كنه الاهتـمـامـات الموجودةً. إنه لا يعـرف إلا أن شـخصـاً أو عـدة أشخاص لديهم اهتمام بأن يتحرك خط الإنتاج.

حتى إذا عـرف الإنسـان أن هنـاك شيـئـاً آخـر له وجـود غـيـر العـمل والعـمـال الرجـال، فـلا بد بادئ ذى بدء من أن يصل الإنسـان إلى الفكرة القـائلة بأن الآخر الموجـود يمكن أن يكون مـوجـوداً مـن أجلى أنا نفـسـى وليس دائماً فقط من أجل الآخرين.

على أية حـال فـهـمـت «بريجـيـتّـه» كـواحـدة من القليـلات أن هـنـاك شـيـئـاً يـتـجـاوز العـمل إلى حـد بعيد. عـرفت «بريجـيـتّه» بالمصـادفـة أن هـنـاك شيئـاً أكـثـر من مـجـرد العـمل، أكـثـر بكثـيـر، ألا وهـو: «هـاينتس».

عـرفت «بريجيتّـه» بالمصـادفـة إذن أن هناك عـلاوة على العـمل الذى لا تـريده ، وعـلاوة على الزمـيـلات اللاتى لا طاقة لها على احتمالهن، لأنها فى الحقيقة لم تعد واحـدة منهن، ولا تستطيع إطلاقاً أن تحتملهن

لأن هؤلاء الزميلات ما زلن قائمات على اعتبارها واحدة منهن، وهى لم تعد كذلك منذ زمن طويل، بفضل «هاينتس» الأفضل، بل الأفضل إطلاقاً. عرفت «بريجيتّه» بالمصادفة إذن أن هناك فى الحياة علاوة على العمل، والشغل وتغيير اللبس من أجل العمل، وإعداد القهوة، والعمل إلخ أيضاً الشخص الواحد، الوحيد، الذى سمم لها كل هذا تسميماً كاملاً شاملاً، وكرّهها فيه، بطريق المصادفة عرفت «بريجيتّه» «هاينتس». «هاينتس» وما تلاه.

الأفضل – «هاينتس» - لا يمكن الإنسان أن يعرفه إلا مصادفة، عندما يكون فى موقف «بريجيتّه» التائه كلياً وجزئياً، يجلس إلى خط الإنتاج.

الأفضل – «هاينتس» - لا يمكن الإنسان أن يناله كذلك أيضاً إلا عن طريق مصادفةٍ لا يصدقها العقل، عندما يكون فى موقف «بريجيتّه» التائه، يجلس إلى خط الإنتاج.

هل سترحم المصادفة «بريجيتّه»؟

بينما تحرك «بريجيتّه» أصابع قدميها فى الصندل الصحى لكى تحافظ بنفسها عليها سليمة ونضرة من أجل «هاينتس»، تنظر دونها من علو يتخلله النسيم إلى العاملات فى الخياطة معها، وهى فى عقلها يفصلها عنهن بعدٌ لا يستطيع أحد تجاوزه: «بريجيتّه» سيدة الأعمال.

الأخريات اللاتى لا يرون الأعمال إلا من الداخل، ولا يرونها إذ ذاك إلا عندما يشترين أكل الأطفال لعيالهن أو سجقاً لا يتلف (١) من أجل أزواجهن (٢) .

و«ريجيتّه» التى ستمتلك من خلال «هاينتس» محل الأشغال الكهربائية تعرف أن المِلك يمكنه أن يرهق الإنسان، كما يمكنه أن يفرحه. على أية حال ستعرف «بريجيتّه» عندئذ من أجل من ستهلك نفسها فى العمل، تحديداً من أجل نفسها و«هاينتس»، لا من أجل جمهرة سخيفة وغريبة ولا اسم لها كما هى الحال هنا.

الشىء الذى تملكه هو الشىء الذى تملكه. المِلك مِلك.

إلى هذا البعد النائى، إلى هذا البعد الجنونى يمكن أن تحلق أفكار «بريجيتّه» فى بعض الظروف!

«هاينتس» يفكر فى كل الأشياء الممكنة، ولكن أقل ما يفكر فيه هو «بريجيتّه».

«هاينتس» يفكر فى نفس الأشياء التى تفكر فيها «بريجيتّه»، أى فى محله الذى يكون ملكه.

---

(١) Dauerwurst نوع من السجق يصنع من اللحم النيئ والشحم والملح والتوابل ويعالج بالدخان والتجفيف ليقاوم التلف، ويفضله كثيرون ليس فقط لطعمه ولكن لميزاته الاقتصادية. (المترجم)

(٢) الكلمة الألمانية Männer لا يمكن في كل الحالات تحديد المقصود بها : الأزواج أم الرجال. (المترجم).

«هاينتس» يأمل فى ألا تكون للعلاقة بـ «بريجيتّه» عواقب. عندما يفكر «هاينتس» فى «بريجيتّه»، فإنه لايفكر فيها ذاتها، وإنما فى العواقب الممكنة. «هاينتس» يزن «ب» (١) فى مقابل عواقبها.

«بريجيتّه» تأمل فى أنه لابد من أن تكون للعلاقة بـ«هاينتس» عواقب.

لا بد من طفل! رضيع، دودة مقززة بيضاء متشبثة. بالنسبة لـ «هاينتس» سيكون الكلام بسيطاً وموجزاً: طفلنا! من شأنه أن يجسم الرباط الدائم الذى تسعى إليه «ب».

«هاينتس» يسعى بكل الوسائل إلى منع أى رباط دائم. فى رأى «هاينتس» أن الطفل سيكون جلّة ثقيلة تشل الساق، حجرة مانعة للحركة، صدادة ضخمة فى طريق تطوره الواعد فى اتجاه : مقاول.

«بريجيتّه» تريد أن تحمل وأن يبقى الحمل فى أحشائها .... «هاينتس» يلزم الهدوء .... وهو ليس أخف الناس وزناً ....

ولدى «هاينتس» دائماً إجابة سريعة البديهة جاهزة. «ريجيتّه» .... تفكر مرة أخرى فى مستقبلها. لعل المستقبل يلهى عن الحاضر المقزز.... (٢) الحب يتلاشى ، ولكن الحياة تبقى.

---

(١) اختصار «بريجيتّه». (المترجم)
(٢) الأربع نقط تدل على مواضع تصرف فى الترجمة (المترجم)

الحب وحده هو الذى يجعلنا نعيش !

لا ترى «پاولا»، كما نستنتج من هذه الكلمات المتعجلة التى تسبق حينها، فى الخياطة ـ التى هى الأفضل الأفضل ـ مجرد إمكانية للبقاء على الحياة، بل إن «پاولا» ترى الآن كذلك فى الحب إمكانية حياة. لاح لها كأن عليها أن تسابق الآخرين والأخريات عدْواً مسافة طويلة، مسافة تغص بالحفر العميقة، وكلهن يقعن فى الحفر ويضِعن فيها كالكرات فى لعبة البلياردو: أخواتها ومعهن أولادهن والأصابع المقطعة، وأخوها الذى سيكون له قريباً أولاد وعنده الآن أصابع مقطعة، وأم «إيريش» التى لها الكثير من الأولاد، ومن العجيب فى حالتها أن بعض الأصابع لا تزال موجودة، كلهم يقعون فى الحفر ويتلاشون من المشهد الذى يجرى فى الواقع.

أما هى «پاولا» فتتفادى الحفر بشجاعة! والعاقبة فى نهاية الطريق هى الارتماء فى ذراعى «إيريش» وهى دقات أجراس الفرح من ناقوس الكنيسة.

نهاية الخياطة، بداية أكثر الحياة واقعية، حياة بالغة الواقعية ليس هناك واقعية تفوقها. ليس هناك إلى حين ما يدعو الإنسان للتفكير فى الموت؛ لأن الموت أمامه وقت طويل حتى يأتى، إذا كانت الحياة صحيحة وواقعية. أما إذا عاش الإنسان حياة غير صحيحة وغير واقعية مثل ماما أو بابا اللذين يُولدان فقط ويشرعان فى العمل الشاق لا أكثر، وما يلبثان أن يموتا دون أن يحسا بواقع الحياة الواقعية، إلا عندما يعيش الإنسان هذه الحياة غير الواقعية وغير الصحيحة، حياة العمل التى لا يغنم منها الإنسان شيئًا، ثم يموت الإنسان ميتةً واقعيةً ودائمة الأثر. ويحدث ذلك فى بعض الأحيان بسرعة هائلة حتى إن الإنسان ليظن فى النهاية، أن شيئاً لم يكن.

وهذه «پاولا» تعتبر الخِياطة فجأة عدوتها الطبيعية. ومن حسن الحظ أنها لم تدخل معها بعد فى علاقة متينة لا انفصام لها تضطرها إلى أن تظل لصيقة بها. ومن حسن الحظ أن الخِياطة شىء يستطيع الإنسان فى أى وقت أن يرميه وراء ظهره ويتخلص منه. ومن حسن الحظ أن الخِياطة لا تمسك الإنسان من رقبته ولا تَعلَق بموضع آخر منه دون ما فكاك، كما يفعل أناس لا بصيرة لديهم أحياناً، وكما تود «پاولا» أن تفعل مع «إيريش». من حسن الحظ أن الخياطة ليست كل شىء، بل الحب والبيت الخاص الذى على الإنسان أن يبنيه.

«پاولا» تريد «إيريش» الذى ستناله، والذى ستنجب له طفلةً، وفى أعقاب ذلك ستترك مهنتها لكى تنجب أطفالاً آخرين من «إيريش»، أى تنجب لـ «إيريش» طفلاً آخر.

و«پاولا» لا تنال شيئًا هدية.

قبل أن تنال «پاولا» شيئًا هدية، تفقد على الأرجح كل شىء.

وستحصل «پاولا» بعد ذلك أيضًا على سيارة، وفى مقابل ذلك سيحصل «إيريش» على «پاولا»، وليس هذا بالكثير، ولكن لا ينبغى أن يعرف «إيريش» ذلك، بل المستهدف أن يعتقد أن ذلك هو أكثر ما يستطيع الحصول عليه.

ولابد بداهة من أن يغير الإنسان «إيريش» قليلاً، إلى أن يستطيع الحظ أن يأتى وأن يدخل دخوله المهيب: على «إيريش» أن يكف عن شرب الكحول كلية؛ لأن شرب الكحول أسوأ شىء [1]، فهو يمس شخصيًا أثاث المطبخ المطلى باللاكيه الأبيض وأثاث حجرة النوم الجديد المصنوع من خشب البندق وينصب عليه. الكحول والأثاث الجديد شيئان متضادان بحكم الطبيعة، غرماء طبيعيون. وكذلك الكحول والمرايل التى صنعت على هيئة فساتين نظيفة معتنى بها،

---

(١) فى أكثر من موضع توجه يلينك نقداً عنيفاً لشرب الخمور واعتيادها وإدمانها. وهى هنا تصف جانباً من مساوئ إدمان الخمور من منظور امرأة بسيطة، مغرمة بالنظافة، وهذا الجانب هو القىء وما ينجم عنه من توسيخ كل شىء. (المترجم).

والتى لا يصح أن يتقيأ عليها أحد، والأحذية البيضاء التى تلوح كأنها صنعت من الجلد الطبيعى وماهى من الجلد الطبيعى ولكن لايصح على الرغم من ذلك أن يتقيأ عليها أحد، والأطفال البنات لابسات الفساتين الملونة، والنباتات فى الأصص، والتليفزيون ومن فوقه زهرية من البلاستيك فيها زهور من المواد الصناعية، كل هذا فى ناحية والكحول فى ناحية، والستائر المصنوعة من فتائل صناعية شفافة فى ناحية والكحول فى ناحية، والمنسوجات التى لا تكون فى ناحية والكحول فى ناحية، هذه كلها أعداء فى الطبيعة التى تتلاقى فيها أعداء.

كل الأشياء البيضاء واللينة تنسجم معاً فى رأس «پاولا»، أما الكحول فلا ينسجم معها. الكحول يزعج ويهدم.

ولا يحق للإنسان أن ينسيه المستقبل التفكير فى الحاضر. وإنما يجوز بطبيعة الحال (وهذا خطأ جسيم!) ألا يجعل الحاضرُ الإنسانَ يغفل عن المستقبل تماماً.

لم يعد حاضرُ «پاولا» هو الخياطة، بل حاضر «پاولا» هو حبها لـ «إيريش» الذى سيكفى علاوة على ذلك المستقبل كله.

ولما كان الحب إذن هو الحياة الواقعية، فلابد من أن تتغير حياة «پاولا» الحاضرة غير الواقعية بحيث تصبح واقعية ومليئة بالحب. ويتم التنفيذ على النحو التالى:

أنت رأيتَ، يا «إيريش»، مراراً فى السينما أن من الممكن أن تنشأ بين أشخاص غير عاديين أشياء غير عادية من قبيل حب غير عادى على سبيل المثال. وما علينا إذن إلا أن نكون غير عاديين وأن ننظر ما سيحدث. والعاديون هم من الناحية المقابلة من ليس لديهم ما يفعلونه إلا أن يعملوا ويعملوا. غير العاديين هم نحن الذين ليس لدينا ما نفعله إلا أن نعمل ونعمل، ولكننا أيضاً نحب بعضنا بعضاً. لم يعد علينا أن نبحث عن شيء غير عادى؛ لأنه لدينا من قبل، ألا وهو: حبنا.

والحب لا يأتى أحياناً إلا مرة واحدة فقط فى الحياة. فإذا لم يقبض الإنسان عليه بكلتى يديه، أصابه نكد شديد، مثلاً عندما ترحل المرأة العاشقة أو الرجل العاشق إلى بلاد غريبة يتوه فيها. الحب هو استثناء مما جربه الإنسان وناله فى العمل أو البيت.

ليس لدينا شيء غير ذلك.

أما الحب فهو لدينا. فتشبث إذاً بالسعادة!

فى هذه اللحظة، كما فى كثير من اللحظات قبلها، يفكر «إيريش» فى غطاء الاسبراتير والكربيراتير والشكمان تلك القطع التى لا يستطيع على أية حال أن يفكها، ثم يفكر بعد ذلك مباشرة دون أدنى فسحة من وقت، على الرغم مما فى ذلك من جهد، فى ظاهر الشيء فى مجموعه: فى الكاروسيرى وعجلة القيادة والقيادة.

أما «پاولا» فهى تفكر لاثنين وتستمر مباشرة فيما يشبه الحلقات المتتالية، فلم تعد تفكر فى الحب وفى هذا الذى يحدث فى الجسم وبالتالى يغيره، وإنما فى المسكن الجديد والأولاد ومائدة بعد الظهر بالقهوة والكريم شانتى من أجل الآخرين الذين يجب أن يريهم الإنسان شيئاً.

أحياناً (نادراً) يفكر «إيريش» كذلك فى الكراسات المكتوبة كتابة معقدة عن الحرب العالمية الماضية. عن كثير من الأحداث التى وردت فيها ولم يعد العديد من الناس اليوم يعرفون عنها شيئًا. نَفَسُ التاريخ يلمس «إيريش». نادراً ما يفكر «إيريش» فى نساء.

«إيريش» لا يفكر فى «پاولا» أبداً، إلا إذا اضطر إلى ذلك؛ لأنها عندئذ تكون موجودة.

«پاولا» تفكر فى ابنها الناعم كالقطيفة. «پاولا» تفكر فى غرفة بيضاء فى مستشفى. «پاولا» تفكر فى أسرتها القديمة التى لا تناسب حياة «پاولا» الجديدة وليس لها مكان مناسب فيها إلا على أقصى تقدير فى غرفة بيضاء فى مستشفى يأتون كزوار ويلبسون أحسن ملابس أيام الآحاد. وأجمل شىء تستطيع «پاولا» أن تفكر فيه هو كيف ستندم أسرتها على الضرب المبرح الذى انهالت به عليها فى حياة أسوأ.

عندما ستكون الصور الفوتوغرافية قد تم تصويرها، ستغادر الأسرة حجرة المستشفى كما جاءت

وكأنها رجل. وبعد ذلك مباشرة سيقدم «إيريش» ورداً أحمر لن يكون حلماً أو غثاءً ، بل حلماً أصبح حقيقة.

ومن الطبيعى أن يكون هناك حسد، وأنه سيهنأ (١).

وهناك إذن كما نرى اختلافاً كبيرًا بين حاضر «پاولا» ومستقبل «پاولا»، وكذلك بين حاضر «إيريش» ومستقبل «إيريش»، وأيضاً بين حاضر «پاولا» وحاضر إيريش، وكذلك بين مستقبل «پاولا» ومستقبل «إيريش»، بل هناك اختلاف أكبر بين حاضر «پاولا» ومستقبل «إيريش» وبين حاضر «إيريش» ومستقبل «پاولا».

كيف يستطيع الإنسان أن يساوى - يوائم - بين هذه الأحداث ذات القيمة العالمية.

هنا يبدأ العمل الذى يكون على إنسان ما أن يؤديه، ثم يستولى عليه إنسان آخر ويمتلكه. وهنا يبدأ العمل الذى على الإنسان الآخر أن يؤديه ثم يستولى عليه الأول ويمتلكه. أما أن الاثنين يعملان فى نفس الوقت ثم يجنيان بعد ذلك منه الربح بالتساوى، فهذا شىء لا يؤخذ فى الاعتبار فى هذه الحالة. فالمواقف مختلفة أشد الاختلاف والأرباح والخسائر تتوزع بتفاوت أشد التفاوت، ذلك لأن «إيريش» قياساً على ميزاته البدنية وعلى جنسه محظوظ إلى أبعد

---

(١) الحسد سياتى للتهنئة. سبق أن نوهنا بطريقة الأنسنة اى جعل المفاهيم كالبشر تتحرك وتتكلم. فليس الحساد هم الذين يأتون للتهنئة، بل الحسد على هيئة ناس. (المترجم).

الحــدود. ويرجع ذلك إلى قــوة «إيريش» البــدنيــة ومظهـره الـذى تعـجب به بخـاصـة النسـاء اللاتى يقع عليهن الاختيار.

«إيريش» شىء [1] مثل والد «پاولا» أو أخى «پاولا» أو زوج أخت «پاولا»، شىء يوزع الضربات المبــرحــة ويعب الكحـول حـتى السكر، وإن لم تتح له حـتى الآن الفرصة إلا نادراً لأنه حتى الآن يُضـرب ضربـاً مبرحاً فحسب؛ أما عندما تتاح له عما قريب فرصة، أى تتاح له امـرأة، وهـو ما لا يعـرفـه بعـد، (فسيمارس الضـرب المبرح).

الضــرب المبـرح ممتع، وهـذا مـا لا يـعـرفـه «إيريش» بعد.

«پاولا» على العكس. أما «پاولا» فعلى العكس عانت كل سلبيات شكلها وجنسها. و«پاولا» لا تُعتبـر جميلة، وهى صفة لابد أن تتصف بها المرأة، ولكنها تعتبـر نظيفة مستنظفة.

والنظافة والاستنظاف يمكنهما أن يرفعا قيمة الإنسـان المرأة، ولكنهـمـا لا يحـدثان ذلك بالضـرورة حتماً.

فى حـين أن الخـيـاطة لا ضـرورة لهـا، ولا تتـصل بالموضـوع هنا، وليس لها أن تذكر قط، وهى على أية

---

(١) نلاحظ هنا تشيؤ أناس من البشر تسخر منهم يلينك لأنهم يقومون بأفعال وتصرفات تتنافى مع الإنسانية، وأبرزها عب الخمور حتى السكر والضرب المبرح، وهيمنة الذكور على الإناث، واستغلال الضعاف أسوأ استغلال، ومن هنا تتحدث الأديبة عن هذا الشيء لا عن هذا الإنسان. (المترجم)

حال ستختفى وشيكاً فى هوة سحيقة، ولن يحسب لها بعد ذلك حساب، فى حين أن هذه الخياطة إذًا تافهة كل التفاهة مقارنةً بالحياة والحب فيها، بينما هذه الخياطة لا معنى لها أساساً، ولا يمكنها أن تحل محل رجل ، ولا أن تهيئ امرأة لزوج قادم، ولا تفيد امرأة ما بشىء إذا كان لها زوج، فلا تأتيها بزوج إذا هى احتاجت، فى حين أن الخياطة لا تجعل امرأة سعيدة ، وهو ما يحققه رجلٌ فقط.

«پاولا» لن تكون لها عن طريق تعلم الخياطة قيمة. ولكنها عندما تكون دائماً نظيفة، تزيد قيمةً، توشك أن تصبح جميلة، وهو ما لابد منه لكى تعيش الحب. كان من الممكن أن تمتع الخياط «پاولا»، ولكن الواقع سمته الجد.

رجولة «إيريش» وجماله ومكسبه من حيث هو عامل خشاب فى مقابل أنوثة «پاولا» وقبحها، ولكن نظافتها. فى مقابل أجر الصبية المتدرجة الذى تحصل عليه. حب «إيريش» للموتورات السريعة من كل الأنواع فى مقابل حب «پاولا» لـ «إيريش». حب «إيريش» للكحول فى مقابل حب «پاولا» لـ «إيريش». حب «إيريش» لمغامرات الحرب العالمية الثانية فى مقابل حب «پاولا» لـ «إيريش». حب «إيريش» للدراجات البخارية السريعة والسيارات الرياضية فى مقابل حب «پاولا» لـ «إيريش» ولبيت خاص. حب «إيريش» للسرعة فى مقابل حب «پاولا» للحياة ولـ «إيريش». وكلاهما شىء واحد بالنسبة لـ«پاولا».

فى أثناء النزهة تمسك «بريجيتّه»

(فى أثناء النزهة تمسك «بريجيتّه») يد «هاينتس» على نحو مفعم بالحب وعامد إلى الامتلاك. فى كل دقيقة فراغ لا تنتمى مصادفةً إلى العمل، تحاول «بريجيتّه» متظاهرة علناً بالحب والهيام أن تمسك يد «هاينتس» وتضطر أحياناً أن تجرى بجانبه الساعات الطوال لكى تنال مرة فرصة أن يعطيها يده. عندئذ تمسكها مبسوطة كل البسط حتى إنها لا تطبع عليها قبلة.

ومسك اليد يكون قبل كل شىء آخر مهماً، عندما تكون نساء أخريات حاضرات يظهرن فجأة جامدات للخطر الذى تجسد واكتسى لحماً. بحياء تندس صغيرة متلصصة فى يد «هاينتس» وتتحدث عن الجو أو وضع العالم أو عن الأكل أو عن الطبيعة.

«هاينتس» يتظاهر أحياناً مباشرة كأنما لم يكونا هو و«بريجيتّه» إنساناً واحداً، وإن كانا هكذا. ألا يرى

هؤلاء النساء أننا فى الواقع واحد، أصبحنا واحداً، لا ننفصل، هذا ما تتساءل عنه «بريجيتّه» مدهوشة، عندما يعتبر نساء أخريات «هاينتس» جسماً خاصاً وروحاً خاصاً.

عندما يعتبر نساء أخريات «هاينتس» شيئاً لا يزال من الممكن الحصول عليه، على الرغم منه لم يعد من الممكن نيله؛ لأن «بريجيتّه» قد حصلت عليه، فهؤلاء النساء على غير حق وهن ضالات. لكل ماله.

ووقت الفراغ إن خلا من «هاينتس» لا يمكن أن يكون وقت فراغ. والعمل بدون «هاينتس» يكون مليئاً بالأخطار لـ «هاينتس» و«بريجيتّه». والعمل بدون «هاينتس» عقبة فى الطريق إلى «هاينتس».

لا نكاد نصدق كم يستطيع إنسان أن يكره إنساناً. لا تحتاج «بريجيتّه» إلا إلى أن تنظر إلى «هاينتس» فإذا هى تكرهه من جديد.

«بريجيتّه» تكره «هاينتس» لأسباب كثيرة منها أنه يصعّد فى داخله شعوراً جسدياً حيال «بريجيتّه» فى الوقت الذى تود فيه «جيتّى» [1] أن تتكلم على سجيتها عن مشكلاتها النفسانية، التى تجر وراءها بيتاً صغيرًا بحديقة. دائماً عندما تود أن تقلب ما فى أعمق أعماقها إلى الخارج وأن تتقيأ كل الكلام المألوف عن السعادة والمستقبل ورعاية الرضيع والغسالات الكهربائية، يتصرف «هاينتس» كما لم يكن له مخ، بل .... فقط.

---

(١) «جيتّى» صيغة تدليل من «بريجيتّه». (المترجم)

ألن يرى «هاينتس» فى «بريجيتّه» إلا مجرد جسد وألن يرى كل التنوع الذى يكمن وراءه؟

لقد أجهدت «بريجيتّه» حروب وأزمات دولية لكى توضح أن الإنسان يحتاج بالضرورة إلى إنسان آخر يعينه بدوره على التغلب على كل هذا الذى يتعرض له.

و«بريجيتّه» تفكر، رباه لَكَم أكره «هاينتس» لهذا السبب.

«هاينتس» مسرور لأنه وجد فى النهاية إنساناً يقهره. ما يكاد «هاينتس» يلمح «بريجيتّه» حتى يتهيأ ويأخذ وضع الاستعداد. وبينما «بريجيتّه» لا تزال تشرح له أنها تحبه وأنها فى الوقت نفسه تحس بشىء من الاحترام حيال نجاحه فى مهنته، وبينما «بريجيتّه» لا تزال تهيم بأفكارها عن الحب والاحترام إلى حفل القران وتجديد البيت، وقبل أن تأخذ أهبتها، يكون «هاينتس».... قد اقترب ....

......

«بريجيتّه» تكره «هاينتس» كرهاً شديد العنف.

....

«بريجيتّه» تدع «هاينتس» يعتقد أنه كارثة طبيعية.

«هاينتس» يزفر كذلك حتى ترى «بريجيتّه» كم يبذل الجهد من أجلها وكم هو قوى.

«هاينتس» يزفر عن قوة لا عن حب.

فى الحب يفهم «هاينتس» القليل من الهزل، أما

فى القوة فلا يعرف هزلاً. عندما يكون للإنسان محل عمل خاص، يكون عليه أن يعتمد على نفسه وحده، أقصى ما يقبله أن يكون هناك آخر يشارك فى البداية برأسمال (للانطلاق).

فى الحب لا تفهم «بريجيتّه» هزلاً. أكثر الأشياء جَداً تلك التى يمكنها دون رأسمال انطلاق أن تعملها من أجل محل عملهاالخاص.

«بريجيتّه» لا تعلق على الحب إلا أملاً غامضاً ....

«بريجيتّه» تقول لـ «هاينتس» جميل أن يكون الإنسان معك، حتى إن الإنسان لايضيره أن يموت. أما فى أثناء العمل فأنا لا أود على أية حال أن أموت، يا «هاينتس»، وإذا لم يكن من الموت فى العمل بُدٌّ، فليأت على الأقل قبل العمل.

تفضيلات «پاولا»

«پاولا» تفضل الحياة و«إيريش». الاثنان عند «پاولا» شيء واحد. فلندخل فى الموضوعين!

عندما يبرح «إيريش» أخيراً الحجرة المطبخ النظيفة عند والدى «پاولا»، وفى قلبه موتورات، وفى معدته جاتوه جوجلهويف وخمر الاشنپص، ورأسه خاوٍ ليس بداخله شيء لأنه أبلغ كل ما كان عليه أن يبلغه، لم يعد يذكر على الإطلاق أى شخص من الأحياء، لم يعد يذكر «پاولا»، وإنما كانت لديه ذكرى مهوشة عن امرأة عملت معه كل ما كانت النساء يفعلنه معه دائماً، أى أعطته طعامًا أكله، ثم أعطته طعامًا أكله، ثم أعطته طعامًا أكله، وخدمته أكمل خدمة، وكأنه تمثال قديس يضع الناس أمامه أصص زهور. ولهذا لم تكن لديه ذكرى عن إنسان ما، بل ذكرى عن آثار ما فعله هذا الإنسان، ألا وهى دفء لطيف فى المعدة من خمر الأشنپص وتخمة حلوة فى المعدة أيضًا، من الجاتوه.

كذلك القهوة لم يكن بها بأس، فقد كانت من البن الأصلى.

كل هذا بالنسبة إلى «إيريش» منفصل تماماً عما يفعله دائماً مع المصطافات، اللاتى هن بالنسبة إليه أشخاص حقيقيون أحياء؛ لأنهن يستطعن دائمًا أن يخترن بين إمكانات مختلفة كثيرة، على سبيل المثال الذهاب إلى الشلال أو الصعود فوق الجبل أو الذهاب للرقص أو للبولينج. مثل هذا القَدْر من الاختيار الحر يخيف «إيريش».

إلا أن هؤلاء المصطافات ضِرْبٌ من النساء مختلف كل الاختلاف، أو هن نساء أخريات، أما ماما و «پاولا» فربما لم تكونا نساء أو العكس، المصطافات إذًا نساءٌ من ضِرْب آخر مختلف كل الاختلاف، فهن لا يقدمن إلى الإنسان بلا انقطاع شيئاً، ولو يتولين أمر رعايته، بل هن يردن أن يعطيهن الإنسان شيئاً، وكثيراً ما يكون معهن مال، وما هن بنساء للزواج كما يقول الكثيرون نقلاً لكلام سمعوه.

وعلى العكس منهن: النساء اللاتى لا يردن علاقة حميمة إلا بعد الزواج، وهو شىء لا يستطيع على الرغم من ذلك إلا القلة القليلة التمسك به أمداً كافياً لبلوغ النجاح. ولهذا السبب يفكر «إيريش» فى نوعين من النساء، إذا ما فكر فى النساء أصلاً، وهو ما لا يفعله إلا إذا كانت هناك حاجة، وإن وجدت فلا سبيل إلى إرضائها بالتفكير، «إيريش» إذًا يفكر فى نساء

لسن بالنسبة إليه نساء، لأنهن مثل ماما التى لا جنس لها يدفعن إليه دائماً بما يلتهمه وما يشربه، ويفكر فى نساء لسن بالنسبة إليه نساء؛ لأنهن لا يجوز لهن أن يكنَّ نساء، لأنهن يقمن علاقات حميمة مع أى رجل دون أن يكن عاشقات له، أو مخطوبات إليه أو متزوجات به، ويستحيل عليهن أن ينظفن بيتاً كاملاً .

إلا أن القلة القليلة منهن هن اللاتى لديهن بيت كامل. أياً كان الأمر فإن «إيريش» يستوى عنده أن تكون هذه أو تلك امرأة أو لا تكون أو تكون شىء آخر.

«إيريش» لا يفكر على الإطلاق فى نساء، أو إذا فكر ففى نساء لسن نساءً، ولهذا فليس هناك فى فكر «إيريش» نساء لأن النساء اللاتى عرفهن لسن فى الواقع نساءً.

«إيريش» يحس بتأثيرات النساء، لا بالنساء أنفسهن. ولهذا السبب، ولأسباب أخرى كثيرة لا يفكر«إيريش» إلا فى موتوراته وحدها دون ما سواها.

لهذا السبب، ولأسباب أخرى أيضاً كثيرة، تفكر «پاولا» فى هذه اللحظة فى «إيريش» وكيف يمكنها أن تصبح زوجته، وهو أمر سيكون صعباً ولكنه لابد من أن يكون ممكناً.

فى الوقت التالى تتأوه [1] الخيَاطة الأفضل التى تحولت فجأة - دون أن تستطيع أن تعرف لماذا - إلى خيَاطة أسوأ، خيَاطة منقبضة: يا «پاولا» إذا كففت عن الاهتمام بى كما تهتمين بى الآن، فلن أستطيع عما قريب أن أصبح الحياة الأفضل [2] بالنسبة إليك كما كانت نيتى أصلاً. لن أستطيع أن أكون بالنسبة إليك فجأة، دون أن تلحظى بحق، قطعة من حياتك بعد ذلك.

إلا أن «پاولا» لم تعد تنصت بحق إلى الخيَاطة الأفضل.

ذلك أن «پاولا» فى أثناء عكوفها على الخيَاطة الأفضل، تفكر فى الحياة الأفضل، تلك التى ستكون يقيناً مع «إيريش» أسرع من الحياة الأفضل التى ستكون بعد عامين عندما تكون قد فرغت من التعلم. أما أفضل حياة فربما كان من الممكن أن تبدأ غداً!

«پاولا» مستعدة فى كل وقت.

لا يزال الأفضل إطلاقاً أفضل مما هو أفضل من غيره.

أفضل من هذا هو أن يرى الإنسان سعادته فى شخص آخر مختلف عنه، كما بحثت ماما والجدة

---

(١) نلاحظ أنسنة الخيَاطة فهى تتأوه وتتكلم الخ كما لوكانت إنساناً. (المترجم).

(٢) نلاحظ فى السطور التالية تكراراً لافتاً للنظر لكلمة أفضل وتنويعاتها. (المترجم).

وأختى عن سعادتهن فى شخص آخر ولم يجدنها قط، أفـضل من هذا هـو أن يرى الإنسـان سـعـادته فـى شـخص آخـر، وأن يجـدها فـيـه، هـذا أفـضل من أن يصنع الإنسان سعادته بنفسه، أو من ألا يجد سعادته، ويضيع شبابه هدراً.

أفـضل من هـذا أن تكون السـعـادة مـصنوعـة من إنسان إنسانى، على أن تكون مصنوعة من حرير غير إنسانى أو قطن غير إنسانى أو تيل غير إنسانى (١).

كيف تصبح زوجة لـ «إيريش» يعترف بها امرأةً؟ فلا ثنيات ولا عراو ولا غرز أچوريه ولا غرز معكوسة خلف خلاف، ولا غرز ملفوفة مقلوبة، أو العمل فقط بنصف قلب.

«إيريش» يحش الحشيش طعاماً للبهائم.

«إيريش» يحش الحشيش طعاماً للبهائم (٢).

اليـوم هـو اليـوم المائة ألف فـيـه «إيريش» يحش الحشـيش طعامـاً للبهائم. بجانب عمله فى الخشب على «إيريش» دائمـاً أبداً أن يحش الحشـيش طعامـاً للبهائم. وأن ينجز غير ذلك الكثير من الأعمال من قبيل حش الحشيش طعاماً للبهائم، وتنظيف الحظيرة من الروث، ونقل الروث إلى المرعى، ثم حش الحشيش

---

(١) تكرار كلمة إنسان وتنويعاتها من قبيل إنسان إنسانى وإنسان غير إنسانى إلخ (المترجم).

(٢) تكرار السطر نفسه مرتين، على طريقة الموسيقى دلالة على الكثرة والإلحاح. لاحظ التكرار فى السطور التالية أيضاً. (المترجم)

طعاماً للبهائم مرة ثانية، ثم مرة أخيرة يحش الحشيش طعاماً للبهائم وإنجاز غير هذا وذاك م أعمال كثيرة.

«باولا» تزور أم «إيريش» والأشخاص المحيطين بها، وهم فى الحقيقة أشخاص محيطون بـ «إيريش»، كل شىء يدور حول «إيريش» هو المركز، الذى يحش الحشيش طعاماً للبهائم، كأنما كان يفعل ذلك كل يوم. نهاركم سعيد، آتيكم بكيكة مع أجمل تحية من ماما. كلوها بالهنا والشفا.

أم «إيريش» تندهش، فليس من المألوف إن كان لدى الإنسان شىء أن يعطى منها طواعية قطعة مهما صغرت، هذا ما لم يحدث من قبل قط، لأن كل واحد هنا يحاول أن يأخذ، ولا يحب أن يعطى فى المقابل شيئاً، ولأن كل واحد هنا يحاول قدر الطاقة أن يأخذ دون مقابل. ولما كان كل إنسان يعرف بصفة عامة أن الإنسان لا يمكنه أساساً أن يحصل على شىء بلا مقابل، ولا حتى أعتى البلايا، فهذه أم «إيريش» تندهش، أن تأتى كيكة فجأة بلا مقابل سيراً على الأقدام وتدخل عليها البيت بكل بساطة. شكراً جزيلاً. مع أجمل تحية. ولكن هذه، كما يقولون، فرصة أن يحصل الإنسان على شىء هدية، أراهن واحد لمليون، هكذا تغوص أم «إيريش» فى تفكير أعمق. ماذا تريد هذه البنت يا ترى أن تحصل عليه فى المقابل؟ ما الشىء الذى نملكه، وما قيمته، الشىء الذى يمكنها أن تتوقع لمجرد لحظة أننا قد نعطيه

وأنهـا يمكن أن تنالـه؟ لا بد من أن يكون على الأقل أكثر قيمة قليلاً من الكيكة، فالإنسان فى نهاية المطاف يريد دائماً أبداً أن يسترد شيئاً أكثر مما يدفع على سبيل الاستثمار. لا يمكن أن نتوقع جادةً أن يكون لدينا شىء ما، حتى لو كان ما تحت الأظافر من سواد، نعطيه بلا مقابل، ففى مقابل قطعة من الكيكة تأخذ منا على أكثر تقدير قطعة سمينة من اللحم المقدد، فاللحم الأعجف نأكله نحن، وهى لم تقل من قبل قط إنها تود أن تحصل على قطعة من اللحم المقدد أو بعض البيض أو برطمان كومپوت البرقوق. أم هل تراها تريد أن تحصل على برطمان من المربى التى صنعتها أنا بنفسى؟ إذا كان هذا ما تفكر فيه، فعليها أن تأتى بتورتة وراء تورتة تلفعها حتى يسوّد وجهها من التعب، هذا ما يخطر ببالى عندما أفكر فى الجهد الجهيد الذى بذلته فيها. خيرٌ لها أن تأخذ مما عندها من مربى!

«پاولا» تمسك زمام حياتها بيدها. لم تَجْن حتى الآن إلا عدم الفهم والنكران وفقدان الثقة.

ولكن «پاولا» على الرغم من ذلك نشيطة كل النشاط. فهى تقطف الزهور طالما كانت مزدهرة بل ربما قبل ذلك. فهى تحديداً تتفتح فى كوب الماء أو فى الزهرية الخزفية الجميلة فى الحجرة المصونة. وفيها الشخص وحده أو الزائر المحبب ينال شيئاً منها.

ثم يأتى اليوم الذى يتضح فيه أن المربى لا يمكن أن تكون هى السبب. لو كان السبب هو تحديداً المربى

لكانت «پاولا» بعد قطعة الكيكة الثامنة قالت شيئاً ما عن المربى. ولا يمكن أن تكون حمقاء إلى هذه الدرجة تأتى بعشر قطع من الكيك تتعب نفسها فى حملها من أجل برطمان مربى، إذا كان فى مقدورها أن تحصل عليه فى مقابل ثمانى قطع فقط!

ماهذا الذى تريده «پاولا» إذًا، وتريد منه قدراً كبيراً إلى هذا النحو؟

«إيريش» يحش الحشيش طعاماً للبهائم من جديد. هل أستطيع أن أساعدك فى حمل علف البهائم، سؤال وجهته «پاولا». وهى لا تلبس ملابس تناسب حمل علف البهائم، بل تناسب على الأحرى الذهاب إلى الكنيسة، ولكنها لا تذهب إلى الكنيسة أبداً؛ لأن والديها كذلك لا يذهبان أبداً، لأن الإنسان لا يحصل على شىء فى مقابل الذهاب إلى هناك. «إيريش» ينظر إلى «پاولا» كما ينظر الإنسان إلى خنفساء لا تسبب ضرراً، لا يكون عليه بالضرورة أن يدوسها للقضاء عليها إذا كان معتدل المزاج. «إيريش» ينظر إلى «پاولا» وكذلك لا ينظر إليها. ستبقعين فستانك ببقع الحشيش، هذا ما قاله، إنك تبدين كأنما كنت تحديداً تريدين الذهاب إلى الكنيسة. يمكنك أن تذهبى تواً إلى الكنيسة بهيئتك هذه. لا، سأساعدك يا «إيريش»، فعليك دائماً أن تقوم بعمل ثقيل على هذا النحو! نعم ، ثقيل هذا العمل، ولكن من الخير أنك تقوم به فى الهواء الطلق، فأنا أكاد أموت من العمل فى هذه المصانع، فى الهواء الردىء المحبوس الذى تعمل فيه حتى النساء، وتدخل «إيريش» فى الكلام

قائلاً، وهن ضعيفات ضعفاً شديداً. وردت «پاولا» على ما قاله «إيريش» قائلة: أنت على حق، وتذبذبت نبرة جديدة بينهما، نغمة تفاهم، فالعمل فى الهواء الطلق أصح من العمل فى المصنع، وهذا ما قرأته أنا أيضاً.

لم يقرأ «إيريش» هذا؛ لأنه لا يقرأ إلا كراسات عن الحرب العالمية، ولكن «إيريش» سمع أيضاً من قبل أن العمل فى الهواء الطلق أصح وأكثر حرية. وتدخلت «پاولا» فى الكلام قائلة، أنت على حق، الهواء الطلق والعمل فيه يجعلا الإنسان قوياً، سليماً، وأحمر الخدين. وأنت يا «إيريش» بحق قوى. وصحيح البدن. كانت هذه أول محادثة فعلية بين «إيريش» و«پاولا»، محادثة يقول فيها واحد شيئاً، ويرد الآخر عليه برد مناسب من حيث المعنى. فى هذا اللحظة خالجت «إيريش» فكرة مفادها أن «پاولا» يمكن أن تكون شخصاً كما أنه هو شخص.

أدرك «إيريش» لب المشكلة على نحو عابر.

أما أمه فهذا هو «إيريش» يعبر على لب المشكلة بالنسبة إليها عبوراً. لا يشعر «إيريش» من أمه إلا بالتأثير: إعداد الطعام، التنظيف، صب اللعنات، التهديد بالضرب المبرح، التنظيف وإعداد الطعام مرة أخرى.

وأما «پاولا» فقد ردت بإجابة عن شىء قاله «إيريش».

تلك تجربة مارس فيها «إيريش» مباشرة معايشة نتيجة تصرف من تصرفاته.

ولهذا سمح لـ«پاولا» أن تساعده فى حمل القفة.

هذه هى اللحظة التى يعمل فيها «إيريش» و«پاولا» عملاً مشتركاً معاً، على وجه التحديد أن يحملا قفةً مملوءةً بالحشيش علفاً للبهائم.

عندما يعمل «إيريش» و«پاولا» فى المستقبل شيئاً مشتركاً معاً، فسيحبسان نفسيهما أو يذهبان إلى داخل الغابة.

لن يكون لأحد فى المستقبل أن يراقبهما، عندما يعملان معاً شيئاً مشتركاً.

أحياناً فى المستقبل أيضاً سيكمل «إيريش» و«پاولا» بعضهما بعضاً، مثلاً عندما يسدد «إيريش» إليها ضربات مبرحة وتتلقى «پاولا» منه ضربات مبرحة، أو عندما يمرض «إيريش» وتمرّضه، أو عندما يقومان معاً بنشر الخشب، أو عندما تطبخ «پاولا» ويأكل «إيريش».

كثيراً ما تخرج من فم الشعب نكت هزلية عن أناس من نوع «پاولا». والخلاصة التى تخلص إليها هذه النكت هى أن النساء، مهما كن من الحمق، لكنهن مع ذلك حبّوبات.

لكنهن مع ذلك حبّوبات.

وفى مواضع أخرى تقول النكت كذلك، إن الرجال، مهما كانوا من الوحشية واللؤم والخبث والمكر، لكنهم مع ذلك حبّوبون.

فى هذه اللحظة تبدأ أم «إيريش» فى التفكر فى المشاركة فى حمل القفة. ويحدث هذا فى هذه المرة بسرعة على الرغم من أن مخ أم «إيريش» غير متمرس.

«پاولا» لا تريد إذًا زيداً ولا جبناً، ولا لبناً ولا نبيذاً ولا مربّى. «پاولا» تريد الشخص الذى يشارك مشاركة حاسمة فى جلب هذه المنتجات، بماله وبقوة عمله، ألا وهو: «إيريش».

لكنهن مع ذلك حبّوبات!

لا (لسن حبّوبات) !هذا هو ما تفكر فيه أم «إيريش».

ذات يوم كانت «بريجيتّه» و«هاينتس» [1]

مرة أخرى مشغولين، حيث فتح «هاينتس» السوستة على ظهر «بريجيتّه»، فجأة كان ظهر «بريجيتّه» مكشوفًا كله فى نور النهار، ويقول «هاينتس»، ليس جميلاً جمالاً يمكن أن يجعل الإنسان يكشفه فى ضوء النهار.

ومع ذلك فقد أخذ، وقد مسه كل هذا الحماس العقيم، «بريجيتّه» بسيارته بعيدًا إلى بيت والديه الصغير بالحدائق الشريبرية الهامشية [2].

---

(١) كثيراً ما تعتبر يلينك العنوان جزءاً من الجملة التى يكملها مطلع الفقرة التالية. (المترجم).

(٢) حدائق صغيرة على هيئة المستعمرة، كانت فى القرن التاسع عشر تقام على هامش بعض المدن الكبيرة لمن يسكنون فى المدينة مساكن بلا حديقة، ويحتاجون إلى متنفس وزهور وأشجار فاكهة، ويحظر فيها عادة بناء البيوت، ويستثنى من ذلك الشاليهات الخفيفة الصغيرة، التى ربما تحايل أصحابها ووسعوها، فكر فى إنشاء هذه الحدائق رجل اسمه شريبر Schreber (١٨٠٨ ـ ١٨٦١)، وما زالت موجودة، وهى علامة على أن أصحابها من محدودى الدخل أو صغار البورجوازيين. (المترجم)

وإذا كان للإنسان بيت صغير فى حديقة شريبرية فتلك سعة كبيرة جدا، ولكن ربما اتسع البناء وارتفع ليكون بيتاً لعائلة أو لعائلتين. ومن شأن البيت الصغير فى الحديقة الشريبرية على ضآلته أن يحفز «هاينتس» على الصعود إلى بناء أعلى. ليس المقصود ألا يفكر وأن يترك التدبير لرب التدبير، بل أن يدع آخرين يفكرون، وأن يقوم هو بالتوجيه.

الأب والأم يعرفان ما فيه الخير لـ «هاينتس».

لهذا فهما يستحسنان أن تدخل «زوزى»، التلميذة بالمدرسة النسوية الثانوية، فى الحياة المشتركة.

«زوزى» تدخل إذًا دخولاً كاملاً وتعرض للخطر بذلك فى الوقت نفسه الحياة - لا نقول الصائرة - فى «بريجيتّه»، بل التى تُرجى لها الصيرورة.

«زوزى» شىء رفيع، و «بريجيتّه» ليست كذلك.

لايمكن أن يقارن الإنسان بين الاثنتين. هذا مستحيل.

من الممكن أن يحب الإنسان هذه أو تلك، وعلى «هاينتس» أن يقرر.

هل يفضل هذه أم تلك.

عندما يقرر اختيار «زوزى» وكل ما هو رفيع، سيعطيه والداه رأسمال جميلا يبدأ به الحياة الزوجية، سيعطيانه على وجه التحديد كل ما وفراه طوال حياتهما كلها. وليس هذا بالكثير، ولكنه جميل.

«بريجيتّه» تذهب إلى مصنعها لإنجاز كمية الإنتاج الإلزامى المحددة. «زوزى» تذهب إلى مدرستها النسوية الثانوية لحصص الطهى. «زوزى» أصبحت من الآن مبكراً امرأة صغيرة بحق بكل العيوب الصغيرة والنقائص التى تَسِم أية امرأة والتى علمتها إياها أمها نفسها بجهد جهيد بجرعات صغيرة متواصلة، وهى نقائص كثيرة. ما يكاد الإنسان يلقى «زوزانه» (١) حتى تتكلم عن وصفات أصناف الطبيخ. إنها تتحرك فى بيئة يُعتبر الحديث فيها عن وصفات الطبيخ موضوعاً من الموضوعات اليومية. اليوم مثلاً تحكى أن رقائق اللوز التى أعدتها مؤخراً كان شكلها مغرياً ولكن طعمها كان منفراً. وعلى الرغم من ذلك فقد أكل بابا بعضاً منها حتى لا يمس كرامة ابنته العزيزة؛ لأن كرامتها كلها فى الطهى. لقد بذلت فى إعدادها جهداً فائقاً ودهنتها حتى ببياض البيض لكى تكتسب لمعة جميلة، وهاهى ذى جميلة الشكل ولكن طعمها ردىء، أف. كذلك أخوها الكبير «هاينتس» يُلَسن بأسلوبه، أسلوب تلاميذ المدارس الثانوية، الذى تتكرر فيه كلمة نيلة (٢) مرارًا وتكرارًا، وهى التى تحس «بريجيتّه»

---

(١) عن الفرنسية والإنجليزية = سوزان . اسم زهرة بالعربية= سوسن. (المترجم)

(٢) الكلمة الألمانية معناها الحرفى براز ولها مقابل فى اللغة العامية الدنيا، يستخدمه السوقة، والمعروف أنها منتشرة على المستوى الاجتماعى اللغوى المنحط ليس فى ألمانيا وحدها، ولكن فى فرنسا والبلاد الناطقة بالإنجليزية، ولكنى أفضل استخدام كلمة «نيلة» فهى كافية للدلالة على المعنى. وعبارة يلينك ساخرة، تسخر من الذين يذهبون إلى المدارس ليتعلموا لغة لائقة فتصبح كلمة «براز» ومشتقاتها علامة مميزة للغتهم. ومن قائل إن هذه الكلمة تدل على اتجاه تمرد جرىء. (المترجم).

طوال الوقت بهذه الكلمة القذرة تحرقها فى فمها فهى تمنع نفسها غضباً من النطق بها. أَخْرجى يا «بريجيتّه» القذارة من فمك وإلا اختنقتِ بسببها!

بابا قال: استمرى فى التدرب على الطهى يا «زوزانه»، بالأمس طبختِ المكرونة الإشپيتسلى [1]، صحيح أن منظرها كان بشعاً، ولكن طعمها كان فى المقابل لذيذاً، طعمها كان كأن التى طبختها ربة بيت حقيقية صغيرة. وقالت «زوزى» وهى تثرثر مع «هاينتس» الذى تمدد على الكرسى الطويل: ثم قال بابا أيضاً، آه، ثم قال بابا أيضاً، ولمّا كنت قد أصبحت ربة بيت حقيقية صغيرة يا «زوزى»، فعلى الإنسان أن يكون متسامحاً معك فيما جرى على رقائق اللوز، ولكنك نظراً لأنك لا تزالين بنتاً صغيرة، تحديداً: بنت بابا الصغيرة، فلابد من أن تعاقَبى. لن تخرجى مساء اليوم من البيت. وسنتمرن معاً على الطبيخ، فتقتربين خطوة مهمة من ربة البيت.

النهاية.

والدا «هاينتس» يتنافسان فى الابتهاج الذى يشع من وجهيهما عندما لاحت لهما فى الأفق ومضة. أسرة «زوزى» مباشرة حبلى بالمستقبل، عندها ابن فى المدرسة الثانوية، بل وابن آخر فى الجامعة! الأمل

(١) الإشپيتسليه Spätzle نوع من المكرونة المنزلية المنتشرة فى بعض مناطق جنوب ألمانيا والنمسا وهى تشبه الشعرية البلدية التخينة. (المترجم)

معقود على أن يكون ابننا «هاينتس» مسلحاً لكل هذا. ونحن قد أعطيناه تسليحاً جيداً. تدريباً عملياً مهنياً متيناً وأفكاراً فى أن يكون له محل خاص به.

تعارف الاثنان («هاينتس» و«زوزى») فى حمام سباحة على الشاطئ، وهو مكان تتلامس فيه اهتمامات كثيرة، إنه نقطة التقاء كل الطبقات والمذاهب والاتجاهات.

«زوزى» إنسانة لها اهتمامات. «زوزى» تهتم بكتب الجيب والسينما. وهى تهتم بالناس الذين يهتمون بنفس كتب الجيب والأفلام أو أشباهها. يتبع ذلك مباشرة أن يستطيع هؤلاء عندئذ أن يختاروا وأن يتخذ قرارات بشأن اختيار كتب الجيب والأفلام. «زوزى» تهتم بنفس الشىء، بالشىء الذى قد صارت هى إليه. تكاد أن تكون تلك مهمة حياتية أن يختار إنسان بين فيلمين مختلفين فيلماً يود أن يشاهده مع آخر، أن يشاهداه كلاهما معاً. يتملك الإنسان على الفور الشعور بأن الكون يدور حوله.

«زوزى» تهتم كذلك اهتماماً شديداً بالطهى. وليس هناك ما يقال فى هذا الشأن؛ لأن الاهتمام بالطهى صحيح ومهم. للبشرية كلها التى تمسها «زوزى» كذلك أحياناً فيما يدور من أحاديث. «زوزى» يمكنها أن تمسها لأن لديها الرؤية الشاملة.

عندما يسأل الإنسان «زوزى» : غامق أم فاتح ، تقول: وسط.

وتضحك ضحكة حبّوبة.

«زوزى» شىء وسط، وهو الأضمن؛ لأنه ليس فوق وليس تحت. فى الوسط لا يكون على الإنسان أن يتحمل ضغطاً مفرطاً، ولا يكون عليه من الناحية الأخرى أن يقوم بالكثير المفرط من العمل الرائد.

وهى فى المدرسة الثانوية النسوية فى موضعها الصحيح.

ولا تكون الإنسانة (١) فى موضعها الصحيح إلا مع الزوج الصحيح. والزوج الصحيح يكون مثلها أو أحسن قليلاً، وعلى أحسن الإمكانات أفضل كثيراً منها. والإنسانة تكون فى وضع مائل سيئ إذا كان زوجها دون مستواها. ومستوى «زوزى»، كما ترى «زوزى»، مستوى مرتفع.

فرغت «زوزى» بسرعة الريح من تقييم كل شىء. تعلمت «زوزى» هذا من أمها التى لا تفعل طوال اليوم شيئاً آخر غير التقييم والقياس والوزن والعد. والنتيجة أن «هاينتس» أقل. تلك كلمة قاسية، ولكنها نهائية.

وعلى الرغم من ذلك فمن المفيد لبنت مثل «زوزانه»، متعطشة للمعرفة أن ترى الكثير من البشر

---

(١) كثيراً ما تستخدم يلينك كلمة man ومقابلها فى العربية الإنسان أو الواحد أو الشخص دون تحديد لماهيته، ودون تحديد للجنس، ولكن بعض الجمل لا تستقيم بكلمة إنسان إذا كان المقصود هو يقيناً المؤنث، وهنا نستخدم أحياناً لفظة إنسانة.)المترجم)

المختلفين والذين يكادون فى واقع الأمر أن يكونوا متطابقين، متساوين، وبالتحديد على مستوى دون مستوى «زوزى»، إلى حد بعيد، تراهم على تل واحد.

بينما تقوم «زوزى» بالقياس والوزن تتثنى تثنى المرأة على الكرسى الطويل. لم تعد بنتاً صغيرة، بل أصبحت امرأة تماماً، كما يلاحظ الإنسان ذلك بدقة عندما يراها تتثنى.

«زوزى» تشعر بالتسامح حيال «بريجيتّه». وبدافع من التسامح تود «زوزى» أن تعلم «بريجِيتّه» مبادئ فنون الطهى، فلا تجنى إلا النكران والإنكار. وتعود «زوزى» إلى الصمت وقد ألم بها شىء من الضيق. خسارة، فى هذا اليوم الصافى الجميل.

«بريجيتّه» ينتابها فى التو والساعة غثيان بمجرد أن ترى روب حمام «زوزى» الناصع البياض وشعرها الأشقر الطويل. ورد فعلها هذا الذى يثير الاهتمام يختلف كل الاختلاف عن رد فعل «هاينتس». «هاينتس» أدرك تَمَيُّز «زوزى»، ولهذا سيصبح ذات يوم رجل أعمال جيد. «بريجيتّه» لا تستطيع أن تدرك تميزاً، ولهذا فمن الممكن ذات يوم أن تضيع.

«زوزى» لا تشعر بكراهية نحو «بريجيتّه»؛ لأن أفكارها تدور حول التورتة اللينتسية (١) وكَيكة ظهر

---

(١) التورتة اللينتسية Linzertorte تورتة منسوبة إلى مدينة لينتس النمساوية عليها مربى موزعة على تقسيمات صغيرة بشكل المعين أو متوازى المستطيلات . (المترجم)

الغـزال المغـرّزة [1]. الكراهيـة على اختـلاف أشكالها غـريبـة على «زوزى». «زوزى» بنتٌ ودودة وروحـهـا فى بيتها.

هل يرى حائزو بيوت حدائق الشـريـرية الصـغيـرة المجتمعون أن «زوزى» تهمهم بعض الشىء لأنها ودودة. ليس هذا صحيحاً. فـ «زوزى» لا تهمهم فى شىء.

خـلاصـة الموضـوع فى رأى «زوزى» أن «هـاينتس» ووالديه كثيـراً مـا يكونون وقـحين وقليلى الأدب، وهو شىء عليهم أن يفكروا فى إصلاحه، فلا فـائدة فى أن يكون الإنسـان فظاً وقـحـاً إذا كان فـى استطاعتـه أن يكون ودوداً فى نفس الوقت أيضـاً. هـذا مـا تـراه «زوزى» السعيدة.

فى محيط «بريجيتّه» يكره كلٌّ واحد المنافسة بكل أشكالها. فى دوائر «بريجيتّـه» تعتبـر الكراهية شيئاً مـهـمـاً بارزاً. «بـريجيتّه» لا تسـتطيع أن تحب كل من يكون على شـاكلتهـا، فـهـذا من شـأنه أن يخـرب كل شىء.

فى مـحـيط «زوزى» يسـود الحب الذى يجب أن يسـود فى العـالم كله، والذى لا بد من أن تصـمـت الكراهية أمـامه. «زوزى» حبّوبة جداً حيال «بريجيتّه» لأن «بريجيتـه» لا تهمـهـا فى شىء مثل قطعـة خشب

---

(١) كيكة ظهر الغزال المغرّزة bespickter Rehrücken نوع من الكيك المشهور فى النمسا وهو يعد فى قالب مستطيل، ثم يزين بكسوة من الشوكولاتة وعلى الجانبين حليات بيضاء متقطعة وكأنها غرزت بالمسلة بغرز متوالية. (المترجم)

عفنة. «بريجيتّه» تكره «زوزى» كما يكره إنسانٌ ما كلَّ الكرّه أساساً شيئاً معيناً يلبس روب حمام أبيض بياض الثلوج.

طلبوا من «بريجيتّه» أن تُرى «زوزى» الحديقة وأشجار الفاكهة بها. «زوزى» تصفق من شدة الفرح. «بريجيتّه» ترتعش أمام كل شجرة برقوق، إنها لا قدر الله ترِيد أن تأخذ منى هذه الشجرة التى تكاد أن تكون ملكاً لى، هذه الشجرة بالذات، وهذه، وهذه، وهذه! سأقتلك يا «زوزى» إذا أردت أن تأخذى منى أشجار فاكهتى المستقبلة، تلك التى تكاد أن تكون الآن ملكى، وإذا أردت أن تأخذى منى حياتى المستقبلة التى اسمها «هاينتس»، وإذا أردت أن تأخذى منى بيتى المستقبل الذى اسمه «بريجيتّه وهاينتس»، إذا أخذت كل هذا منى سأقتلك، تأكدِى من ذلك!

«زوزى» تنط طايرة فرحانة من خلال النجيلة. دون انتباه منها تطأ زهور الأراولا والداليا وزهيرات الحديقة، طق طق. «بريجيتّه» ترتمى على الأرض وتقيم بعناية زهور الأراولا والداليا وزهيرات الحديقة، عسى ألا تكون بينها زهور انقصفت ولم يعد من الممكن إصلاح حالها. عسى أن تنط نطة تطيرها إلى الخارج، بعد هذا الذى فعلته.

«بريجيتّه» تحافظ بكل جسمها على مِلكها الذى سيكون ذات يوم ملكاً لها. عندما لا يكون الإنسان قد امتلك ملكاً خاصاً من قبل قط، فإنه يدافع عن الملِك

الافتراضى كما يدافع عن حياته ذاتها. فهى ترتمى على شجيرات الكِشمش [1]، لتحميها من يد «زوزى» التى استبدت بها الوقاحة منذ قليل فأرادت أن تقطف ثمرة منها. ففعّصت «ب» بجسمها الغشيم عدة كيلوجرامات من ثمار الكِشمش الحمراء. تدفع رأسها ثمناً لها!

«زوزى» مندهشة. تقول أنا أستطيع أن أشترى الكِشمش فى كل مكان عندما أريد. «بريجيتّه» تقول نعم، ولكن هذا الكشمش هنا مِلكى. مِلكى. مِلكى. ومِلكى هو مِلكى.

و«هاينتس» هذا مِلكى. مِلكى. مِلكى.

وسأمتلك ذات يوم بيتاً، سيكون أجمل بكثير من هذا البيت الصغير البسيط فى الحديقة الشريرية، الذى سنتركه لوالدى زوجى، بينما سننتقل، «هاينتس» الذى هو مِلكى، وأنا، التى أنا كذلك مِلك نفسى، إلى بيت أكبر وأجمل، سيضم الدور الأرضى فيه محلاً خاصاً. للتركيبات الكهربائية. هذا عن «بريجيتّه».

تقول «زوزى» متلطفة، لقد ملئوا جعبتهم، و«زوزى» ليس لديها أى اهتمام بـ «بريجيتّه». من منظور «زوزى» يمكن أن يكون لـ «بريجيتّه» وجود أو لا يكون.

---

(١) الكِشمش بالألمانية Johannisbeer بالفرنسية groseille نبات بري له ثمار كالعناقيد الحمراء يصنعون منها شراباً ومربى وخشاف. (المترجم)

وجود «بريجيتّه» لا يمس حياة «زوزى» على أى نحو. «زوزى» حبوبَة جداً مع «بريجيتّه»؛ لأن ذلك لا يكلف شيئاً ولأن «بريجيتّه» لا تستطَيع أن تأخذ منها شيئاً، ولا حتى فنون طهيها.

أما «بريجيتّه» فتكره كل شىء فى «زوزى». وجود «زوزى» تهديدٌ مستمر. إذا ما عرضوا ذات مرة على «هاينتس» ما هو أفضل، فمن الممكن عندئذ أن يريد امتلاكه أيضاً. لا!

«زوزى» تريد أن تأخذ منها شيئاً.

ربما كان خير ما تفعله «بريجيتّه» أن ترمى نفسها أمام «هاينتس» والحديقة والبيت، كما رمت نفسها على شجيرات الكِشمش وتحميه بذاتها من أصابع «زوزى» الوقحة.

«زوزى» تشير إلى جمال زهرة عباد الشمس. تقول كم هى جميلة. جميلة كالبسكويت.

«ب» صماء حيال جمال الطبيعة. «ب» ليس لديها القدرة على استقبال الجمال، «ب» مرتبكة كل الارتباك، مشدودة، كالحبل. «ب» كومة صلبة من الكراهية. من منظور «ب» ليس هناك شىء جميل، ليس هناك إلا شىء يريده الإنسان ويكون عليه أن يمتلكه.

«زوزى» تعدُ بإيقاع حر الكثير من الجماليات النباتية وضروباً مما لذ طعمه وطاب مذاقه من أشياء.

«زوزى» لديها حسٌّ جمالى بارز المعالم، هذا مما يقوله بابا كذلك. «بريجيتّه» تريد أن تملك تملك تملك، وكل ما عدا هذا انتهى وختم. «ب» تناضل. «زوزى» أكثر أنوثة من أن تناضل. «زوزى» امرأة كلها.

«زوزى» تنال.

«بريجيتّه» ليست شيئاً على الإطلاق.

تابع: مشاعر «پاولا»

شىءٌ ما فى نفسى إذًا يسمونه حب، هذا ما تشعر به «پاولا» للمرة العاشرة.

فى نفسى علاوة على ذلك شىء يتمنى أن يكون له أولاد. لا يجوز التصدى له.

ستفقد الخياطة فرصتَها الأخيرة عندى على أقرب تقدير فى اللحظة التى سأصبح فيها أماً. فى الخياطة كل شىء ميت تماماً، أما فى الطفل الصغير فكل شىء حى تماماً. الطفل الصغير هو الحب المشخّص. ما هى الخياطة الميتة بالقياس إلى طفل حى.

عسى ألا يولد الطفل ميتاً!

فى البداية يأتى ما هو حى، ثم تأتى بعد ذلك الأدوات الجامدة التى لا حياة فيها. وحتى لا يكون الإنسان وحيداً وحيداً فى شيخوخته.

«إيريش» يفكر ملياً فى أشياء لها موتورات، هى أيضاً شديدة الحيوية. سيارة السباق مثلاً لها قوة تساوى قوة عدد من النمور.

إنها وحدةٌ جميلة الشكل تشمل الشكل والحركة.

فى لحظاته الفائقة الصفاء يفكر «إيريش» ملياً فى حياة بأيدى نظيفة وقمصان بيضاء وبنطلونات چينس ضيقة وشغل خفيف. أو بدون شغل.

«إيريش» لا يفكر ملياً للحظة واحدة فى «پاولا» «پاولا» بالنسبة إليه بديهية مثل الهواء الذى نتنفسه. «پاولا» لا تريد أن تكون شيئاً بديهياً، بل شيئاً متميزاً.

لهذا تجتاز «پاولا» الشارع بفستان يشبه المريلة خاطته بنفسها. «پاولا» تعض على النواجذ تمسكاً بالنظافة. شعرها ومريلتها وشنطة مشترواتها وساقاها النحيفتان تبرق كلها فى سباق على النظافة، وكأنها ريح بيضاء تدور كالدوامة!

وهكذا تلاشى الشىء المتميز فى «پاولا» مرة أخرى.

فى كل مكان على عتبات البيوت تقعد نساءٌ مشرفات على الموت مثل ذباب مهروس لا يعمِّر إلا يوماً واحداً، يقعدن كأنما لُصِقن فى موضعهن بزفت سائح ويحطن بنظرهن دون ما هوادة ممالكهن الصغيرة الخاصة، ممالك ربات البيوت، التى يتربعن فيها تربع الملكات على العروش. أحياناً يجعلهن

صابونٌ سائلٌ ملكة، وأحياناً تجعلهن حلةٌ ممتازةُ التصميم ملكة (١) .

الحدائق فى صدور البيوت محاطة على نحو نظيف بأسيجة ومعزولة عن العالم الخارجى. زهور عباد الشمس والشجيرات الكثيفة تعزل العالم الداخلى عن العالم الخارجى الذى هو عدائى.

بعض العائلات تعيش فى بيوت صغيرة تقيم فى البيت الواحد عائلات عديدة. ستحصل «پاولا» على بيت من هذا النوع ستستطيع «پاولا» أن تتربع فى مطبخه على عرش الملكة، حيث كل شئ سيلمع وسيبرق فيبهج جميع من يرونه.

«پاولا» تعبر على البيوت عبوراً وتفكر فى الدرجات المتعالية من النظافة، ما يكون نظيفاً، ما يكون أنظف، ما يكون هو الأنظف. هنا وهناك تبرز واحدة من النساء المشرفات على الموت وتشد حفيداً، ابناً أو بنتاً إلى صدرها وكأنها حصن أو تمثال خشبى منحوت على غليون (٢) مقارنة بـ «پاولا» النظيفة التى لم تتزوج بعد. وهناك ترتمى إحداهن بدافع الحماية على ابنها الذى سألته «پاولا» عن المدرسة. وتقطع كلام ابنها

---

(١) تنويمات ساخرة على جملة ألمانية متكررة لا تتعب النساء فى رأى يلينك من تكرارها على سبيل الفخار، وهى أن البيت وتدبير النظافة وتلميع حلل الطبيخ فيه، هو مملكتهن، وكأن الصابون السائل أو الحلة اللامعة المتميزة بتصميم خاص هو الذى يجعلهن ملكات، وهن لا يدركن أنهن ضيعن أعمارهن وأصبحن كالذباب المهروس. (المترجم)

(٢) من الفرنسية Galion وهى سفينة. (المترجم)

وتحكى فخورة عن أنواع القلق التى تغشاها بسببه، إنها تعتز بالقلق على ابنها الشقى العنيف، وتخجل من قلقها على ابنتها. تقول إن مَن ليس عنده أولاد لا يمكنه بتاتاً أن يعرف الحال التى يكون فيها الإنسان عندما يكون عنده أولاد.

وتوضح كذلك أنها مسرورة لأنها لم تعد مضطرة للعمل بائعة، فليس مما يحقق الرضا للإنسان أن يعمل من أجل الآخرين. ولقد أخذوها من منضدة البيع إلى هيكل الكنيسة وزوجوها.

ولديها الآن بعض الأعراض المَرَضية التى يبدو عليها أنها خطيرة.

الطبيب لا يستطيع أن يجد شيئاً.

أما هى فقد وجدت سعادتها.

سعادتها هذه هى أن يكون كل ما تعمله من أجل زوجها، يتم عمله من أجلها هى نفسها فى الوقت ذاته أيضاً. الجوارب المغسولة والقمصان والملابس التحتانية والأحذية النظيفة، كل هذا (الذى تعمله من أجل زوجها) تعمله أيضاً من أجلها هى نفسها ومن أجل أولادها. ليس فى مقدورها أن تعمل شيئاً لنفسها هى مباشرة.

أحياناً تذهب إلى الكوافير، مزيِّن النساء. ففى ذلك تجميل.

عندما تسأل «باولا» إحدى النساء عما تتمناه، تجدها تتمنى شيئاً للأسرة كلها، مثلاً سيارة تركبها

الأسرة كلها، والأم فيها متنبهة تتربص دائماً بالطفل لتضربه، تأديباً له، لكى تستطيع أن تبرر وجودها هى.

وعلاوة على ذلك يستطيع الإنسان [1] أن يزين السيارة أيضاً بزهريات وخدّاديات. ففى ذلك تجميل.

دائماً يصرخ فى مكانٍ ما فى بيتٍ ما طفلٌ ضُرب تأديباً له. وما يكف طفل عن الصراخ حتى يبدأ طفل ثان بالصراخ.

وأناس يصفقون يبرزون من النوافذ التى تلمع كالمرايا [2] .

«پاولا» تقول: لا تضربى «كارلى» بهذه القسوة، فهو لم يفعل شيئاً، دعيه يمشى.

وهنا تُطالبُ «پاولا» بأن تقفل حلقها؛ لأنها لم تلد شيئاً ولم تخلف أحداً.

أما دور الجدة فهو دور مواساة.

لهذا فالأولاد كذلك يحبون تيتا جداً. أما الأب والأم فهما لا يحبان تيتا لأن تحشر نفسها.

وزوج تيتا نفسه، جدّو، يكره تيتا، أولاً لأنه كان دائماً أبداً منذ سنوات الصبا يكرهها، فالحب القديم

---

(١) المقصود: المرآة. (المترجم).

(٢) نلاحظ هنا وفى مواضع كثيرة جداً من الرواية حرص يلينك الساخر على كلف المرأة فى النمسا وألمانيا وربما فى بلاد أخرى على التنظيف والتلميع المبالغ فيه والتأديب المبالغ فيه أيضاً، وهى فى رأيها أمور تضيع فيها المرأة صحتها وعمرها، فتصبح كالميتة قبل أن تموت فى النهاية. (المترجم)

أصبح عادةً لا يستطيع الإنسان أن يتخلص منها بالسرعة المأمولة، ويحتفظ الإنسان بهذه الكراهية فى الشيخوخة، فما هذا الذى يحتكم الإنسان عليه فى الشيخوخة، لا شىء، اللهم إلا الكراهية العظيمة القديمة المجرية.

والكراهية كذلك تزداد وتتزايد دائماً أبداً لأن تيتا فقدت منذ وقت طويل رأسمالها الوحيد، ألا وهو الجمال الذى ربما كان موجوداً ذات مرة. تيتا اعتبرت كُهنة مكهنة عديمة القيمة. والنساء الأخريات، الأصغر سناً، ضعن منذ أمد بعيد بالنسبة إلى الرجل المستهلك العجوز المكحكح، وكسبهن رجالٌ آخرون أصغر منه سناً، مستهلَكون أيضاً، ولكنهم مازالوا قادرين على الكسب.

النساء الأصغر سناً لن يقامرن من أجل رجل عجوز منفر بحياتهن المضمونة بجانب هؤلاء الرجال الأصغر سناً.

هكذا يموت جدّو وينتهى، صحيح أنه يموت على نحو أكثر بطئاً وتردداً من زوجته التى تكاد أن تكون ميتة، ولكن الموت موت، والضياع ضياع، وكل شىء راح وانتهى. وزوجة الرجل نفسها تظل حتماً تذكّره بتدهوره وتحوله من الشاب المتعافى إلى الشيخ الهرِم المنفر المقرف.

جدّو مستهلَك، وتيتا ستصبح مستهلَكة. والعين لا ترى مستهلِكاً، ولكن الإنسان يُستهلك..

وتيتا تعلم يقيناً أن زوجها ابتداءً من عمر معين يبقى لها دائماً أبداً إلى أن يصيبه مرضُ الموت وما يتبعه من خروج من الدنيا. إنه لا يستطيع أن ينصرف عنها ويتركها ويترك الفرن والأكل والشرب والمائدة وغسيل المواعين ومزود العلف.

إلى أين يذهب الشيخ العجوز.

الشيخ العجوز الهرم مرتبط بتناول الأكل المنفر.

وهكذا تظل سلسلة سراويله المتسخة وجواربه المفعمة بالعرق تمر من خلال يدى تيتا.

وتيتا فى شيخوختها تنتقم منه بأفعال صغيرة. فلديها إمكانات كثيرة للانتقام الفعال.

وهكذا تتابع سلسلة من الآلام التى يمكن تدبيرها لتيتا، تخرج من بين يدى جدّو، سلسلة من الأيام البشعة. جدّو يضطر إلى أن يتولى بيديه أعمال كل يوم قُدِّر على تيتا أن تعيشه. هو شخصياً. وليس لإنسان آخر أن يحشر نفسه ليشارك بشئ.

ولكن جدّو اعتاد منذ الطفولة أن تنجز له تيتا كل ما يحتاج إليه فى حياته اليومية، كله تتولاه ماما أو تيتا. إنه لا يستطيع أن يعد لنفسه بيديه أى شئ ولا حتى بيضة مقلية.

إنه معتمد على غيره مثل الطفل، فى الأشياء الصغيرة اللطيفة وفى شغل البيت الثقيل، ومن الممكن أن يثير الإنسان غيظه ويدفعه إلى ثورة عارمة بسهولة

عن طريق أشياء صغيرة ومنغصات طفيفة وعن طريق أعمال تخريبية.

والزوجان المسنان مثل حشرتين تعض كل منهما الأخرى عضة دائمة غائرة، أو مثل حيوانين يفترس بعضهما البعض، واستقر أحدهما نصفاً فى بطن الآخر.

اللحم مغذٍ وشديد الصبر.

مثل قافلة من الجِمال يسير طابور من نساء لم يتجاوزن الشباب تظهر ظلياتهن بوضوح شديد على الأفق. يحملن شنط مشترواتهن ويسحبن بشدة أطفالاً صغاراً وراءهن.

بابا يتأملهن راغباً من خلال المنظار المقرِّب. وتتحرك فيه .... بقية من رجولة.

وفى المطبخ ترفع ماما عقيرتها، وعلى البقية أن تصمت.

الشمس تميل أخيراً إلى مغيب.

ولكن «پاولا» الغبية غباء البقر أصبح عليها أن تحب أحداً!

كأنما لم تكن مشقة بيت عائلى صغير بحديقته المنزلية الصغيرة كافية وحدها بدون ذلك أيضاً. ولكن «پاولا» فكرت فى أن الأمر سيكون أسهل بكثير مع بيت صغير.

وسوف يعمل بدن «پاولا» أقصى ما يستطيع.

الشمس مالت أخيراً إلى مغيب.

ولكن الليل أيضاً رغم ذلك يحمل إلى الرجل والمرأة ما هو أكثر فظاعة.

ولكن «پاولا» الغبية غباء البقر أصبح عليها أن تحب أحداً.

«بريجيتّه» تكره «هاينتس»

على الرغم من أن «بريجيتّه» تكره «هاينتس» فإنها تريد أن تحصل عليه ليكون بالتمام والكمال لها هى، ولا يكون لغيرها.

وإذا كانت «ب» تكره «هاينتس» منذ الآن قبل أن تناله أصلاً، فكيف سيكون كرهها إياه، إذا حدث ذات مرة ما هو مشكوك فيه جداً، فنالته على الدوام وإلى الأبد، ولا يكون عليها أن تبذل الجهد لتحصل عليه.

على «بريجيتّه» مؤقتاً أن تخفى كرهها بعناية، فما زالت هى لاأحد، أى خياطة سوتيانات، وتريد أن تصبح أحداً، أى زوجة «هاينتس».

خياطات كثيرات يأتين من يوغوسلافيا والمجر وتشيكوسلوفاكيا أو غيرها من بلاد الكتلة الشرقية.

قد يتزوجن ويختفين وقد يضعن.

والواحدة من كثيرات عديدات تعتبر أساساً وأصلاً واحدًا.

«ب» ترى أنها لاأحد فهى واحدة من خياطات سوتيانات كثيرات عديدات، منهن كثيرات يخطن نفس الخياطة التى تخيطها. «ب» ترى أنها تكون أحداً عندما تكون واحدة من زوجات كثيرات جداً. «بريجيتّه» ترى أنها ستصبح أوتوماتيكياً أيضاً أحداً؛ لأن «هاينتس» أحد، أى هو واحد سيكون ذات مرة أحداً، يمتلك محلاً خاصاً به.

إذا لم يأت بريق من العمل فى خياطة السوتيانات، فلا بد من أن يأتى البريق كل البريق من «هاينتس».

لأن البريق الذى نقرأ عنه أو نراه فى التليفزيون، يأتى من أحد آخر تماماً ويعود إلى أحد آخر تماماً، ولأن بريق المجلات والأفلام يدور حول أناس غرباء أشد الغربة كثيراً ما لا يلبسون حتى سوتيانات، ناهيك أن يفكروا فى خياطة سوتيانات، ولأنه ليس هناك بريق أصلاً، فإن «بريجيتّه» تصنع بحماس بريقاً. ساعات طوال. ودائماً حول «هاينتس».

وهى تأمل أن يعود عليها شىء من إشعاع هذا البريق. ولكن من لديه بريق يحتفظ به لنفسه، هذا ما أحاطت به أم «بريجيتّه» خُبرا. فقد أتى البريق إليها من مندوب مبيعات. ومتى انطفأ؟ منذ سنوات عديدة. مع سيارته.

أم «بريجيتّه» تقول: على «بريجيتّه» أن تدع «هاينتس» يسير بلجام طويل تمسكه ولا تتركه من يدها، أما الحبس فليس الآن ولكن فيما بعد، ولكن عليها رغم ذلك أن تمسكه بشدة وأن تربطه فيها، عن طريق ألف من الطفائف، منها على سبيل المثال طفل صغير. ولكن كذلك عن طريق مواهب وقدرات حِرَفية خاصة: مثلاً غسل الغسيل.

والواضح أن أم «بريجيتّه» لم تكتف بهذا على كثرته.

الواضح أنه لا يزال فى سحنة أم «بريجيتّه» مكان صغير خال.

مطاردة صيد بلا رحمة.

لا المطارَد «هاينتس» ولا الصياد المسكين المرهق الذى هو «بريجيتّه» يمنحان فسحة للراحة. والصياد يكون أحياناً فى موقف أسوأ من الصيد.

فى حالة «بريجيتّه» هى فى موقف أسوأ منه.

«زوزى» إنسان له بريق. وهى تنط بهمة مفرطة وقد غشاها من نور الشمس بريق فائق، تنط وراء فراشة يسمونها فراشة ليمونية. وشعرها الأشقر مثل الشعر الأشقر بالضبط.

البعض يكفيهن نور الشمس بريقاً، والبعض الآخر يحتجن إلى بريق يأتيهن من محل تركيبات كهربائية.

ليس لـ «بريجيتّه» أن تجافى التواضع إلى هذا الحد، وأن تقنع بالشمس مثل «زوزى».

«زوزى» تكتسب فى الحديقة بريقاً فوق بريق. الحديقة ليست حديقتها بل حديقة «هاينتس»، أى حديقة «بريجيتّه». «ب» ترتمى فوق «زوزى» وتطرحها أرضاً بعيداً عن مرمى أى بريق. أحب شىء إلى نفسها أن تدفن «زوزى» فى التربة، فى الطين الموحل.

«بريجيتّه» تتمدد فوق «زوزى» طولاً وعرضاً وتشرح وهى تلهث لماذا يستطيع الإنسان أن يفعل ما يشاء بملكه الخاص، أما بالملك الأجنبى فليس للإنسان أن يعمل إلا ما يسمح به المالك الأجنبى، فى هذه الحالة : «بريجيتّه». مثال ذلك: تقول «ب» فى المصنع علىّ أن أعمل ما يقولونه لى. أما فى دولابى الصاج فأستطيع أن أعمل ما أريد؛ لأنه ملكى، فيمكننى أن أراعى النظام أو الفركشة، كما يحلو لى تماماً. النظام بديهى. فى الكانتين علىّ أن أراعى الزمالة لأن الكانتين ملك مشترك للجميع، أما فى مكانى على المائدة فيمكننى أن أعمل ما أريد. لأنه ملكى أنا وحدى. نعم ، البداية تكون بأشياء صغيرة.

وتغمس رأس «زوزى» فى ماء راكد إلى أن يأتى «هاينتس» ويخلص «زوزى» بالقوة من قبضتها.

وتستأنف «بريجيتّه» كلامها، وعندما يأتى صاحب المصنع إلىّ فى بيتى، يكون عليه هو نفسه أن يفعل ما

أريد، لأن بيتى هو قصرى. وعلى قدر صغره، تعظم قدرتى أيضاً على الأمر والنهى فيه.

وتمتمت «زوزى» [1] : صاحب مصنعكم لن يأتى أبداً إلى حضرتك فى بيتك، لأنك فظة كل الفظاظة.

لا فعلاً؟ ربما يأتى ذات مرة. ولن يستطيع أحد أن يمنعه، ولا حتى حضرتك، على كثرة ما تريدين أن تمنعى. أما صاحب مصنعى فلن تستطيعى تخويفه.

ربما يأتى ذات مرة ليزورنى ويزور كذلك أمى!

وردت «زوزى» ، لن يأتى أبداً. لأن حضرتك تافهة. لأن حضرتك أحط وأتفه ما يوجد.

وتقول «بريجيتّه» وهى تلهث: ولكنه لو أتى سيكون عليه أن يعمل فى مسكننا ما نأمر به، بل إن هذا قانون قانونى [2] . إنها تعرف الأمر أحسن من الآخرين.

بعد خمس دقائق تجلس المتصارعتان صراع الديوك إلى المائدة لتناول وجبة خفيفة.

«بريجيتّه» تكلمت بكلام مفيد، ملىء بالمضاريات والاحتمالات والتوقعات، كما هى الحال فى الحياة الاقتصادية.

---

(١) زوزي تتكلم بصيغة الاحترام «حضرتك» . (المترجم)

(٢) من أمثلة التكرار «قانون قانوني»، كذلك نلاحظ من أمثلة تعامل يلينك مع اللغة أنها تكثر عمداً من استخدام كلمات الحشو من قبيل «أيضاً» و«إذاً» على طريقة عامة الناس، وتكرر الأسماء الأعلام، وتكرر «أحد» و«لاأحد» و«الناس» و«الشيء» وغيرها من الكلمات الدالة على ما هو مجهول أو غير قابل للتحديد. (المترجم)

ربما استطاعت «بريجيتّه» أن تستغل نتائج هذه المحادثة، عندما يكون لها ذات مرة محل أعمالها الخاص ويكون «هاينتس» قد أصبح لها.

الحب إذاً هنا الآن

•

الآن جاء الحب للمرة كذا، ولكن الحياة الأفضل بالنسبة إلى «پاولا» لم تبدأ حتى الآن بعد. حان الوقت لكى تدخل الحياة والتطور أخيراً فى هذه المسألة التائهة!

«پاولا» لا تستطيع أن تتمتع حقاً بحبها الكبير؛ لأن عليها أن تصحو الساعة الخامسة لتعد للأب طعام الإفطار. «پاولا» تعلم أن الحب الكبير يحتاج إلى وقت لكى يستطيع أن ينمو، ولكى يكبر أكثر مما هو كبير. «پاولا» ليس لديها وقت.

فى الوقت نفسه تطلع أم «پاولا» وفى يدها الشوكة إلى المرعى على سفح الجبل لكى تدبر أمور مملكتها الصغيرة. تحيط الأم ببصرها على الدوام مملكتها من حدود ربة بيت إلى تلك التى تليها. وتلف الأم رأسها هنا وهناك بغتة بحثاً عن عابرى الحدود الخارجين عن القانون.

الأم تنظر على الدوام من بداية مملكتـــهـــا إلى نهايتها، دائماً أبداً هنا وهناك، وتفرح بأن لها مملكة ربة بيت.

ربما كان عند آخرين أكثر كثيراً مما عندها، ربما كان آخرون يعملون نجارين، كهربائية، سباكين، بنائين، ساعاتية، جزارين! أو صناع اللحوم المدخنة.

ولكن في المقابل كل الناس في أسرتها بصحة جيدة.

عندما تمر الأم بيوم سيئ تفكر فى أن زوجة صانع اللحوم المدخنة على سبيل المثال تمتلك مملكة ربة البيت، ولكنها عندها أيضاً مصنع تدخين اللحوم الخاص به. ثم تحث الأم حفيد «فرانتسى» بخبطة من أسنان الشوكة الحادة، صراخ «فرانتسى» وعويله يعوض الأم حيال زوجة صانع اللحوم المدخنة التى لديها مملكتان خاصتان بها، مملكة ربة البيت ومملكة زوجة صانع اللحوم المدخنة. صراخ «فرانتسى» يوجه اهتمام الأم مرة أخرى إلى لب القضية، تحديداً إلى أنها هى نفسها عندها كل شىء يمكن أن تتمناه امرأة. والجميع بصحة جيدة. تنسى زوجة صانع اللحوم المدخنة. تواسى «فرانتسى» بالتفصيل. ما الذى يمكن أن تتمناه الأم أكثر من هذا؟ لا شىء.

أم «پاولا» لا يمكنها أن تتمنى لنفسها شيئاً أكثر من هذا؛ لأنها استهلكت قـدَرَها دون أن يثمر هذا الاستهلاك شيئاً.

ولما لم تكن أم «پاولا» تستطيع أن تتمنى شيئاً أكثر مما أوتيت؛ لأن الأوان تأخر أشد التأخير، فإنها سعيدة لا تتمنى المزيد.

تخرج أم «پاولا» إلى الحقل. وتنصت إلى أعماقها، هل هذا رنين نغمات أغنية أو شدو شحرور في موضع ما بها، لا إن ما تسمعه هو السرطان الذى ينشرها بمنشاره ويفترسها. ليس عند الأم ما تتصدى للسرطان به ولا حتى الكحول باعتباره مضاد للسم.

والسرطان قد رأى أشياء أجمل من هذا البطن الخرب الذى جرى فيه على مر سنوات الزوجية الطويلة ما جرى. ولا نريد بتاتاً أن نبدأ بحديث عن جلسات الماء الساخن رغبة فى الإجهاض.

أما ما لم يُسمح للدكتور أن يراه قط، فقد بقى الآن من شأن هذا المرض الخطير المميت. ويكاد الأمر يبدو كأنما وفرت هذه الإنسانة لنفسها آخر طاقاتها الضئيلة طوال حياتها، لكى تُقتل عندئذ على نحو بطىء مؤلم ، وتُخرَّب.

من أجل من تُخرَّب البطن فى نهاية المطاف ....؟ من أجل المرض. المرض يحصد ما لا يزال من الممكن حصاده. ولم يعد كثيراً.

صحيح أن الأم قرأت الكثير عن هذا المرض الخبيث فى صحف نهاية الأسبوع، إلا أن الخوف يتملكها الآن بكل قوته. وعلى الرغم من أنها قرأت أن الخوف لا يؤدى إلا إلى أن كل شىء يزداد سوءًا، وأن

على الإنسان أن يحفظ توازنه، فإنها تخاف خوفاً فظيعاً وتفقد توازنها كلية.

قالت «پاولا» ذات يوم إنها ستذهب إلى طبيب أمراض النساء ليصف لها الحبوب عندما يحين حين ذلك، حتى لا تلد أولاداً كثيرة. يا وقحة يا خنزيرة، أتريدين الذهاب إلى طبيب، إلى رجل أجنبى، يفحص جسمك ، يا للقرف، هذا من عمل الشيطان. عندما تكون «پاولا» مقيمة فى مملكة ربة البيت الخاصة بها، فلن تفعل ذلك.

«پاولا» أحست بالارتياح؛ لأنها لم تكن تريد الحياة طويلاً فى مملكة الأم، بل فى مملكتها هى.

ولكن «إيريش» لا يتخذ أية إجراءات لأى شىء.

الخياطة تجعل «پاولا» عصبية وقلقة. والذهاب المتعدد إلى مركز التدريب على الخياطة [1] يلهيها عن «إيريش». «پاولا» لا تحتمل الانتظار بتاتاً إلى أن تعود إلى البيت. خسارة أننا لن نحصل على بيانات عن تجربة «پاولا». «پاولا» تود أن تعتكف فى الحياة الخاصة. إلى اللقاء يا «پاولا» على مستوى أكثر خصوصية،وأكثر راحة!

---

(١) سلم العاملين الحرفيين يبدأ بالصبى المتدرج أو الصبية المتدرجة التى تلتحق بالعمل بهذه الصفة وتتلقى أجراً بسيطاً ويكون على هؤلاء المبتدئين تعلم الحرفة عملياً بالممارسة ويمتابعة حصص تدريب نظرى وعملى، ثم تأدية امتحان. ويمكن أن يتعلم الناجح ليصبح عاملاً حرفياً. أعلى درجة فى سلم الحرفيين هى درجة المعلم ولها دراسة عملية ونظرية وامتحان صعب. (المترجم)

مـا تكاد «باولا» ترجع من حـصـة التدريب على الخياطة حتى تلقى بنفسها فى أجمل فساتينها، الفستان الأحمر، وتطلع الجبل تجاه «إيريش». فوق يتلقفونها كالبوميرانج [1]، حتى قبل أن ترتاح تماماً من جهد الجرى ، تتلقى ضربة بالقدم من الخلف، فتجرى البنت عائدة إلى البيت.

«باولا» تصعد الجبل عدْواً ويكون عليها أن تدور دورة حول نفسها، وأن تعود عدواً هابطة سفح الجبل، مثل من يبلغ عن حريق. كأنها لم تصل إلى نتيجة.

مقاليد الأمر والنهى فى البيت فوق فى يد أم «إيريش» وجدة «إيريش».

مقاليد الأمر والنهى الفعلية فى قبضة الرجل الوحيد فى البيت، زوج أم «إيريش»، الذى كان موظفاً حكومياً، وهو ما لا يستطيع الكثيرون أن يقولونه عن أنفسهم عندما يحين فى نهاية المطاف حين الحساب الأخير.

زوج الأم واسمه «رَبّو» [2] لأنه مريض بالربو يشغِّل المرأتين المضحضحتين حتى تكون هناك بهجة.

---

(١) عصا خشبية محوية من أستراليا تُلقى من بعيد على الهدف فإذا أخطأته عادت إلى الرامى وأصابته. يضرب بها المثل فيمن تصيبه ضربته الفاشلة. (المترجم).

(٢) بالألمانية Asthma وهى الكلمة التى تعنى مرض الربو المعروف. (المترجم)

هى بهجة بالنسبة إلى «ربو». وهى بالنسبة إلى المرأتين بهجة أقل من بهجته، ولكنها بهجة أيضاً.

وهو يتولى الأمر والنهى بحيلة ماكرة، حيلة موظف الحكومة.

يتولى الأمر والنهى بلا كلام، فقط بشخصيته. «ربو» الموظف المريض المحال إلى المعاش، يقعد مثل سلحفاة أرضية فى مكانه ويزودونه بالطعام والشراب وبرنامج التليفزيون.

ويحوم «ربو» مشخشخاً شخشخة داخلية قبيحة مطبقاً فوق كل شىء مثل الكابوس.

«ربو» يسيطر على كل شىء سيطرة مطلقة، كما كان فى الماضى يسيطر على جزء صغير من السكك الحديدية الاتحادية ولكنه جزء جوهرى. كثيراً ما يحكى «ربو» عن هذه الأوقات. فيسود توتر تنحبس معه الأنفاس.

بينما «ربو» يحكى حكاية تتقطع من فرط الحشرجة عن وقائعه فى السكك الحديدية، تلك الوقائع التى لا يصدقها العقل وإن كانت حقيقية، تتناوله الأم بعملية تنظيف وتكييس تدخل بها إلى داخله وتخرج بها إلى خارجه، وتطلع بها من فوقه وتنزل بها من تحته، حتى تصبح هناك متعة (١).

---

(١) استخدام ساخر لكلمة المتعة، ثم كلمة السعادة، حيث أن المقصود هو العكس! (المترجم)

لم تشعر الأم منذ سنوات بشىء من المتعة.

المتعة التى كانت الأم فى الماضى تشعر بها أحياناً اضطرت أن تدفع ثمنها غالياً بطابور طويل من الأولاد.

وقد تبعت المتعةَ سعادةٌ دائمة، سعادة لم تكن مثيرة إلى حد كبير، ولكنها فى المقابل كانت أكثر بقاءً، ألا وهى سعادة كثرة الاولاد.

«ربو» يدعهن يخدمنه وقد غمرته المتعة كدجاجة الليجهورن (١).

«ربو» يود أن تمحو الأم كل ذكرى عن متع قديمة فى داخلها. وأحب شىء إلى نفسه أن يرى كيف تقوم الأم بكحت القذارة من الأرضية بأظافرها. والموت وحده للأسف هو الذى سيحول دون إنجاز الأم كحت كل شىء غير نظيف عملته من قبل.

«ربو» يراقب زوجته مراقبة عنيفة، فكثيراً ما كانت تقع فى الغواية فى الماضى. أما الآن فـ «ربو» وزوجته على الطريق الصحيح، إنهما تقريباً فى القبر. لم يبق لهما إلا برهة قصيرة.

«ربو» ينظر فى جو الجبل المسالم إلى زوجته وهى تعمل. عظام حوضها المريضة تحتج بالطقطقة الصارخة على هذه المعاملة القاسية. لا شىء

---

(١) فصيلة من الدجاج، والدجاجة الليجهورن كثيرة البيض. (المترجم)

يساعدها. ولا بد من أن يقوم أحدهم بالعمل، وأحدهم هذا هو الأم. والامتنان [1] يعينها على ذلك.

الامتنان يعصر من أجلها خرقة مبتلة.

يفرح بهذا روماتيزم المفاصل.

الأم تشبه قرن فاصوليا فارغ أو شنطة مشتروات خاوية بعد أن وقع منها كل شيء من زمان. إنها تشبه شبكة زادت فتحاتها خروماً كثيرة.

فى هذه الأثناء تصعد «پاولا» الجبل عدواً.

عندما تدق حافلة النقل العام نفيرها علامةً على وقوفها فى محطتها تكون تلك العلامة بالنسبة إلى أم «إيريش» علامة على أن «پاولا» رجعت من شغلها.

وتنتظر الأم فوق منذ برهة، آه ها ، الآن تلبس «پاولا» ملابس .... نضرة، الآن تمشط شعرها الخفيف المصبوغ باللون الرمادى الفيرانى، تمسك الآن قلم أحمر الشفاه، الآن الحذاء المصنوع من البلاستيك الذى كان رخيص الثمن ولكنه جميل الشكل. الآن تأخذ أيضاً الشنطة الصغيرة، المناسبة لها لوناً، البيضاء. الآن: إلى الأمام سر.

---

(١) كلمة «الامتنان» مستخدمة على سبيل السخرية. ويذكر الألمان والنمساويون بعد سقوط النازية أن كلمات «الامتنان» و«الشكر» كانت ترد فى خطب هتلر وجوبلس فاتخذت طابعاً مقلوبا (جوبلز) وأصبحت عبارة «امتنان الوطن» تعنى الكارثة والمعاناة ونلاحظ أن الامتنان هنا مؤنسن على طريقة يلينك التى تؤنسن المجردات. (المترجم)

إلى «إيريش».

الآن تبدأ الأم كذلك فى التحرك، شعارها اليوم هو: نعم للبطء الجميل، ولا للعجلة.

تظهر «پاولا» عند المنحنى، وتصطدم بالأم، جامدة ومغيظة. الأم تفكر حانقة وقد افترستها الكراهية: إذا كان الموضوع هو الرجل فهى تتحرك، أما إذا كان هو الشغل فهى فجأة لا تتحرك.

«پاولا» ترتطم فى جريها بأم «إيريش» كما يرتطم الطائر فى طيرانه بلوح زجاج، بحائط خرسانى، النتيجة واحدة: التوقف.

إلى الأمام سر. نزول فى الاتجاه المضاد، وبشىء من الهمة من فضلك.

الأم تقول: «پاولا» لم تفقد هنا شيئاً. بينما «پاولا» فقدت هنا قلبها.

الأم تود أن يستمر «إيريش» فى حلب البقرة الوحيدة التى تدر لبناً لقهوة بابا، وتود أن يسقى الخنزير علاوة على ذلك. الأم تعانى من سل العظام، وهذا قدَر مشئوم على «إيريش» أن يخففه عليها. قياساً على تقلبات حياتها كان العدل أن تستحق الأم شيئاً أسوأ من سل العظام، ولكنها نالت موظف حكومة، و«پاولا» تستحق شيئاً أكثر سوءاً، وسوف تناله.

«إيريش» يحتاجون إليه فى الأعمال الثقيلة، وفى الأعمال الدقيقة إذا كان يصلح لها بمخه المحدود.

سلام الرب عليكم [١] ، أتيت من أجل «إيريش»، بهذه الكلمات تستطيع «پاولا» أن تشدو كالعصافير، ولا تستطيع أكثر من ذلك. إنها لا تخجل من الجرى وراء «إيريش». «إيريش» هو أعظم ممتلكاتها إنتاجاً.

مثل اللعبة ذات الزمبرك التى على شكل حيوان تندفع «پاولا» مسرعة هابطة سفح الجبل، وكل خطوة تبعدها عن هدفها، عن «إيريش».

الأم تقعد دائماً، إذا لم تكن مشغولة بعمل، عند كوة نافذتها للمراقبة وتحدق فى درب الجبل.

«پاولا» تقعد دائماً، إذا لم تكن مشغولة بعمل أسفل درب الجبل، وتحدق فيه من أسفل إلى أعلى.

والجدة تقعد عند كوة نافذتها بحجرتها، والجدة تقدمت بها السن وبلغت الحد الذى أصبح الناس عنده على الأحرى يحتملونها على مضض، ولو لم تكن ابنتها هناك هى وزوجها «ريو» الذى يعولها لضاعت. وجود الجدة معلق فى خيط حرير، فوجود آكل أكثر معناه وجود آكل أكثر من الاحتمال، حيث إن «ريو» يلتهم كل شىء وحده.

الجدة والأم تقومان على التبادل بورديات مراقبة حتى لا يأخذ منهما أحد «إيريش». و«ريو» على أية حال لا يأخذ منهما أحداً بل يبقى لهم. ولا يقف الأمر الآن عند حد أن كل واحد يكره كل واحد، بل إنهم

---

(١) التحية فى النمسا وجنوب المانيا GrüB Gott = حرفياً حياكم الرب، سلام الرب عليكم. (المترجم)

جميعاً بإجماع جميل يكرهون كذلك أيضاً «پاولا» التى ليس عندها ما تقدمه هدية إلا الحب ونفسها.

وهذا قليل أشد القلة.

«پاولا» تميل على الأحرى يقيناً إلى أن تستغل قوة عمل «إيريش» لأهدافها الخاصة القذرة، ألا وهى بيت وطفل وعيال وسيارة. والمنفعة التى يمكن أن تجنيها «پاولا» من «إيريش» لا يمكن أن تعادل الضرب المبرح الذى سينهال به «إيريش» عليها. الضرب المبرح لا يعادل المال أبداً. المال أثقل من الضرب المبرح.

«پاولا» فى المقابل ليس لديها ما تهديه إلا نفسها وحبها.

وهذا قليل أشد القلة.

الفروق بين «زوزى» و«بريجيتّه»

المشترك المحتمل بين «زوزى» و«بريجيتّه»

بين «زوزى» و«بريجيتّه» خط حدودى لا يمكن زحزحته: إبريق القهوة الملئ. إنه خط فارق حاد أليم يضع كلاً منهما فى مكانها ويفصل بين الشخصيتين اللتين لا سبيل إلى الجمع بينهما. إذا رفعت إحداهما إبريق القهوة وصبت القهوة، إذا بـ «زوزى» و«بريجيتّه» فجأة معا جميعاً وليستا مفترقتين منفصلتين شتى.

ثمة نقطة فارقة بينهما هى على سبيل المثال أن «زوزى» تروم أن تحقق الخير للإنسانية كلها، للجميع، كباراً وصغاراً، وعلى نحو خاص الأطفال الصغار الجوعى فى العالم كله؛ لأنها امرأة وستكون عما قريب أماً. تَصَوُّرُ الأطفال الصغار الجوعى بشعٌ فى نظر «زوزى»، المرأة فى داخلها ثائرة من أجلهم، الأم المستقبلية فى داخلها تهب ساخطة من أجلهم.

ولهذا السبب ومن أجل هذا الهدف نشطت بقدر ضئيل فى اتحاد طلابى سياسى وبقدر كبير فى فريق للرقص الشعبى. وهى تخفى بمهارة على والديها الحبيبين أمر الاتحاد الطلابى السياسى أما فريق الرقص الشعبى فتحمله أمامها كالحمامة المحبوبة ....

«بريجيتّه» تريد «هاينتس». «زوزى» تريد فى المقام الأول أن تناقش وأن تحاور. تخطر ببالها كلمات كثيرة والأشياء المرتبطة بها، وهى تصرفها عن نفسها فى اللحظة التى تخطر فيها ببالها.

«زوزى» تبصق فى كل مرة تفتح فيها فمها كمية كبيرة من الجوعى فى الدنيا قاطبة. «بريجيتّه» تبعد القشدة المضروبة - الكريم شانتيى - عن بصق «زوزى» وتضعها فى مكان آمن. «زوزى» تحب أن تتعلم الطهى، وهو ما يعلمونه فى المدرسة الثانوية النسائية، حتى لا تدع «زوزى» على الأقل زوجها وأولادها، عندما تكون قد تزوجت، يضطرون فى المستقبل إلى الجوع مثل آخرين كثيرين يمكنها أن تذكر أسماءهم. «زوزى» تجد تعبيرات مختلفة كثيرة جداً تعبر عن الجوع والظلم. «بريجيتّه» لا تجد إلا أن من الظلم فقط أن ينشغل «هاينتس» بـ «زوزى». وزوزى تجد أن من الظلم أن يشبع «هاينتس» وترضى نفسه، بينما يجوع الكثيرون. وتردف قائلة شىء جميل أن يرقص الإنسان على طريقة الشعب فى فريق رقص شعبى، ولكن شىء جميل أيضاً، على النقيض من ذلك، عندما يكون الإنسان إنساناً مفكراً، يهتم للبؤس فى العالم.

«بريجيتّه» لا تعرف إلا كلمة واحدة هى: هاينتس. وهى حقيقةً تعرف الكلمة الدالة على العمل، ولكنها لا تنطقها؛ لأنها لا صلة لها بها. وهى تقول بالفخر كل الفخر إنها لم تعرف الجوع قط، ولن تجوع أبداً فى المستقبل على العكس من الكثيرين الآخرين الذين لا تستطيع أن تذكر أسماءهم، الذين يستحقون ما يجرى عليهم؛ لأن الجوع لا ضرورة له، عندما يكون الإنسان مجتهداً، و«ب» هنا تفكر فى «هاينتس» واجتهاده، ولا تفكر فى اجتهادها هى.

و«بريجيتّه» تزهو بأنها كان عندها دائماً ما يكفيها، وبأن «هاينتس» سيكون لديه ذات مرة أكثر مما يكفيه، بل سيكون لديه أكثر مما يكفيهما كليهما جميعاً.

أحياناً يصيب «بريجيتّه» من المنغصات ما يكفيها، أحياناً تطلع المنغصاتَ من داخلها حتى تصل إلى حلقها. عندما تتأمل «هاينتس» فى مثل هذه اللحظات، تحس من فورها عندئذ بأن ما بها أقل من القليل، ويكون على «هاينتس» عندئذ أن يعمل، أن يشغّل المحرك وأن يحقق إنجازاً عملياً.

إنجازاً عملياً يستطيع الجميع رؤيته.

«هاينتس» موهوب تقنياً، ولهذا فعلى إنجازه أن يقع فى مجال التقنية. «زوزى» و«بريجيتّه» تزهوان بما تخرجه التقنية كل يوم. «بريجيتّه» أكثر زهواً من «زوزى» لأن «هاينتس» واحد من هؤلاء الذين خضعوا للتقنية، ويفهمون كيفية التعامل معها. سيبيع

«هاينتس» و«بريجيتّه» الكثير من الأجهزة الكهربائية، بل سيكون فى مقدور «هاينتس» أن يصلحها.

«زوزى» أكثر زهواً من «بريجيتّه» لأنها سيكون فى مقدورها مالياً أن تشترى كمّيات كبيرة من هذه الأجهزة. وسيكون فى استطاعتها أن تعطى «هاينتس» أوامر لإصلاحها إذا ما أصاب بعضها عطل.

هناك فرق كبير بين زهو «بريجيتّه» الحرفى، وزهو «زوزى» الامتلاكى. «بريجيتّه» ليست فنية حرفية، «هاينتس» هو الفنى الحرفى. كذلك «هاينتس» يحس بالزهو.

«هاينتس» يزهو بأنه ذات مرة سيكون فى استطاعته أن يعين عنده عمالاً حرفيين، يؤدون من أجله أعمال الإصلاحات القذرة. عندئذ سيكتفى بمزيد من مراقبة المحل.

فى هذه الأثناء تظل «زوزى» دائماً تحس بالأسى حيال الناس الذين أحوالهم أسوأ من أحوالها هى.

وفى هذه الأثناء تظل «بريجيتّه» دائماً لا تحس بالأسى حيال من هب ودب؛ لأن عليها أن تركز كل التركيز على «هاينتس».

«زوزى» لا مصلحة لها فى «هاينتس». فالواضح أن «زوزى» عندها كل شىء. و«زوزى» تحس بالأسى حيال «بريجيتّه» أيضاً.

«بريجيتّه» تحس بالأسى حيال «زوزى» لأن «زوزى» لا تستطيع أن تعرف ميزات «هاينتس».

ومع ذلك وعلى الرغم من أنهــا لا تود أن تنبــه «زوزى» إلى هذه الميـزات، وعلى الرغم من أنهـا لا تود أن تسيل لعـاب «زوزى»، فإن «بريجيتـه» لا تتكلم عن شيء آخر إلا ميزات «هاينتس».

«زوزى» لا تزال تحس بالأسى حـيـال «بريجيتّه»، التى لا يبـدو عليـهـا أنهـا تدرك أن هناك منتَجـات متميزة أفضل من «هاينتس».

والإنسـان يلاحظ أن هنـاك بين الاثنتـين حـدوداً طبـيـعـيــة هـى من القـوة بحـيـث لا يسـتطيع أحـد هـدمها.

«بريجيتّه» عـدوة لـ «زوزى» أكـثـر من أن «زوزى» عدوة «بريجيتّه».

«هاينتس» يتـابع بانتبـاه مـا تشـرحـه «زوزى». وهو ينظر حـوله، وينظر حواليـه، ويبـحث فـى أى مكان عن جـوع، مما يقـال عنه إن الموجـود منه كـثـيـر. ثم يقـول على سبـيل الفكاهة لقد اشتـدت شهيتى بحق الآن بعد كل هـذه المحـادثات حـول الجـوع والبـؤس، إلى تنـاول شريحة من اللحم المحمر.

ويمسـح «هـاينتس» بيديـه على كرشـه الشحـمى وهـو يزوم.

وتهب «زوزى» و«بريجيتّه» قائمتين كأنما وخذتهمـا عقـربتان من جنس الترانَتله (١) . كل منهمـا تحـاول أن تسـبق الأخـرى على الطـريق إلى المطبخ. «زوزى» تفـعل

---

(١) نسبة إلى مدينة تارانتو الإيطالية ويضرب بهذه العقارب المثل فى الوخز الأليم السام. (المترجم)

ذلك بدافع الاعتداد بنفسها، و«بريجيتّه» بدافع الخوف من براعة «زوزى».

وتطرح البنتان بعضهما بعضاً أرضاً. وتتلاكمان وتحدثان الواحدة فى الأخرى جروحاً قبيحة وكدمات زرقاء. بل أصيبت «بريجيتّه» بسحجات. ويرقد «هاينتس» على الكرسى الطويل وينعم بالصمت والطبيعة والروائح المنبعثة من المطبخ. لديه الآن بالفعل شهية لتناول شريحة حلوة من اللحم على الطريقة الڤييناوية (١) مع سلطة الخيار.

وينصت «هاينتس» مبتهجاً إلى صراخ «بريجيتّه» وزعيقها وقد همت بجذب «زوزى» من شعرها لتبعدها عن فرن المطبخ. ولكنها لا تنجح لأن «زوزى» رياضية متمرنة وتلعب كذلك التنس وكرة السلة. وتتلقى «بريجيتّه» من «زوزى» ضربة تأديب على أصابعها، «بريجيتّه» تولول. تعوى كابن آوى، هكذا تذوب كل فرحة اليوم الجميل فى المسلى المقدوح. فى هذه الأثناء تنكب «زوزى» على العمل.

«زوزى» هادئة وباردة الأعصاب كالثلج ومتئدة مثل الموت ذاته وهى تفقش البيض.

كذلك الأم بعين ضاحكة وعين باكية ترهف السمع إلى ما يجرى فى المطبخ. بابا يقول إن البنتين

---

(١) Wiener Schnitzel شريحة اللحم على الطريقة الڤييناوية نسبة إلى مدينة ڤيينا عاصمة النمسا تصنع من لحم العجل البيتلو وتكسى بالبقسماط، ولها شهرتها فى النمسا وخارجها. (المترجم)

تتصايحان كالدجاج. عين الأم الباكية تقول إنها تفقد الآن «هاينتس» الذى ستأخذه «زوزى». هى التى ربته، والآن تأخذه «زوزى» التى سترعاه هو وبطنه رعاية جيدة، لا قلق من هذه الناحية. وعين الأم الضاحكة تقول «بريجيتّه» بقى لها أن تنظر من خلف «هاينتس» وهو يولى عنها.

باستثناء دار المسنين لن تكون أم «هاينتس» على حق. «هاينتس» يفكر فى أن «زوزى» عما قريب لن تقزز نفسها بموضوع الجوع فى العالم عندما يكون عليها أن تنشغل كليةً بجوعه هو. سيمتلئ كل يوم من أيام «زوزى» ذات مرة كل الامتلاء.

سيكون هو شغلها الشاغل .... وستتلقى الحياة الأسرية لتنزرع فى رأسها ثابتة راسخة.

«هاينتس» يمسك بالخيوط كلها فى يده.

هكذا، شرائح اللحم تم قليها.

أبدعتها «زوزى». ولهذا يحق لـ «زوزى» أن تحمل الأكل كله وتدخل به. «بريجيتّه» تحاول أن تأخذه من يدها بالضرب، ولكن أم «هاينتس» أسرع من «بريجيتّه»، إنها تضربها على أصابعها ضربة قوية ترن وتحدث صدى.

يقول «هاينتس» لـ «بريجيتّه» الصارخة متئداً : عندما آكل أحب أن أنعم براحتى. اسكتى، وإلا تلقيتِ منى ضربة أخرى. ضربة تسند ضربة.

ضربة تسند ضربة. «بريجيتّه» تلزم السكون على الفور، وتفكر فى سعادتها المزدوجة، فى البيت وفى محل الأجهزة الكهربائية. "بريجيتّه" تلزم الصمت لكى لا تعرض سعادتها للخطر.

«زوزى» منفوخة جداً، من فرط الزهو. أفكارها نظيفة جداً ونقية.

«هاينتس» الحلوف العلفوف لديه أفكار قذرة جداً، يكبتها الآن وهو يلتهم العلف. على الرغم من أن «زوزى» تخفى دائماً أبداً بمهارة أنوثتها .... فهى موجودة. بعد الكيك والقهوة عندما يشبع «هاينتس» سيفكر فى «زوزى» وأنوثتها....

«هاينتس» لا يفكر الآن فى شىء، فكّاه يطحنان ببطء ولكن بإتقان.

«بريجيتّه» التهمها الكرْهُ تماماً حتى إنها نفسها لا تستطيع أن تلتهم شيئاً. وهى تحاول أن تحط من قيمة الشريحة الفيينياوية التى أعدتها «زوزى». أما «هاينتس» فيرفع بدوره من قيمة الشريحة الفيينياوية. ويلتهم نصيب «بريجيتّه» من فوره. إلى هذا الحد كان الطعم لذيذاً.

«هاينتس» يعتبر نفسه نواة الخلية الأولانية، هذا ما علمه إياه والداه الحبيبان.

«هاينتس» يعتقد أن الارتباط بينه وبين امرأة أصيلة كاملة الأوصاف لابد من أن يؤدى إلى العلاقة المثالية.

«زوزى» تعتقد بالفعل أنها امرأة أصيلة كاملة الأوصاف، ولكن هذا لا يمكن أن يؤدى إلى علاقة ما بـ «هاينتس». «زوزى» تريد رجلاً أصيلاً كامل الأوصاف تتخذه زوجاً، وليس هذا الرجل هو «هاينتس» فى نظر «زوزى» «هاينتس» بروليتارى علفوف. والرأى عند «زوزى» أن «زوزى» طباخة ممتازة، حتى لأبيها.

«زوزى» تحاول الاستمرار فى شرح البؤس حولنا وتحريض عائلة «هاينتس» على اتخاذ موقف ضد هذا البؤس.

أبو «هاينتس» يقول بلهجة شديدة الود إن عليها أن تسد حلقها؛ لأن ابنه «هاينتس» لا يود أن يسمع فى أثناء التهام الطعام شيئاً محزناً، بل يود أن يسمع شيئاً بهيجاً. وابنه «هاينتس» الآن يلتهم الطعام مرة أخرى، ألا تستطيع «زوزى» أن ترى ذلك.

«زوزى» تصمت مفزوعة، إنها تخجل من أجل الجمهور العام البليد الذى يجسده هنا أبو«هاينتس». «زوزى» هادئة تسترسل فى حلم: انقضت ساعتان مرة أخرى، وحتى الآن لا يبدو طبيب أول فى الأفق.

«هاينتس» يحلم فى يقظته بأشياء صغيرة: «زوزى» الصغيرة تتمنطق بمريلة صغيرة لطيفة فى حجرته المطبخ.

«هاينتس» الخبير الماهر بأمور الحياة، المتخصص الذى يعرف ما يعرف نقلاً عن والديه، يقول لـ «زوزى» هازلاً : ستولّى عن حضرتك هذه الأمور فى الزواج.

«هاينتس» الذى يتكلم دائماً بجمل عامة، كأنه يعرف الموضوع، كأنه تعلمه، أو خرج به من خبرة. والواقع أنه سمع به فقط من والديه أو من زملائه فى العمل. والداه لا يعرفان شيئاً، وإلا ما كان الأب ليقوم بسفريات بعيدة. وإلا كانت الأم على أية حال ستضطر إلى الاستمرار دائماً أبداً فى شغل البيت. وأياً كان الرجل فإن شغل البيت يظل ملك يمينها. «هاينتس» يتكلم كأنما كانت له خبرة كبيرة بالحياة، وما كانت لديه هذه الخبرة.

«زوزى» تحكى عن هواياتها: الأجانب من البشر والبلاد الأجنبية. «هاينتس» الخبير يقول الحال عندنا أجمل حال. «زوزى» تتكلم بازدراء. وعلى الرغم من ذلك يعرف «هاينتس» أحسن منها، هو رجلٌ رجل. «بريجيتّه» تظهر فى هذه الأثناء شدة اهتمامها بصينى وملاعق عائلة «هاينتس».

«بريجيتّه» تحافظ على الصينى لكى لا تتلفه يد أجنبية.

«بريجيتّه» تبين كم تحب الصينى المزخرف بالزهور الصغيرة، وتمسك الفناجيل بين أصابعها كأنها كتكوت خرج لتوه من البيضة. بخفة بالغة. ما كان يمكن أن تؤتمن على هذه الأشياء هذه الأيادى غير المدربة. المسألة تسبب حرجاً لوالدى «هاينتس». قد تعتقد «زوزى» الآن أن الصينى شىء خاص متميز عند عائلة «هاينتس»، وما هو بشىء خاص إلا فى نظر العاملة «بريجيتّه». والدا «هاينتس» يسارعان

بتأكيد أنهما يتناولان الطعام كل يوم فى طقم صينى مزخرف بزهور صغيرة، فإذا تكسرت قطعة، هنشترى جديدة بدلها.

«بريجيتّه» تعتقد أن اهتمامها البالغ المفعم بالحب سيضطر الأفكار الأجنبية الخارجية التى تلاحظها الآن أحياناً عند «هاينتس» إلى أن تتلاشى، ولكنها لا تتلاشى؛ لأنها ليست أجنبية خارجية بل داخلية فهى أفكار موروثة عن والديه. أخطأت «بريجيتّه».

«زوزى» تمد يدها إلى الإبريق وكأنما هو من الصاج وكأنما هو ملك لها. نحن لسنا فى السجن حيث الأوانى المصنوعة من الصاج، إننا مع الصينى عند عائلة خطيبى المستقبلى. خطيبى! «بريجيتّه» تريد أن تنتزع منها الإبريق، وتحافظ عليه، وتضمه إلى صدرها إلى قلبها وتهدهده كالرضيع، حتى يرى كل واحد كم تقدر هى أيضاً قيمة ما سيكون ملكاً لها. وعلى الوالدين أن يسدا حلقهما، فى دار المسنين، سيكون فى مقدورهما أن يلتهما الأكل الردىء من طبق صاج، هذين المُهَكَّمَيْن المرعوشَيْن.

إحدى البنتين على خطأ بيِّن. كما هى الحال دائماً: «بريجيتّه». «بريجيتّه» و«زوزى» تلعبان على الحب والأنوثة.

«زوزى» تنجح فى هذا المسعى لأنها فعلاً حبوبة، وهذا ما تستطيع بسهولة أن تكونه، فهو لا يكلفها شيئاً، ويَسُرُّ كلاً من حولها. ولو كان يكلف شيئاً، فإن «زوزى» قادرة على تحمل النفقات.

«بريجيتّه» لا تنجح فى هذا المسعى لأنها فى الطريق القاسى إلى «هاينتس» أصبحت قاسية وامتلأت مرارة. بالنسبة إلى «بريجيتّه» لا ينبغى أن يكلفها شيئاً، اللهم إلا جوهرها. وجوهر «بريجيتّه» ينخر فيه الآن الكثير من الضيوف الذين لم يستضفهم أحد: خط السوتيانات الجامد هو أشد هؤلاء الضيوف الناخرة عتواً. جوهر «بريجيتّه» رقيق كالحرير المستهلك التايك.

الصمود وحده هو الذى يحفظ الحصن. أما الحب فقد ذهب منذ حين لينام. ليس هناك من يستطيع أن يظل يقظاً كل هذا الوقت.

مرة ثانية يضطر الحب إلى الفشل وتنتصر القوة الغاشمة.

لابد من أن تنتصر «زوزى» دائماً؛ لأنها حبوبة وطيبة. ولأن عندها إنسانية. «بريجيتّه» ضد الإنسانية.

«بريجيتّه» تكسب بكل القسوة الصراع على إبريق القهوة. تضطر «زوزى» ذات الأنوثة والنعومة إلى أن تترك الإبريق. وتجذب «بريجيتّه» المجردة من الأنوثة والنعومة إليها الإبريق منتصرة، وهذا هو الإبريق تضمه «بريجيتّه» إلى صدرها: لقد انتصرت. «زوزى» تقول، عندنا فى بيتنا إبريق أجمل من هذا بكثير، سأذهب الآن إليه.

وترمى أم «هاينتس» نفسها فى سكة «زوزى» لكى تبقى. وتعدها بأن تشترى أجمل إبريق على الإطلاق

إذا بقيت ولم تخرج. وتضم أم «هاينتس» «زوزى» بقوة إلى صدرها الذى أرضع «هاينتس» منذ سنين وجعله فيما بعد رجلاً ينظر إلى ما هو جوهرى. لا إلى اللاجوهرى ـ أى «بريجيتّه».

أم «هاينتس» تقول لـ «زوزى»، علينا أن نتضافر أنثوياً ضد القسوة اللاأنثوية – «بريجيتّه».

وكسبت «زوزى» المعركة فى النهاية بفضل أنوثتها ونعومتها. عليك أن تبقى هكذا يا «زوزى» ! لا تدعيهم يعلموك الخشونة!

ولكم ود «هاينتس» أن يصفع «بريجيتّه». فى اللحظة التالية يصفعها «هاينتس» بالفعل. على الرجل أن يفعل ما آلى على نفسه أن يفعله. هذا الظلم مؤلم! لقد أنقذت «بريجيتّه» فى نهاية المطاف إبريق العائلة من الدخيل. لا تزال تضم الصينى إلى صدرها، الصينى أصبح دافئاً دفء الجسم، على عكس «هاينتس» الذى ظل بارداً حيال «بريجيتّه».

على مفرش المنضدة بقعة داكنة كبيرة. «زوزى» تعدو إلى المطبخ، لكى ترضى غرائزها التى تقول لها : نظفى المفرش!

تظهر فى الصورة خرقة مبلولة. بنجاح شخصى تدع «زوزى» الخرقة المبلولة تتزلق على مفرش المنضدة. تقول «بريجيتّه»: أنا لا أعطى الإبريق إلا الحماة أو هاينتس، أما حضرتك فـ«لا». ولكن لم يهتم بها أحد. وصفق الجمع المتحمس المكون من «هاينتس» وأبويه، لـ «زوزى».

«بريجيتّه» غير موجودة. ولو لم تكن «بريجيتّه» لا تزال تمسك الإبريق بكوارعها المخرمة، لما رآها أحد إطلاقاً.

أما ما أخطأت فى عمله «بريجيتّه» بلاأنوثتها، فقد أصلحته «زوزى».

وهى لا تريد فى مقابل ذلك شكراً، لا لا .

«بريجيتّه» تريد فى المقابل «هاينتس».

ولكن هذا المسعى يتحقق على هذا النحو على أية حال.

حيث يكون حب، يكون أيضًا طريق

القسيس يقول الحُبُّ طريقٌ إلى الأنت [1]. «پـاولا» تسـعى إلى تفـاهم مع «إيريش». «پاولا» تبـحث إذًا عن طريق إلى الأنت أكثـر قـرباً من الأرض. «پاولا» تبـحث عن أســاس تســتطيع أن تقـابل عليـه «إيريش»، حـتى يكون فـى مـقـدورهمـا أن يقـومـا عندئذ بأعـمـالهـمـا القذرة المشتركة معاً.

كل منظومة مهما كانت من الصرامة فيها فى مكان ما ثغرة يستطيع الإنسان أن يتسلل من خلالها. وكثيراً ما يقوم الحب باكتشاف مثل هذه الثغرات. فكَّر حُبُّ «پـاولا» [2] من فوره فى الوكالة الاستهلاكية. حماتها المستقبلية نسيت الوكالة الاستهلاكية، وأصبح على «إيريش» دائماً أن يقوم بمشتروات الأسبوع الكبيـرة.

---

(١) الـ + أنت . مثل الأنا والنحن والهو الخ. (المترجم)

(٢) تعـمـد يلينك إلـى تشييء البـشـر (يبـحث عن شيء أفضل بمعنى شخص أفضل)، وإلى أنسنة الأشيـاء فـتجـعلها تقـول وتفكر (الغرائز تقول : الحب يفكر). (المترجم)

ويأخذ معه كراسة فيها تسجيل لكل شىء. «إيريش» يقدم الكراسة إلى السيد رئيس الفرع الذى يضع الأشياء فى الشنطة التى تحمل على الظهر فتزداد ببطء ثقلاً شيئاً فشيئاً ويميل ناحية المطعم.

فى كل مكان حول «إيريش» بل فى داخل «إيريش» حيطان من أجساد نساء، كلهن أمهات، من كل سن على الأقل أم، وأمام باب الوكالة تتزاحم ثمار بطونهن[1] بالدزينات [2] وتتدلى كالعناقيد الكثيفة على الواجهة، وتتدفع بجنون على رولرات فتصطدم بأوتوبيسات وعربات النقل الخشبية والسيارات الخاصة، وتقع تحت موتوسيكلات وسيارات كومبى وسيارات نقل بمقطورات، وفى حالات نادرة تحت الجرارات البطيئة التى يستطيع الإنسان أن ينجو منها بالقفز إلى جانب الطريق. وقد لوحظ وسُجِّل فقدان طبيعى بين ثمار البطون. ولكنه يؤخذ ببساطة؛ لأن من الممكن على الدوام إنتاج ثمار جديدة بدل فاقد. وعمل الثمرة ليس لطيفاً، والحمل ربما أقل، وليس الوضع بكل تأكيد هزلاً، ومن يكون عنده عيِّل يعانى الأمَرّين. ولكن أياً كان الأمر فوجود المرأة كأم يظل لعدة أعوام من خلال العيِّل مبرَّراً ومضموناً.

كل واحد يرى: عائلة كاملة. الرجل يرى: الآن عندى مخلوق آخر غير زوجتى أستطيع أن أضربه

---

(١) = العيال ، الأطفال إلخ والكلمة من لغة الكتاب المقدس. (المترجم).

(٢) الدزينة أو الدستة = عبوة الجملة المكونة من ١٢ قطعة. وتستخدم الكلمة للدلالة على الكثرة وقلة القيمة. (المترجم)

ضرباً مبرحاً وأن أزعق فيه، ولحم الطفل ناعم، ولكنه محدود المساحة.

المرأة ترى: لقد أنجزت شيئاً، ينبغى أن يكون حافزاً لى على مزيد من الإنجاز.

الطفل نفسه: الشخص الرئيسى، التبرير الحى لكل الوقت المضيّع دون ما فائدة، كل الوقت المشحون شحناً هائلاً بأعمال لا فائدة فيها لمن تقوم بها، فهى تنجزها من أجل آخرين، من منطلق فكرة خلفية معتمة مفادها أنها فى نهاية المطاف سترتد إليها على هيئة نور أمومة ساطع على الأقل فى عظة يوم الأحد بالكنيسة، وهو ما لا يحدث أبداً؛ لأن الأعمال تقع عليها، لا فى هيئة ضياء قدسى، بل كتلة تزن خمسين كيلوجراماً تطحن الإنسان وتحيله إلى طحينة. وذات يوم تذهب كتلة بلا شكل اسمها ماما إلى الفراش ويكون من يدعى بابا قد مات ودفن من وقت طويل ....

الشخص الرئيسى، الطفل الصغير، تغير له اللفف والكوافيل، إلى أن يمشى ويجرى بالرولر، عندئذ تنهال عليه الصفعات، ويحمّلونه أثقال شنط المشتروات، ويحشونه بالمحشات، ويفتتونه تحت السيارات، أو يسقط فى الترعة الشيطانية، أو فى أيدى أبٍ مخمور، أو تحت خشب الوقود المفلوق أو شظايا خشب الوقود المهدور أو فى أيدى بعض هاتكى الأعراض. عندما ينجو بحياته يمكن أن يرتطم وهو ابن الخامسة عشرة مخموراً راكباً الموتوسيكل فى عمود الكوبرى الخرسانى.

من الممكن أن يلاحظ الإنسان طفلاً منهمكاً فى محاولة لعبة تنتفض انتفاضات واهية، فينجذب عنها فجأة جذباً شرساً، وتنهال عليه ضربات على الرأس، وشلاليت ورميات بحقيبة الظهر، ثم هيا إلى شراء علف للبهائم. رَجوع وملح.

لا يخطر ببال صاحبتنا «باولا» شىء من ذلك بينما هى فى الخارج تحت أعين الأمهات المتشككات وعلى أمل أن تلقى عينى «إيريش» المعجبتين، أمام باب الوكالة توزع بونبون. وتمنع الأولاد الكبار من أن يأكلوا ما تعطيهم من بوبون، وتحضهم على أن يأخذوه إلى البيت لإخوتهم الرُّضع الصغار جداً. فإذا دس أحدهم سراً بونبونة فى فمه تنهال عليه صفعة، تتخلخل من عنفها الأسنان.

كثيراً، كثيراً، ما تترك حلة الطهى وهى تغلى دون أن يعبأ بها أحد، وتندفع المرأة كالمجنونة إلى الرضيع الذى لا إرادة لها، لكى تجرد جسمه بالقوة من الثوب الملوث بالبراز (١) ، وتعمل بطاقة عارمة على أن تدسه فى ثياب بيضاء ناصعة كالثلج مغسولة لتوها. ثم

---

(١) نلاحظ فى كتابات يلينك الالتزام العلمى بتسجيل التفصيلات الحيوية التى تشمل الجنس والإخراج والضرب العنيف والدم والجراح والمرض والموت والسذاجة التى تؤدى إلى الكوارث والجهل والجرى وراء الرجل بأى ثمن ووراء خلف العيال دون تدبر وتدبير. ويشمل هذا الالتزام استخدام السجل اللغوى المباشر الذى قد يهز الحياء والتحفظ ورقة الإحساس لدى من لم يألف قراءة هذا اللون من الأدب. ومن منظور مفهومى عن تناقل الثقافات أقف موقفاً وسطاً، مراعياً أن يكتسب القارئ الواعى الانطباع الصحيح عن الأصل.(المترجم)

تتوالى القبلات الكثيرة من أفواه كثيرة تتطبع على البرياتوز الممتلئ. ويجرى نقل البراز إلى الغسالة. معجزة من معجزات الطبيعة تتكرر دواماً، كيف يبدل الشىء الأبيض، بل الأكثر بياضاً من الأبيض بالشىء الداكن النتن. نُسى البراز، وطلعت الشمس. أفواه كثيرة معجبة جاءت لتوها زائرة، تقول للطفل الصغير يا خنزءور وتقول للأم السعيدة يا أيتها الأم النشيطة.

كثيراً ما تحس «پاولا» بدافع نحو «إيريش». كثيراً ما تحس الأم بدافع نحو التنظيف.

وهذا هو الدافع نحو «إيريش» قد حل. الشاب الحليوة يحدث أثراً طيباً على هذه الخلفية من أجسام النساء ومن أصحاب المعاشات المهكمين المرتعشين ومن الصغار غير البالغين المحملين بأثقال فوق الطاقة. ويشق «إيريش» عفونة العرق كما تشق الستارة، وهاهو ذا.

وراء منضدة الوكالة نساء متبرمات بلا دبل زواج، لابسات معاطف بيضاء يصلحن كويتها، بينهن أم ولد غير شرعى، وسيذهب الولد، الآن عما قريب، مبكراً، إلى الغابة لقطع الخشب. تسريحات شعر برماننت، بلوفرات جديدة عليها اسم الوكالة تحت المعاطف البيضاء، أحذية واطية برباط ومن فوقها سمانة رجل بيضاء تخينة، أسنان ذهب، سلسلة ذهبية يتدلى منها صليب. تتهال على «إيريش» أسئلة كثيرة صعبة مجلجلة عن أمه وجدته وأبيه، وتخرج إجابات من فم «إيريش» أبطأ بكثير من الأسئلة. حيال الأسئلة يقف

«إيريش» كالثور أمام السياج الحديدى. شكراً بخير. نور النيون غير مألوف للعيون التى يتاح لها أن تنعم بهواء الريف النقى. نور النيون غير طبيعى وغير صحى. «إيريش» جميل الطلعة ممشوق القوام.

البائعات يتملكهن فى الحال حنين إلى نُتفة من الحب.

«إيريش» ليس لديه نُتفة من الحب ليوزعها، بل ليس لديه حب بتاتاً. حتى أقرب قريباته، اللاتى انقصعت أيديهن من مدها أكثر من مرة تطلب «إيريش» وضربه المبرح، لم يُتَح لهن التعلق به، بحب «إيريش». «إيريش» يتمنى أن يقتل أباه وأمه، ولكنه لا يجد لديه الشجاعة للتنفيذ. والجميل أنه بدلاً من ذلك يعذب كلباً صغيراً، قطة أو طفلاً صغيراً، عندما لا يراه أحد.

ليت «پاولا» تعرف ذلك.

«پاولا» تجرى وراء الحب جرى الخنزير وراء حشف البلوط.

«پاولا» تشمشم فى كل الشقوق بحثاً عن «إيريش» لتهبه نفسها.

والحانة تنظر ساكنةً إلى هذه الأعمال، ولكنها سوف تدخل فعلياً عما قريب فى الصراع بين الجنسين.

عندما يكون الإنسان مخموراً، يضرب أسهل من غير المخمور، ولكنه يفيد من الضرب أقل لأنه يضرب

وكأن غيامة تفشاه، ولا يستطيع حتى أن تكون لديه ذكرى جيدة عن الضرب. على «إيريش» أن يجد طريقاً وسطاً يمكنه سلوكه، وهو ما يتطلب سنوات كثيرة من الزمن، إلى أن يقع مرض الشيخوخة أو تقع الشجرة. سنوات كثيرة من الممارسة.

أما «پاولا» فلا تزال تعتقد دائماً أن الحياة والحب أمامها، ولم تعرف للآن أن حبها وحده على أكثر تقدير هو الذى أمامها. على الإنسان أن يعمل كل شىء بنفسه. فى مقابل ذلك يَنْتُجُ شىءٌ. عندما يعمل الإنسان كل شىء بنفسه فسيكون كما ينبغى، ونقول فى نهاية المطاف إن الإنسان لم يعد فى مقدوره أن يعتمد على أحد حق الاعتماد.

فى الخارج صرير فرامل. إنسان أفلت من الموت.

«پاولا» ترافق «إيريش» ومشترواته إلى الشونة القديمة. عدد من أولاد الريف الأصحاء سبقوها ودخلوا ثم خرجوا مرضى. البعض وجدوا فيها سعادتهم ثم فقدوها بعد ذلك مباشرة، والغالبية وجدت هنا تعاستها. قليلون هم من وجدوا هنا شيئاً يمكن أن يدخل السرور على النفس. الشعور بالسعادة ليس هو القاعدة هنا، هنا تسيطر الحسابات وعمليات الجمع وعمليات الطرح . هنا برودة ثلجية.

هنا لم تتحقق بعض أشياء كانت مأمولة. هنا قال البعض عما قريب سنكون ثلاثة. هنا تحطمت بعض الزيجات وبعض القلوب. هنا يسود الولع الذى لم يره أحد حتى الآن رأى العين. هنا يدخل الإنسان مبتوراً

عاطفياً ويخرج مبتوراً عاطفياً. وما جرى بين دخول وخروج فلاشىء، ولا يغير شيئاً. هنا يسود قانون أسفل البطن، على خلاف قانون الغابة، الذى ينطبق عند العمل. وتبتلع فى الختام صنوف مختلفة من مياه أذيب فيها مسحوق الغسيل الملابس .... المتسخة التى كانت قد دخلت الشونة نظيفة مغسولة.

«إيريش» يتعثر قليلاً تحت وطأة شنطة الظهر الثقيلة وتحت تأثير السيد الكحول [1] . «پاولا» تحس وخزاً فى قلبها وضيق تنفس لأنها تتأهب لشىء كبير. والسيد «إيريش» الكبير موجود، ولن يأتى شىء كبير غيره من بعد.

«پاولا» تاقت فرحانة إلى الحب الذى لن تناله. حتى بعد أن انصرف «إيريش» تبحث «پاولا» بين كتل الخشب وفى المزود المنتن وفى التبن وفى مصرف الروث عن الحب.

ولكنها لا تحس إلا بألم فى ....

«إيريش» يصعد الجبل ....

«پاولا» تعلم أن الحب يؤلم عند فقد إنسان عزيز، حدوث مصيبة، حادث بالسيارة الرياضية، الموت تحت مشرط الجراح أو انتحار مأساوى.

كيف يمكن أن يؤلم الحب عندما يأتى؟ وليس فقط عندما يذهب؟

---

(١) تصور الخمور والكحوليات على سبيل السخرية على صورة إنسان تسميه السيد الكحول. (المترجم)

«پاولا» تجلس فى التبن .... تقـريبـاً فى لحظة تحـول الطفل المرتجى فى مخـهـا إلى خـوف فظيع وخطر مستطير. من طفل مرتجى إلى طفل مرعب. "پاولا" والعواقب.

إذا لم تكن «پاولا» بجسمها الذى لم يكتمل نموه وعقلها الضامر، واشتغالها المبتدئ فى الخياطة وفستانها الأحمر الجديد، قد استطاعت التمكن من «إيريش» .... فكيف يمكنها التمكن من «إيريش» بطفل صغير؟

ونحن لم نصف الحب بين «إيريش» و«پاولا» لأنه لم يكن له وجود. كان ما بينهما كحفرة فى الأرض يعثر فيها الإنسان، فيقع داخلها، ثم يسير من بعدها بخطى عرجاء. لم ينكسر شىء إلا إنسان من البشر فى زهرة عمره.

ويوم الغسيل فى البيت يبتلع بلا حياء المنديل .... كما ابتلع قمصان الشغل العرقانة الخاصة بالأب والأخ. هكذا يكون الفرح والألم والعمل قريبين أشد القرب بعضهم من البعض الآخر.

بالنسبة إلى «پاولا» يتطلب الحصول على «إيريش» والاحتفاظ به عملاً ثقيلاً. لم يعد للحب مكان فى الجسم .... الحب فى رأسها فقط....

خير للإنسان أن تكون لديه حجرة مطبخ جديدة لامعة من أن تكون لديه فرخة فى بطنه. الفرخة لا تدوم والمطبخ يبقى ويدوم.

كذلك لابد من أن تأتى غسالة آلية.

على «پاولا» الآن أن تربط بين عمل آلة وبين مهارة الراقص على الحبل.

ما يتهددها شيء أكثر من الانهيار.

ما يتهددها هو انقطاع التعب....

وليس جميلاً دائماً أن ينقطع التعب.

للأســـــف

ألا يوجد سوى عطلات نهاية الأسبوع فى الحديقة الشريرية، هذا ما تفكر فيه «بريجيتّه» التى ناداها الواجب لتوها: تعالى يا «بريجيتّه».

كثيرات يدخلن فى العمل بشراً لم يتغيروا ويخرجن منه وقد اعتراهن مزيد من التصلّب والسوء.

«بريجيتّه» لا تريد أن تزيد صلابة، بل تريد طفلاً.

لا شىء فى رأس «بريجيتّه» سوى «هاينتس».

«هاينتس» يقعد عند نهاية مستنقع طويل كما يمكن أن يجد الإنسان مثيله فى رءوس كثيرات من زميلاتها. مع فارق هو أنه ليس هناك عند نهاية كل مستنقع واحد كـ «هاينتس» يقعد ويلوّح، وليست هناك صنابير ماء منكلة ولا سخان ماء ولا سلطانيات تواليت.

عند نهايات المستنقعات الكثيرة الأخرى ينتظر

أناس أقل بكثير من «هاينتس» عقلاً وبدناً وخلقاً.

كثيراً ما لا يكون لديهم أيضاً وعى بالواجب.

كذلك «بريجيتّه» ليس لديها وعى بالواجب. فى الزواج ستتعلم «بريجيتّه» الوعى بالواجب، كما تعلمته صبايا كثيرات كن من قبل مستخفات متساهلات إلى حد كبير. «هاينتس» يصر - عن وعى بالواجب حيال بدنه المحتاج للراحة وحيال أصدقائه - على ممارسة البولينج. «بريجيتّه» - عن شك فى نوايا «هاينتس» أو عن معاندة - لا تذهب لممارسة لعبة البولينج. كثيراً ما يرى «هاينتس» وهو يمارس البولينج نساء أجنبيات، وأحيانًا بدون زوج شرعى.

النساء اللاتى ليس لهن رجال قوامون عليهن خطيرات جداً على شاب لم يصلب عوده بعد مثل «هاينتس» الذى لن يصلب عوده إلا فى الزواج.

عندما تأخذ «بريجيتّه» بعد ذلك «هاينتس» الذى تعلقت به كله قطعة واحدة .... بحيث تفوح منه رائحة البيرة القميئة وتنتشر فى كل مكان، فإنها تحس بإحساس خالص بالامتنان، وكأنما امتدت يد الجن ....

لم يكن هناك شىء يمكن الإحساس به حتى ذلك الحين، ولكن هذه الراحة الهائلة عدلت مزاج «بريجيتّه».

وهذا أمر ضرورى لأن أمامها مرة أخرى يوم عمل شاق.

وقد حدث

وقد حدث لـ «پاولا» أن انقطع التعب.

تبع الخوف من انقطاع التعب .... ، ولم تكن امرأة فى محيط «پاولا» تستطيع أن تفكر فيه إلا على أنه تعب، انقطاع للتعب لا راد له.

حتى الآن لم يأت من الحب شىء، بل انقطع شىء، علامة على أن شيئاً سيأتى من شأنه أن ينشط وظيفة «پاولا». شىء كبير.

نفَس الحياة أى .... لمس «پاولا»، ولكنه لم يمسها فقط.

الخِياطة ما زالت هناك. ولكن «إيريش» هو الذى ما زال مختفياً.

ليس لـ «پاولا» أن تصعد الجبل، وهو ما لم يكن يعنى بالنسبة إليها شيئاً لأن سرها الحلو، كما يسميه الناس، يحيطها بأستاره أيضاً فى الوادى.

سر «پاولا» الحلو لابد أن يُبَلَّغ للرجل الذى تحبه والذى .. ، حتى يتبع ذلك الزواج.

عما قريب سيجعل سر «پاولا» وجهها أنعم، ونظرتها أحن، وبطنها أضخم، وصدرها أكبر، وظهرها أشد إيلاماً، ووزنها أثقل، وخوفها أشد. السبب: «پاولا» تخشى والديها اللذين يتسمان بخشونة الطبع، ولكن السر سر حلو.

«پاولا» لم تقل لـ «إيريش» حتى الآن أنا أحبك؛ لأنها لا تكاد تعرفه، والآن تقول الجملتين بنَفَسٍ واحد، أحبك وفى بطنى طفل منك.

وعلى «پاولا» أن تبلغ الأم والأب. ويلاه.

«پاولا» تحتاج إلى «إيريش» فى وقت الحمل هذا على نحو خاص جداً؛ لأنه يعنى بالنسبة لكل امرأة موقف أزمة، وبالنسبة للتكوين العضوى الأنثوى حِملاً، ولكن حِمل مفرح. «پاولا» تحتاج فى وقت الرجاء الصالح هذا إلى الكثير من التفهم والعناية والحماية من الحيوانات الشرسة والعمل الصعب والضرب العنيف والمعاملة اللاإنسانية. و«پاولا» تفكر فى أن كل معاملة لاإنسانية، حتى لو كانت هينة، ستثير الأسى فى قلوبكم، إذا ما علمتم أننى أشعر فى داخلى بحياة ناشئة. الحياة التى لم تولد تتمطى داخل «پاولا» وتتمدد نحو الشمس.

«پاولا» تتخيل أحياناً فى كوابيس مَرَضية ما يمكن أن يحدث إذا هى قالت لأبيها: يا بابا أنا أحتاج الآن إلى الكثير من الرعاية والعناية لأن فى داخلى شىء لم

يولد يتمطى ويتمدد نحو الشمس. حينئذ تقبض يد استهجان حديدية على «پاولا». على الرغم من أن بابا أنجب الكثير والأكثر من الكثير من العيال.

هل سيقول مرحى! مرحى! حفيدى يخرج الآن من أحشاء ابنتى، يا مرحباً، أهلاً وسهلاً، ادخلوا، هانحن أولاء لدينا مرة أخرى فى بيتنا حياة رضيعية صغيرة تكونت لتوها، المهم أن تكون سعيدة؟

والأم، هل ستعطى تقريراً فنياً من خبيرة عن هذا الوضع البهيج الطويل الذى ليس بلا نهاية؟ هل ستحيط ابنتها بالرعاية والعناية؟ هل ستساعد فى شراء لوازم الطفل؟ لونها أزرق أم وردى؟ أم أصفر؟ موضوع ظريف. عندئذ لن تكون «پاولا» وحدها هى التى تعيش، بل هناك كذلك حياة ثانية حياة طيبة. عما قريب حياتان سعيدتان بدلاً من خِياطة واحدة.

و«إيريش»، الأب السعيد، سيمضى كل دقيقة فراغ مع الأم والطفل، سيكرس كل دقيقة فراغ للسهر على زوجته الصبية، وسيكف عن شرب الكحول، ولن يمقت أحداً بعد الآن، ولن يبعثر النقود، إلى آخره.

«پاولا» تنوى أن تفتح لأمها داخلها كله بما يجيش فيه. والسبب: الأم نفسها كانت أماً عدة مرات وتفهم هذا الوضع الذى تهيم فيه «پاولا». بل إنها تفهمه أكثر من رجل لا يمكنه إلا أن يكون أباً ولا شأن له بهذا القرف المقرف الذى هو من شأن النساء.«پاولا» تحكى حكاية مسألة نسائية لامرأة هى الأم التى هى امرأة.

«پاولا» تضع ثقتها فى أنوثة أمها، فيخيب رجاؤها.

الأم تنهال على «پاولا» بكل حاد من التقريع والتشنيع وتدكها فى الأرض دكاً. وكل الأولاد الذين كانوا فى زمن مضى حملاً ثقيلاً فى أحشائها، يبدو عليهم أنهم يدكون معها بكل همة، هكذا حطت على المرأة كل هذه القوة الهائلة فجأة.

لم تسمع «پاولا» حتى الآن ضربات البلطة مدوية بعيدة الصدى إلا فى الغابة. ولو لم يكن التدبير لقتل «پاولا» بالبلطة ليتم بكل هذه الكراهية، لكانت عملاً بهيجاً. المحبة تضم، الكراهية تفرق. أم «پاولا» تكره «پاولا» بسبب الطفل الذى فى بطنها. أعضاء مختلفة أخرى فى جسم «پاولا» تتحطم نتيجة لهذه المعاملة.

أم «پاولا» كرهت زوجها من قبل مراراً بسبب الأولاد فى بطنها، بسبب زيادة الشغل، وعملية الولادة المقززة، وكذلك كرهت مراراً وتكراراً الأولاد فى بطنها ثم الأولاد خارج بطنها، والأم الآن فقدت شعورها ولبها نهائياً حتى أنها لا تكره فقط طفلاً خارج بطنها وداخل بطن ابنتها، بل تكره علاوة على ذلك ابنتها. سيعتقد الناس أنها ربت ابنتها نفسها تربية غير صحيحة. هذه الفضيحة وهذه السخرية. فوق هذا الشغل الجنونى كل يوم تأتينا الفضيحة والسخرية. تستطيع أم «پاولا» ارتجالاً أن تذكر دزينة من الناس، كلهم خشابون، ومعهم معيتهم، سيفرحون لهذه المصيبة من فورهم ارتجالاً أيضاً. ومنهم أناس فرحنا فرحاً هائلاً لمصائب حلت بهم (ابن معتوه، أب فى السجن

بجريمة هتك عرض، أم استأصل الجراحون أحشاءها كلها، أب وقعت فوقه شجرة قضت عليه، أم هربت من زوجها وعيالها ودخلت المصنع، طفل يعيد السنة فى المدرسة مرة بعد مرة، سحب رخصة قيادة نهائياً بسبب السكّر، سقوط قاتل من أعلى الجبل، كرسى جديد تماماً مزقه الابن شر ممزق بالمقشط... إلخ).

ومن الممكن أن يفرح هؤلاء الأنذال بمصيبتنا فرحاً زائداً، وهذا خاطر فظيع خطر ببالها.

البنت «پاولا» سيكون عندها طفل

البنت «پاولا» سيكون عندها طفل!

مشهد كراهية مضحكة فى قاع الوادى هنا.

الكراهية تنتقل كالنار المتدافعة من جبل إلى جبل.

و«پاولا» فى قلب النار، بل ربما هى التى أشعلت النار.

تذهب «پاولا» متلطفة كل التلطف إلى أمها التى هى أم أيضاً وتسلك إليها طريقاً شاقاً مطولاً، وتدس رأسها الصغير الذى لم يصفف شعره، تحت ذراعها، كما كانت «پاولا» الصغيرة تفعل دائماً فى الماضى فى زمن الطفولة التعيس، تذهب إليها لتعترف وتريد أن تأخذ بعض وصفات تريكو وكروشيه تستخدمها فى الجاكتة اللذيذة الزرقاء أو الوردية التى تود أن تشتغلها أو تطرزها لطفل «إيريش». وكوفئت ثقة «پاولا» كالمعتاد بالضرب المبرح وصراخ الكراهية الهائل..

رأس «پاولا» معلق فى خيط رفيع، فليس فى جسم التى ستصبح أماً موضع سليم.

وعندما يظهر الأب القوى فى الصورة التى هى الواقع ستكون الحال غير الحال!

وهاهو ذا يظهر، ويعرف الخبر بكلمتين على أسلوب البرقيات، لكى لا يضيع وقت الضرب المبرح الثمين، الأم قطعت النفس من فرط الضرب المبرح الذى انهالت به على «پاولا»، لا تستطيع أن تضم شتات الحكاية وتربط الأسباب بالمسببات، فعليها أن تضرب وأن تزيد وتعيد فى الضرب.

وتستمر تواً، هيا إلى مطاردة الصيد البهيجة، هذا أجمل وقت لها، من كان الخنزير؟ من هو الخنزير؟ أى خنزير هذا الذى عليه الآن أن يتزوج، أراد أو لم يرد؟

عجيبة من العجائب أن هذا اليوم المثير لم يتبعه سقوط الجنين.

«إيريش» ذو الرأس الخنزيرية.

فى الفترة التالية لم يجر على «پاولا» الكثير مما كان من المألوف أن يجرى عليها. لم يجر على «پاولا» فى يوم من الأيام شىء ذو بال. يقولون إن جروح الروح كثيراً ما تؤلم أكثر من جروح البدن، ولكن جروح «پاولا» البدنية فى هذه الحالة ليست هينة، إنها تحتاج إلى عناية وبعض المراهم.

«پاولا» تشعر بأنها تعامل كشىء غير مستحب، ولا تعامل كإنسان، فهى إنسان. ولو كان الوالدان قد انهالا

بالضرب المبرح على شىء صلب لا يلين، فالأرجح أن رسغاهما كانا سينشقان.

ولا حاجة بالإنسان إلى أن يقول شيئاً عن حالة «پاولا» النفسية. لقد أصبحت إنساناً صلباً كالصخر متجمد كالثلج.

لم يأت أى «إيريش» ليساعد. «إيريش» تملكه الغابة، أما الغابة فلا يملكها «إيريش» بحال من الأحوال.

إذًا لم يكن حديثاً من امرأة لامرأة. وهذه نماذج الكروشية المقصوصة ملقاة مكموشة على الأرض متسخة ومدنسة.

صحيح أن «پاولا» لم تُرجم رجم المدَنسات، ولكنها خائرة منهارة. الطفل فى بطنها الضيق يهدد حياتَه حمامُ الماء بالصابون المحبوب ذو المفعول الأكيد الذى يقولون إنه سيجعله ملَكاً صغيراً، وإن كان الفشل يحيق به أحياناً؛ لأن الحياة الناشئة تتشبث بأرض الأم.

ماء جيد ساخن يغلى بصابون من علب مسحوق الغسيل الجيدة النظيفة الملونة وفيها الكثير من السم الجيد (١) . يمكنه حتى أن يقضى حتى على الأب إذا ما ابتلعه. ولكن الأب يفضل ابتلاع سجق حثالة الخشابين.

---

(١) نلاحظ السخرية فى استخدام كلمة جيد ثلاث مرات متتالية فى جملة واحدة. (المترجم)

وهذا وسيط فى طريقه إلى «إيريش» من خلال الغابات والحقول والترع الشيطانية. ليس الموقف رومانتيكياً على الإطلاق.

من المأمول أن تكون السحجات والكدمات الزرقاء والجروح والرضوض قد خفت إلى أن يحين حين عقد القران.

فى كيان «پاولا» رنين نشيد، ولكنه ضعيف جداً.

فيه بدلاً من الجروح فستان دانتيللا أبيض طويل يصل إلى الأرض ومعه طرحة (١).

لا ماء بالصابون، بل قبعة جميلة من الزهور.

لا إجهاض، بل تورتة زفاف جميلة.

ليس فيه سقط ميت صغير، بل شواء جيد من لحم الخنزير.

من الحجرة المطبخ تحملق نظرات كراهية مثل الأشواك، كثيفة هذه الأشواك، فلا يكاد أحد يستطيع من خلالها أن يدخل المطبخ.

حيوات وأمنيات خائب رجاؤها تنتقم الآن متزامنة من «پاولا» (٢).

---

(١) في السطور التالية استخدام ساخر لبعض تقنيات النصوص الشعرية الغنائية البسيطة، وبخاصة الشعبية، من قبيل تكرار كلمة مرتين أو اللعب بكلمة لها أكثر من معنى أو التجنيس الناقص، أو القافية الضعيفة، مع عدم الاهتمام المتعمد بالمقومات الشكلية الكلاسيكية التقليدية لأسلوبيات وجماليات الشعر الغنائي. (المترجم)

(٢) لا يصدر عنف الانتقام عن منظومة دينية أو أخلاقية، بل عن معاناة أفراد طوال حياتهم من ظلم وبؤس وانتقام يتحول الآن إلى هدف مستضعف. (المترجم)

البقية الأخيرة من الحسية فى «پاولا» تتسرب فى التربة. فقدان كامل للإحساس البدنى.

محاولة قتل الصغيرة «زوزانه» فى بطن «پاولا» لا تنجح. أما قتل الأب والأم فقد تم منذ سنوات. هناك بالنسبة إلى «باولا» عالَمٌ تحطم، وليس لذلك أهمية، لأن العالم على أية حال لم ينتم فى يوم من الأيام إلى أى جزء من «پاولا».

بل لى صديقة

لى صديقة تذهب إلى المدرسة الثانوية، هكذا تتفاخر «بريجيتّه» أمام إحدى السكرتيرات وجزر الكناريا التى جاءت منها. عند التفكير فى «زوزى» تتقلص معدة «بريجيتّه»، وتكاد القهوة المصفّاة (١) تصعد إلى أعلى وتخرج من فمها ومن فتحتى أنفها. وعلى التو يخالج «بريجيتّه» الأمل فى أن يتحقق الحمل فى هذه المرة. ولكن ليس الذى فى مخيلتها سوى «زوزى».

«بريجيتّه» تدّعى أن «زوزى» تعاملها كإنسان.

السكرتيرة ترتب أشياء خاصة بالمكتب بحركات تنم عن التملك. وهى تشعر بأنها تنتمى إلى رئيسها، وهى لا تشعر فى أية لحظة بأنها تنتمى إلى «بريجيتّه».

---

(١) القهوة المصفاة هى القهوة المادية التى يشربونها فى ألمانيا والنمسا. (المترجم)

فبين «بريجيتّه» وبينها هوة عميقة. والهوة بينها وبين «بريجِيتّه» أَسمها: مدرسة التجارة.

وليس هناك غير هذا ما يقال أو ما يحس به.

وليس هناك ما يُعمل إلا الانتظار.

«بريجِيتّه» و«پاولا» تنتظران الزواج.

«هاينتس» إنسان طيب؛ لأنه سيتزوج «بريجِيتّه» بسبب طفلها وسيهيئ لها حياة فى حياة الأعمال.

وقت الانتظار لا يمكن أن يشغله أحد بموسيقى أو بكتاب جيد مشوق أوبرنامج تليفزيونى أو أمسية بولينج. لا بد أن يصبح وقت الانتظار صفحات خالية. «إيريش» إنسان أسوأ؛ لأنه لا يريد أن يتزوج «پاولا» بسبب الطفل. ولكن لا بد أن يفعل على الرغم من ذلك.

مرة أخرى يقوم أبو «هاينتس» الذى نقص نصيبه نقصاً مفرطاً بتقريع ابنه بقبضة بوليسية، تعينه عليها غضاريف عموده الفقرى المستهلكة عوناً نشيطاً. إنها ترسل من أسفل إلى أعلى إشارات ألم كالإشارات التلغرافية إلى مخ الأب. يتكلم الأب بثقل كل خبراته الحياتية الكئيبة. «هاينتس» يضيق نفسه ويلهث بحثاً عن هواء وعن «زوزى».

«زوزى» تلهث بحثاً عن هواء تتنفسه تحت المعانقات الرياضية القوية التى يضمها بها أبوها الرياضى الذى يمارس أيضاً لعبة التنس. أبو «زوزى» يعانق ابنته لأنها أنجزت وحدها بالتمام والكمال تورتة جيدة.

أبو «هاينتس» لم ينجـز [1] حتى الآن حياته تماماً إلى نهايتها على الرغم من أن عموده الفقرى المكسّر لا يكاد يستطيع أن ينجز شيئاً له فائدة، لا لمن يعطيه لقمة العيش، ولا لصاحب العمل، ولا للأب نفسه. لا يزال أمام «هاينتس» حياته، وهذا هو ما أن يعتقده.

و«بريجيتّه» أمامها حياة «هاينتس».

بينما أمسك الأب «هاينتس» من رقبته مسكة الخنق بكل طاقات سواق المسافات البعيدة الذى لم يعد صالحاً للسواقة على المسافات البعيدة، ترك الأم بركبتيها على صدر «هاينتس» [2] وتطالب «هاينتس» بألا يسرق منهما ثمار توفيرهما، بأن يأتى بواحدة مثل «بريجيتّه» إلى البيت الذى بنياه بما وفرّاه من نقود. إنهما يفضلان واحدة مثل «زوزى». ولكن واحدة مثل «زوزى» لا تفضلهما، وهو ما لا يخطر ببالهما. فهما يعتبران «زوزى» شيئاً أقل؛ لأنها امرأة، ولهذا فهى دون «هاينتس». «زوزى» باعتبارها امرأة شىء واطى، ولكنها كإنسان يحتل درجة ما فى المجتمع، شىء أعلى من «هاينتس».

---

(١) نلاحظ استخدام نفس التركيب «انجز تمامًا» مرة فى الحديث عن التورتة ومرة أخرى بعدها مباشرة فى الحديث عن حياة الأب، وهى طريقة تشبه النقلات الموسيقية، والأصل الألمانى للتعبير غير مألوف فى هذا المجال الدلالى ولكنه مفهوم فى اتجاه التضخيم والسخرية. (المترجم)

(٢) نلاحظ كثرة استخدام أسماء الأشخاص على نحو غير مألوف، فقد يرد الاسم فى السطر الواحد ثلاث مرات، وفى الصفحة عشرين مرة، وهى طريقة إلحاح فى التدقيق يلجأ إليها محدودو الثقافة والمتشككون. (المترجم)

هذا شىء بالغ التعقيد بالنسبة لواحد (سائق سيارة) لا تقع عيناه دائماً أبداً إلا على لافتات المرور، طول عمره تقريباً.

هذا شىء غير مفهوم كليةً بالنسبة لواحدة لا ترى عيناها دائماً أبداً إلا الصحون و«هاينتس»، طول عمرها تقريباً.

هذا المشهد يجرى لأن الأب مضطر إلى الخروج إلى المعاش المبكر؛ وقد حُجز له فى حفل الآلام للرقص المقنّع، وفى حفل رقص الكارنفال مكان، ولهذا فقد تعرض حساب توفير الزوجين لتجاوز مفرط إلى أبعد حدود الإفراط. لم يعد الأب يقف على رجليه كليهما فى قلب الحياة كما كان حتى الآن. إنه غارق فى المصائب الرهيبة حتى رقبته. تلك أرض غير مطمئنة إلى حد بعيد.

صحيح أن الحياة مستمرة فى المسيرة ولكنها تَعبر على والدى «هاينتس» عبوراً.

كل الآمال معلقة الآن على «هاينتس» الذى سيخيب رجاءهما.

ما أخذاه خطفاً أو اقتناءً أصبح فى حوزة «هاينتس»، فكأنهما لم يكدا ولم يشقيا. والأمر الجوهرى بالنسبة إلى «هاينتس» هو الآن أن يجتاز امتحان «العامل الفنى» وامتحان «الأسطى» ويكون له محل أجهزة كهربائية.

طريق حساب التوفير هو: إلى «هاينتس»، وفرملة أمام «بريجيتّه».

وهذه «بريجيتّه» فى غرفة معيشة أمها تتبادل الحديث مع بطنها. «بريجيتّه» تسأله: هل الصغير الذى لم يولد فى الداخل الآن؟ لا، هكذا يرد البطن، لا أزال خالياً. آسف. ولكن ربما فى الشهر القادم.

«بريجيتّه» ترفع رأسها عالياً. والشغل يبقى لها على أية حال، إنه ينتمى إليها وحدها. لن أعود إلى العزلة أبداً.

جثمان [1] أم «بريجيتّه» ممدد على الأريكة ويقرأ فى جريدة بيوت الأمراء. هى فى بيتها ملكة. أما «بريجيتّه» فليست للأسف فى بيتها الخاص بعد.

---

(١) يلينك تعتبر المرأة ميتة بمعنى أنها وهى حية فى حكم الميتة. (المترجم)

فوق في الطبيعة

فوق فى بيت الفلاحين الصغير تتصادم فى هذه الأثناء مصالح أهالى الريف العاملين. مصالح أناس لم يستفزوا قط مصلحةَ أى شخص آخر، وهم أنفسهم لا يعرفون أنهم من الممكن أن يكون لهم شيءٌ ما يشبه أن يكون مصلحة. وعلى الرغم من ذلك فإنهم يعتبرون أنفسهم البنزين فى الآلة ويعتبرون «پاولا» الرمل الذى يعطلها.

«ربو» يصدر من أنفه صفير حشرجة كفأر مدهوس. لا حاجة بـ «ربو» إلى أن يتكلم لكى يظل بعض الأشخاص يتحركون دائماً، يتحركون حواليه. بطن «پاولا» الضئيل - الذى سينتفخ ويكبر عما قريب، بحيث يمكن أن يكون هناك فجأة فى مقابل النقود نفسها (التى تنفق على الأكل) زيادة فى وزن «پاولا» مقداره عدة كيلوجرامات - معروض للمزاد. ولكن ليس هناك من يريده. لو كانت الزيادة فى وزن

خنزير لاعتبر زيادة هائلة فى القيمة. فى «پاولا» [1] تعتبر الزيادة علامة على أنها كانت سهلة المنال، سهلة سهولة مفرطة، وأصبح عرضها فى المزاد الآن صعباً صعوبة مفرطة.

لا أحد يريد ما فى بطن «پاولا» وحده، يربيه ويحبه. لا أحد يريد «پاولا» كشخص ببطن أو بدون بطن. حتى جلدها الخارجى لا يريده أحد. فلا يمكن أن يصنع منه شلتة لأريكة ولا كليم من قطع مرتقة بعضها فى البعض.

أما رأس «پاولا» فلا فائدة من الكلام عنه. من يأخذ جسم «پاولا» وقوتها العاملة، يأخذ رأسها فوق البيعة. هدية للدعاية أو هدية الشركة لمن خدمها طويلاً بأمانة. والناس الذين ينظرون إلى المستقبل ويحسبون حساب مِلكها، ثروتها المنتجة المسماة «إيريش»، من المحتمل أن يعتبروا رأس «پاولا» مصيبة تفكر أكثر من الكثير، فلا يمكن لهذا السبب توجيهها التوجيه الصحيح.

«ربو» يتنفس من خلال خياشيمه بصعوبة ويتأوه بعد أن أكل غذاءه. الموظف السابق له أن يطلب. أما «پاولا» التى تطلب «إيريش»، فلها أن تطلب ولكنها لا تحصل على شيء. وأم «إيريش» تندفع إلى أمام تجاه الفرن الساخن الذى يغلى فيه الطعام وينضج. وما كاد الأب الذى يجد عناءً فى

---

(١) المقارنة الساخرة الأليمة بين الإنسان والخنزير. (المترجم)

الكلام يلقى أوامره بالحشرجة، حتى كان الجولاش[1] أمامه .

الخلاصة: «پاولا» لن تدخل هذا البيت، إلا إذا مات ثلاثة أشخاص كبار. لم يبق هناك عمل لأحد، نحن نقوم بعملنا وحدنا، النساء تقوم بشغل النساء، و«إيريش» يقوم بعمل الرجال وهو كثير. كذلك «إيريش» مهم فى تدبير النقود. تكاد النقود تكون أهم وأصعب فى الحصول عليها من العمل. فلم ينقصنا قط عمل، أما المال فكثيراً ما كان ينقصنا.

الإدارة العليا يتولاها السيد المايسترو «ريو». هو الذى يقود دون كلام أوركسترا هؤلاء العجزة. أما البهار الذى يرش فوقه فتدبره الأم بآلام مفصل الحوض، ومن شأنه أن يضمن ألا يكون فى المطبخ والقبو والزريبة والسرير أبداً سأم. إنه يجعل العمل مثيراً ومنوعاً.

و«ريو» باعتباره موظفاً حكومياً سابقاً مدرب على إصدار الأوامر. ولكن «ريو» لديه أيضاً قدرة تؤهله لذلك. «ريو» لم يعد يستطيع التنفس، ولكن مهاراته المدربة بعناية ما زالت تحدث أثرها. التعليم الدقيق العميق فى السكك الحديدية الاتحادية يبقى مع من يتلقاه طول العمر، حتى بعد انتهاء وجود السكك الحديدية الاتحادية. فى هذه الناحية ليس عند «پاولا» شىء تعلنه أو تريده أو تقوله.

---

(١) الجولاش Gulasch لحم مقطع على شكل كباب الحلة يطهى مع البصل والبهارات الحريفة ويعتبر من الأكلات النمساوية المشهورة ، ومنه تنويعات مختلفة. ولا علاقة للجولاش بالحلوى المسماة عندنا «جُلاش». (المترجم)

«پاولا» تقعد مرتدية فستان يوم الأحد تارة هنا وتارة هناك. رأسها المدهوس بالصفعات يستتر فى بطنها المدهوس بالركلات. تحولت «پاولا» إلى كرة صماء متكورة على نفسها كالقنفذ. ولكن بلا أشواك. ويداها اللتان لم يكن عليهما إلى الآن أن يبتليا بامتحان الخياطة تمسكان كل النسيج الذى لا سبيل إلى مسكه. الخِياطة لا تقدم باقة زهور. فالاثنتان، «پاولا» والخياطة، لم يتم بينهما بعد إلا قليلاً من التعارف. فى رأس «پاولا» يبزغ برعم صغير، أما كانت الخياطة بالحق أفضل من «إيريش». البرعم يُجتث فى الحال ويداس بالأقدام. فى قلب «پاولا» يذبل آخر غصن حب ساكناً بينه وبين نفسه. فى ماء الغسيل تغفو الصحون نعسانة فى محيطها المألوف بينها وبين نفسها. طريحة جديدة من الصفعات تتكور فى الطبقة الدهنية الزنخة لقلاية العائلة إذا ما لم تمل «پاولا» فوقها تواً. لقد مال «إيريش» إلى «پاولا»، فلم يَقُد ذلك أياً منهما إلى أمام، إلا «پاولا» قادها إلى التعاسة التى كانت تقعد فيها من قبل. بل إنها ألقت بـ «إيريش» إلى الوراء فى مسيرته احتراف قيادة السيارات والدراجات البخارية (١).

---

(١) المقصود : الموتوسيكل الخفيف الذى يسمى بالألمانية Moped موپيد ، وهى كلمة مكونة من مو = موتور وپيد= پيدال، أى دراجة ذات موتور، ويراعى فى صناعتها الا تزيد سرعتها حسب المواصفات الألمانية - عن ٤٠ كيلومتر فى الساعة، وألا تزيد سعة موتورها على ٥٠ سنتيمتر مكعب. أما الموتوسيكل واسمه بالألمانية موتورراد Motorrad فمعروف بقوته المتزايدة وسرعته المتعاظمة وجاذبيته لهواة الاندفاع، وكما يقولون: التحرر من قيد الأرض. وهناك من يقارن الجسورين من راكبى الموتوسيكل بالفرسان راكبى الخيل. (المترجم).

من الممكن أن يأكل طفل ما شعر هذا أو ذاك إذا ما أراد.

لعل الدراجة البخارية تنتصر فى صراع المصالح هذا، هذا ما يتمناه «إيريش». بعد أن اتخذ «إيريش» هذا القرار إذاً مغلباً الدراجة البخارية على «پاولا» ودسه فى عين «ربو» الشبيهة بعين الضفدعة، هاهو ذا يركب الدراجة البخارية منتصراً، ويندفع تجاه الغرب فى الشمس الغاربة. «ربو» يحس بالارتياح. وسوف يطرد من مخ الولد هذه الدراجة البخارية التى لا فائدة منها والتى تفترس النقود، واحدة وراء الثانية.

والدا «پاولا» المغتاظان يهبطان الجبل مندفعين بجنون بين ذراعى «پاولا»، عدة مرات متتالية، بين أمام وخلف، وعندما يتركان حطام «پاولا» التى لم تغسل حتى الصحون، لم يكن بقى منها إلا القليل من العظم ومن الريش.

أما الغرب فقد امتلأ بـ «إيريش». فى الغرب كان مصطافون جدد قد أتوا، منهم أيضاً نساء.

الآن يبلغ فن حب «إيريش» أخيراً غايته.

«پاولا» تعانى عناءً هائلاً حتى تكاد أن تجن. إنها تعتقد أن عقلها يتسرب منها من خلال كل الفتحات، من كل فتحة يتسرب قليل من العقل، حتى يفرغ. وهى تندفع برأسها مرتطمة بالحائط، والوالدان الطيبان فرحان، لأنها توفر عليهما الضرب المبرح، «پاولا» تتولى ذلك بنفسها، برافو.

من ناحية الأم لا تتوقع «پاولا» تضامناً أنثوياً. إذا كانت الأم ستتفق حتماً نتيجة للسرطان، فعلى «پاولا» على الأقل أن تعانى القليل من المعاناة النفسية، وهو أقل وطأة بكثير من الآلام الجسمية التى ستدخل البيت إلى الأم قريباً. والأب يقول (١) الآن تستطيعين الاستمرار فى تعلم الخياطة لتتفقى على طفلك.

«پاولا» تبعبع حزينة قائلة: إنها تريد أن تكون بجانب طفلها، عندما يكون قد جاء، ثم هى فيما تريد أن تنتظر طفلها عندما يأتى بالقطار وأن ترافقه، وأن تكون دائماً وفى كل لحظة حوله. لا تريد أن تكون أماً تمارس حرفة، فالطفل يعانى من ذلك. «پاولا» تفضل أن تكون هى من يعانى.

الآن يحز فى نفس الأب بطبيعة الحال، أنه لم يقتل «پاولا» فى الماضى بالخياطة، ولكن الوقت فات، وتأخر تأخراً مفرطاً.

---

(١) تتعمد الكاتبة إهمال علامات الترقيم ، فبعد فعل يقول لا تضع النقطتين (:) ولا تضع علامات التنصيص (" "). لا تستخدم إلا النقطة فى نهاية الجملة والفصلات التى تخضعها لتصوراتها. وقد ذكرنا من قبل أنها لا تعترف بالحروف الكبيرة التى لا تستهل فقط - بحسب قواعد الإملاء الألمانية - الأسماء الأعلام والكلمة الأولى فى الجملة، بل كل الأسماء وما يعتبر فى حكم الأسماء من ألفاظ أخرى. وهذا التمرد ، الذى نجده عن كتاب آخرين أيضاً، يهدف إلى إعادة النظر فى الموروث، وإبراز دور الفرد المتفرد حيال القيود الجماعية التى تهدد الهوية الشخصية الفردية، وهوية الإنسان أساساً. (المترجم)

«پاولا» تتربص بـ «إيريش». لم تعد تفعل ذلك من أجلها شخصياً، بل من أجل حياة الطفل التى ستأتى والتى هى أهم منها ذاتها.

يكاد «إيريش» يكون بلا أهمية بالنسبة إليها، ولكن بالنسبة للطفل عندما يستطيع الكلام، لن يكون «إيريش» بلا أهمية، سيكون أباً. «پاولا» تتربص وراء خميلة البندق، ووراء خميلة البلسان أو وراء الكنبة المصنوعة من خشب الصنوبر.

من هنا تقفز بصرخة حربية إلى «إيريش» الذى يعود مسكيناً ومرهقاً من العمل. إنه مرهق مرهق مرهق مرهق مرهق. تكاد يداه ألا تكونا الآن أيدى بشرية، بل يغلب عليهما أن يشبها الشجر أو الجذور. «إيريش» يثرثر ويرغى متجهاً نحو مرفأ الوطن والفراغ. «پاولا» ترهق آخر احتياطيات «إيريش». وهى لم يعد لها أدنى اهتمام بـ «إيريش» الإنسان، وإنما بـ «إيريش» الأب المستقبلى.

وهاهى ذى تندفع إلى أمام، وتتشبث بظهر «إيريش» وتتكلم عن الحب والطفل. وتحكى «پاولا» عن مشاعرها الموجودة حيال «إيريش». «پاولا» لم تعد تشعر بشىء إطلاقاً نحو «إيريش»، وكذلك «إيريش» لم يعد يشعر نحو «پاولا» إلا بأقل من لا شىء. «پاولا» لم تترك المدرسة إلا منذ وقت قريب، فما زالت تعرف كلمات كثيرة يعبر بها الناس عن المشاعر. أما

«إيريش» فلم يمض فى داخل المدرسة وقتًا يكفى لتكون لديه كلمات تعبر عن أى شيء روحى [1] .

غير البيرة والإشنپص. ها ها. إنه يذكر دائماً عند سماع كلمة روحى من قبيل النكتة الإشنپص [2] والبيرة أو النبيذ.

نكتة جيدة.

«پاولا» تقول أنا بحاجة إليك، وطفلنا المشترك بحاجة إليك أيضاً، ربما أكثر منى، يا «إيريش»، وكم أنا بحاجة إليك!

ولما كان من هم بحاجة إلى «إيريش» كثيرين فقد ألم به الغضب شيئاً فشيئاً. وحال تثاقُله بينه وبين صد هؤلاء، فأخذ يضرب كالمجنون حواليه، وكثيراً ما كان يصيب نفسه فقط. وهاهو ذا فى الوقت الأخير يقابل «پاولا» فيأتيه اللقاء بنوع من الرضا.

يدرك «إيريش» أن قراراته وتصرفاته أصبحت فجأة مهمة لشخص آخر. وأن أحدهم تابع له. وأن أحدهم على نحو ما تحت رحمته. وهو ما يعطيه

---

(١) تلعب الأديبة هنا وفي الجملة التالية بالمعنى المزدوج لكلمة روحي التي تستخدم أيضاً للدلالة على الخمور : المشروبات الروحية. واللعب بالمعاني المتعددة للكلمة الواحدة مألوف لديها، وهي تتوسل به إلى التعبير عن صعوبة التفاهم بين الناس، فما هو المعنى الذي يقصده المتكلم أو الكاتب بالضبط؟ هل هو ما فهمه المستمع أو القارئ؟(المترجم)

(٢) الإشنبص Schnaps مشروب كحولي من مجموعة البراندي يحتوي على نسبة عالية من الكحول. (المترجم)

إحساساً جميلاً جديداً. «إيريش» يريد أن يختبر إمكان الإفادة منه.

«نِكى لاودا» اختبر من قبل الكثير، حتى إنه اختبر سيارات الفورميولا رقم واحد أو سيارات سباق الرتبة الأولى (١) الرائعة.

الموضوع نفذ إلى مخ «إيريش».

وذهب الاثنان إلى الشونة القديمة، فلم يكن فرق بين الذهاب وعدم الذهاب. ولقد عانت «پاولا» الكثير ....

من فوق الحقل الذى حش نجيله يطير سرب من الطيور تجاه قلب الغابة، الواحد وراء الآخر، عما قريب يحل الخريف. فى مقابل نقود حضراتكم لا تنتظروا هنا المزيد من وصف الطبيعة! ونحن لسنا هنا فى السينما.

«پاولا» ترقد ساكنة وهادئة على ظهرها... تستطيع أن تستريح وهى تنظر إلى السماء الزرقاء، والبرد قد بدأ وعما قريب ستظهر سحب الثلوج الأولى. المستقبل وحده هو الذى لا يظهر على أى شكل. من التربة يصعد ضباب، والغابة

---

(١) سيارات الفورميولا واحد بالألمانية Formel 1 سيارات سباق حددت المنظمات العالمية رتباً تبعاً لمواصفاتها، وهناك سيارات الرتبة الأولى، وسيارات الرتبة الثانية وسيارات الرتبة الثالثة إلخ. ونقلاً عن الإنجليزية تسمى فى صحافتنا فورميولا واحد، واعتقد أن تركيب «الرتبة الأولى» يفى بالغرض، بقى أن تكون هناك موافقة عامة عليه. (المترجم)

تتلاصق أشجارها وتصبح جداراً، وجذوع الشجر البيضاء تختفى فى الظلام. الطبيعة شىء قاس، هذا ما تفكر فيه «پاولا». إنها أقوى من الإنسان، إنها قوة أولانية.

أليس هذا وعل صغير؟ بعد قليل تبدأ نشرة الأخبار المسائية فى التليڤزيون!

أخيراً تستطيع «پاولا» أن ترتاح مرة، وربما استطاعت فى أثناء ذلك أن تربط «إيريش» بها بالسلاسل.

من الممكن نسيان الألم الخفيف، فهناك آلام أعتى تستطيع «پاولا» أن تذكرها. الحب ألم هين نسبياً فى سلم الآلام.... مرة أخرى يقع من «پاولا» أمل فى التبن المتعفن. وإذا فقد الإنسان أملاً، فهو على الأقل قد استطاع أن يستريح. والرقود أيضاً يفيد الجنين.

ليس فى «پاولا» حنان. ليس فى «پاولا» شىء على الإطلاق. عندما تكون كل الآمال قد سقطت من «پاولا» فستصبح خفيفة جداً كالريشة، كالقطة الصغيرة أو كالكتكوت الصغير.

كل الجزارين! صناع اللحم المدخن! النجارين، الساعاتية، الخبازين، ومنظفى المداخن اختفوا على الأفق. يلاحقون الغربان.

الخياطة تحزم الآن حقائبها، إنها تريد أن تلحق آخر أوتوبيس قبل أن يفوتها.

الحب لم يفتح حقائبه ولم يُخرج منها متاعَه ولم يرتبه.

تحول العمل إلى حالة تمريض، وهى تمسح بيدها على ملاءة السرير فى المستشفى لتسويها.

لا حب على الإطلاق فى «پاولا» .

إذا كان فى «پاولا» شىء فهو الكراهية التى تنمو وتنمو.

لم تُداخِلْها هذه الأحاسيس من تلقاء ذاتها، وإنما كان على البعض أن يشتغلوا شغلاً ثقيلاً من أجل ذلك.

الظلام ينزل، فى الغابة تبدأ بعض الحيوانات فى إحداث حفيف، فى بيت الثعلب يتحرك شىء، رجلان مرهقان يجتازان هرولة طريق القرية، يريدان الرجوع إلى المنزل، إلى العائلة وإلى التليفزيون. أنوار متفرقة تضاء. فى بعض المطابخ يصيح بعض الأولاد. الأم تضع طعام العشاء على المائدة. ضوء سيارة مبهر ينبرم بصعوبة من خلال الضباب. ما من أحد يفكر فى الغابة إلا على اعتبار أنها أرض ممتدة. الغابة مكان عمل. لسنا هنا فى رواية موضوعها الوطن!

لم يعد هناك أمل فى داخل «پاولا».

علينا فى هذا الموضع أن نقطع بشىء من المباغتة قدر بريجيتّه

لما كنا نمسك فى يدنا قدَر «بريجيتّه» فبإمكاننا فى أى موضع يحلو لنا أن نقطعه المرة تلو المرة.

أحاسيس «بريجيتّه» لا يطرأ عليها تغيير، فقلبها يضرب دائماً من أجل «هاينتس»، و«هاينتس» يرد الضرب [1] دائماً.

ينبغى أن يكون الحديث هنا عن أحاسيس، لا عن وقائع.

«بريجيتّه» لا قدرة لها على الأحاسيس، ولهذا فليس ثمة ما يقال عن «بريجيتّه».

«بريجيتّه» لا تصنع وقائع، بل الوقائع تقع عليها.

«بريجيتّه» تصنع الآن بلوفر لـ «هاينتس».

والبلوفر لا يتقدم إلا ببطء؛ لأن على «بريجيتّه» أن

---

(١) نلاحظ: القلب يضرب وهاينتس يضرب. (المترجم)

تتفق وقت عملها على العمل، وقت فراغها على مراقبة «هاينتس» والعناية به، ورعايته ....

يقال إن كل امرأة لبست سوتياناً خاطته «بريجيتّه» تتصور نفسها ملكة.

«بريجيتّه» لن تتصور نفسها ملكة إلا فى بيتها الجميل.

و«بريجيتّه» لديها علاوة على ذلك القدرة على إنجاب أطفال، وتلك قدرة ليست عند كل إنسان. وهى تتمنى أن يكون لها أن تنجب مثل هذا الطفل عما قريب.

منذ أن عرفت «بريجيتّه» «هاينتس» يتملكها دافع يدفعها إلى أن تنجب طفلاً. إذا لم يكن هذا إحساس، فما هو الإحساس إذاً؟

تكلم قلب «بريجيتّه» فقال «هاينتس". «بريجيتّه» تتبع هذا القلب إلى حيث يقودها، تحديداً إلى «هاينتس».

تلقت مائة مرة شلاليت ...

«بريجيتّه» تستطيع أن تعلن خبر النجاح، ألا وهو أن الطفل منتظر. ستشرق الشمس أيضاً على «بريجيتّه». «بريجيتّه» تشترى اليوم على عجل بيكينى ليوم الأحد القادم.

سيكون الطفل طفلاً مُرتجى. «بريجيتّه» ترتجيه، أما «هاينتس» فلا.

صحيح أن هذا الوضع غير ملائم، ولكن الطفل فى المقابل سيُسهّل عليه دخول الحياة عن طريق محل خاص للأجهزة الكهربائية.

«بريجيتّه» نفسها كان دخولها الحياة صعباً.

كثيراً ما تحس شيئاً كأنه ذنبها هى، بينما هو ذنب يحمله أجنبى.

إنها تعتقد على سبيل المثال أن الذنب ذنبها هى إذا كان تحتم عليها أن تعمل على خط الإنتاج فى المصنع. بينما الذنب ذنب «هاينتس» وحده دون سواه، فهو الذى لا يريد أن يتزوجها وأن يحررها من ربقة خط الإنتاج فى المصنع.

كثيراً ما رأت «بريجيتّه» فى السينما، أنه من الصعب أن يضطر إنسان إلى أن يعيش بذنب.

سيرة «بريجيتّه» تتناقص وتتناقص بدون أحداث تُذكر. ويمكننا مستقبلاً أن نقصر كلامنا على بضعة عناوين تتصل بالوضع العام، ونريد بها أن نذكر باختصار وضع «بريجيتّه» الثقيل على نحو خاص.

كل ما سيأتى الآن يتلخص فى انتظار وفى تنصت استبطانى، هل هناك أخيراً حركة أو عجلة.

الجبهات تم توضيحها وتفسيرها.

لن تجرى أحداث باستثناء الحدث الكبير المذكور.

العمل سيجرى على وتيرته.

فذلك مؤلم بما فيه الكفاية.

كذلك الولادة خبرة مؤلمة، ولكن من الضرورى المرور بها، حتى يمكن أن تتحقق هبة الطفل.

ولا ينبغى أن تكون هناك هبة الطفل فى نهاية المطاف لكى يفرح بها الطفل الصغير، ولكن لكى ليفرح بها الرجل الذى ينال الهبة. إن حصول الطفل على اسم عائلة «هاينتس» والضمان الكثير الجيد الذى يجره معه مثل هذا الاسم، هبة كافية ينالها.

الطفل والمرأة مدينان لـ «هاينتس».

من الممكن من الآن أن يضمن الإنسان للطفل، أنه بعد ذلك لن يتاح له الكثير من الفرح، باستثناء زيارة الحمويْن أو زيارة يقوم بها عميل مهم. إذلال الأم يعود يقيناً على الطفل، يعود على الطفل الأول بالضرب المبرح والأضرار المزمنة، ثم يتم بعد ذلك إنتاج الطفل التالى. من الممكن أن يموت الطفل ضحية الاستهلاك العام أو مواصلات المدينة الكبيرة، فمن الضرورى أن يكون هناك واحد احتياطى. الأفضل أن ينجب الإنسان طفلاً من قبيل المخزون الاحتياطى وتعويض المستهلَك.

وربما يكون الطفل أفضل من ماكينة الخياطة، فمع الطفل يستطيع الإنسان أن يخرج للنزهة فى الهواء الطلق، أما مع ماكينة الخياطة فلا. الماكينة ليس لها قلب، الطفل له.

والماكينة علاوة على ذلك مكانها فى المصنع، والطفل فى البيت فى بيئة منظمة.

من الممكن أن تستمر السيرة عدة أشهر أخرى، وهنا فى الكتاب ما زالت عندنا صفحات كثيرة، إلى أن يخرج الطفل من بطن الأم ويمد رأسه كالدودة عندما تخرج من التفاحة، قد لا نصل إلى هذا المدى، وربما تحتم علينا أن نقطع قبل ذلك. ولكن هذا لا يهم، فنحن نعرف كيف تسير الأحوال. الحياة تستمر بدون مفاجآت، ولكن فى مسارات منظمة.

تدخل «بريجيتّه» بيت أمها الكئيبة الكئيب مجردة من الأمل كحالها دائماً، وهاهو ذا «هاينتس» فى المرحاض .... يدبر.... إنه لا يريد أن يُقبض عليه ويتحول إلى أسير، بدلاً من أن يتحول إلى مقاولٍ حر.

«برِيجيتّه» تنهال عليه بالضرب صارخة بدافع من العاطفة، كما قالت لـ «هاينتس» فيما بعد شارحة... وكان معها كيس من بسكويت نوسكيپفرل[1] ، ألقت به على الأرض حتى تكون يداها حرتين ....

بسكويت النوسكيپفرل يتبعثر فى هذه الأثناء على ألواح الأرض الخشبية المتسخة .... طوال الوقت تفكر «بريجيتّه» بسكويت النوسكيپفرل الذى اتسخ الآن، وضاع عليها، خسارة. «هاينتس» يفكر عابراً هل سيكون بيتى متسخاً على هذا النحو إذا كان علىّ ربما أن أتم إجراءات عقد القران؟

---

(١) Nusskipferl

«بريجيتّه» التى خمنت أفكاره، تجيب بـ«لا»، عندما يكون البيت بيتى مِلكى الخاص، فسأعمل على العناية به وصيانته.

بيتى ملكى الخاص فقط.

كذلك «هاينتس» يتمسك بالملك الخاص. فى هذه النقطة يتلاقيان.

الملك الخاص هو فقط الملك الخاص الذى يحوزه الإنسان. ما يملكه الإنسان يكون ملكه، وما لا يملكه الإنسان لابد أن يسعى لامتلاكه. فإذا لم يحصل الإنسان عليه، فهو شىء لا يهمه.

ملك الغير حرام [1]. «هاينتس» مِلك «بريجيتّه»، وهو لهذا حرام. حرام بالنسبة لـ «زوزى» وبالنسبة لكنّ جميعاً.

....

.... أفكار «بريجيتّه» لا تزال عند بسكويت النوسكيبفرل وشنطة اليد الجديدة المطبقة على الأرض ....

تفاحتا عينيها تتابعان طريق بسكويت النوسكيبفرل وسط القذارة على الأرضية. الأم فى الواقع خنزيرة عجوز، فهى لا تكنس الأرض ولديها الوقت فليس لها رجل عليها أن ترعاه ....

---

(١) فى الأصل tabu .(المترجم)

فى هذه الأثناء تقعد الأم متحفظة متباعدة فى المطبخ. تلزم الصمت الكامل حتى لا تزعج سعادة ابنتها بعبارة متسرعة.

فى حجرة الجلوس مشهد سعادة «بريجيتّه» ....

«هاينتس» يطلق صيحة .... الجيران سيشكُون ....

«هاينتس» يسرع إلى أصحابه فى ملعب الرياضة. «بريجيتّه» تنظف البسكويت النوسكيپفرل لأن اتساخه يحز فى نفسها.

الآن تزداد «باولا» بدانة

الآن تزداد «پاولا» بدانةً وهو منظر شديد القبح. فى داخل «پاولا» تصعد أحاسيس الخجل. أحاسيس تعاودها بعد زمن طويل، ولكنها ليست أحاسيس طيبة.

فى القرية عندما تذهب «پاولا» محتمية بدائرة مناخية واسعة، أو غير محتمية بشىء فى غير وجودها، لشراء الحاجيات، كثيراً ما تصيب حصواتٌ رأسِها من خلف، أو مقعدتها، أو بطنها أو سمانتىّ ساقيها، أو شنطة مشترواتها، وأسوأ الحالات حالة شنطة المشتروات وبداخلها الزجاجة التى لا بد من إعادتها فارغة إلى المحل، فتتحطم عندئذ.

فى البداية تحطم شىءٌ فى «پاولا»، والآن تتحطم الزجاجة ذات الرهن.

«پاولا» لديها إحساس أن القرية انتهزت هذه اللحظة غير الملائمة؛ لكى تظهر الأولاد والهموم

المشـروعة مع الرجـال. فى كل مـوضع بالشـارع كمٌ من المال والخيرات [1] هنا وهناك.

«پاولا» ليس عندها مال ولم تكن خيِّرة.

«پاولا» تعتبر أماً ناشئة، ولا تعتبر ربة بيت ناشئة.

«پاولا» تعتبر ميتة.

النساء الأخريات يُعتبرن مثل الأحياء، وهو ما يعنى أنهن لم يصبـحـن أحـيـاء. أزواجـهن يتظاهـرون بـأنهم أحياء جداً.

وإذا مـات أحـدهم ذات مـرة بتليف الكبـد بدلاً من السرطان، فهذا من قبيل التنويع. ومن الممكن فى هذه الحال أن يشمل التنويع - على سبيل التبديل أعراضاً مرضية أجنبية. فقد يحمل بعضُهم أحياناً فى وقت شراء لوازم البيت عامـلاً خشّاباً غـارقاً فى الدم بعـربة چيپ إلى المستشفى.

من أفـواه النسـاء الحـوامل شـرعـيـاً تدوى صـرخـة مفزوعة كأنها تصدر من فم واحد. ويضغطن بأيديهن على بطونهن الحـسـاسـة للصـدمـات ويسـرن بـخطى متـعـثـرة إلى أمهاتهن أو نسـاء من أقـاربهن. ويخفـين رءوسهن فـى حـجور مـختلفة، يخفن على مـا لم يلدن بعد من أولاد، أن يؤثر عليهم منظر المشوه الذى رأينه فيخرجوا إلى الدنيا مشوهين.

---

(١) اللعب بالمعاني والاستخدامات المختلفة للكلمات، تنويعتان أو أكثر، هنا أربع تنويعات لكلمة gut. (المترجم)

على التو تُمدد هذه النساء الحوامل شرعياً في البيوت المختلفة، وتُذكّرن بما في بطونهن من أولاد، وتُغطين بأغطية دافئة.

وتدوي كلمات مواساة غالباً ما تعبر عن أن المصيبة كان من الممكن أن تصيب زوج هذه أو تلك، والحمد لله أنها أصابت رجلاً أجنبياً، لابد أن زوجته تبكي عليه حتى تجمد عيناها. وبعد قليل تجف دموع الحوامل، وتهدأ البطون المرتجفة ببطء، وتخرج من الأنوف نغمة شمشمة راضية.

أما «پاولا» التي لا تستطيع أن تتذكر رجلاً زوجاً لها، فإنها تتكمش على نفسها متضائلة كل التضاؤل، وتتزوي في ظل سقف بيت. وتتصهر مع محيطها مستحيلة إلى لا شيء.

بينما النساء زميلاتها يدسسن أنفسهن في المخدات والشلت وينعمن بجسدهن الممتلئ الثقيل، توحدت «پاولا» مع الظلام.

جدات مختلفات في بيوت مختلفة يؤدين أشغال البيت الثقيلة بدلاً من بناتهن اللاتي ينعمن براحة فترة الحمل. أما «پاولا» فلا تنعم بشيء، وليس لها راحة فترة حمل.

ولما كانت «پاولا» قد نعمت بمتعة محرمة منذ وقت طويل فلم يعد لها أن تنعم بأي متعة.

وبينما يتابع الجميع عملية رمي القرون [1] التي يسترسل فيها الشباب غير المتزوجين ويصفقون؛

---

(١) لعبة عريدة متوارثة يلاحق فيها الشبان البنات ولا يتدخل الأهالي الكبار عادة لمنعها، بل قد يرونها على العكس نوعاً من اللهو الذي حفظته التقاليد. (المترجم).

استحساناً لكل قرن كبير هائل يُرمى، تخرج «پاولا» من مكانها الظليل وتذهب فى سكون إلى البيت. وفى هذه الأثناء يصيب «پاولا» مراراً قرنٌ منها إصابة محسوسة.

حتى الشيوخ الذين لم يعودوا يستطيعون رفع ذراع أو رِجل وهم جالسون على الدكة اللصيقة بالمدفأة، يغشى وجوههم بريق كأنه من العالم الآخر ويفرحون عندما يصيب «پاولا» قرن من القرون.

إنهم يفكرون فى زمان رميهم القرون.

هذا الزمن ولى منذ أمد بعيد، وتلك مأساة.

على الدكك بطول الطريق الاتحادى [1] وهو شريان المرور الرئيسى، وأمام محل الوكالة الاستهلاكية يحتشد رماة القرون. أحياناً يرمى رأس شجاع مباشرة على سيارة نادرة الماركة. وترتفع العقائر بصياح هائل. بل أحياناً توجد رأس دامية بجوار القرن الذى أصابها على نحو آثار البهجة. بل ربما تمدد جسم غارق فى الدم بجانب الرأس والقرون. عندئذ يكون على الغابة مرة أخرى أن تبحث عن رجل آخر بدلاً منه. كل هذا الدم والعنف على كومة واحدة، كل قلب يضرب أعلى كثيراً من ذى قبل. هورّا. هورّا. مرحى. مرحى.

وهذه هى «پاولا» تتمرن من جديد على التوارى عن الأنظار.

---

(١) الطريق الاتحادى طريق مهم للسيارات، يلى فى الأهمية الأوتوستراد، وله رقم، ويمر بمدن وقرى أو من خلالها، وعادة ما تمر به سيارات كثيرة تتسبب فى حوادث. (المترجم)

ولكن هذه هى فى قلب الأحداث ومقره الرئيسى، حيث يبلغ الصخب والتمتع أبعد مدى. «پاولا» البطلة حاملة اللقب.

على الرغم من أن «پاولا» تحاول دائماً أن تتوارى زاحفة لتغور داخل الأرض، هاهم أولاء ينبشون ويخرجونها. والشباب يلاحقون «پاولا» بتصويب دقيق وهدفهم هو رمى القرون. إنهم يريدون رمى القرون وإصابة «پاولا» على الفور لأن الأمر أصبح الآن غير خطير.

لن يكون عليهم بحال من الأحوال أن يدفعوا نفقة الطفل، وسينالون ما يبهجهم ....

من الممكن أن يكتشف الإنسان فى قلب السرب «إيريش» أيضاً، وهو ما يحز فى نفس «پاولا». «إيريش» يسير دائماً مع السائرين، إلى حيث يتجهون جميعاً، وما يفكر فيه الكثيرون صحيح، وأكثر صحة ما سوف يجرى، وصحيح ما يفكر فيه «إيريش». بحركة متقلصة من يده التى أنشئت ودربت على أعمال أكثر خشونة يقبض على مقود دراجته البخارية، ودراجته البخارية هى أفضل صديق له فى الفرح والترح. وبحركة متقلصة من يده الأخرى يقبض على زجاجة البيرة التى ستنسيه بعد قليل أفراحه وأتراحه.

«پاولا» لا تستطيع أن تغير من هذا السلوك.

إنها تسعى إلى أن تكون قريبة من «إيريش». لا يمكن أن تجد «إيريش» إلا فى وسط السرب. بعد قليل تصَوَّب كل القرون الصلبة المدببة على «پاولا».

«پاولا» تطالب «إيريش» باتخاذ قرار بشأنها.

وعندما يكون «ريو» بعيداً عن المعمعة، فوق سفح الجبل، والأم هناك فى المكان المناط بها، تحديداً بجانب «ريو» تحت سيف «ريو» على سفح الجبل، حيث عملت له لتوها حماماً ساخناً لقدميه وغمست أصابع قدميه القميئة التى لا يجرى فيها الدم إلا لماماً، يُطالَب «إيريش» فجأة بأن يتخذ قرارات وأن يستهدف بها «پاولا». «إيريش» ينظر فى بيرته، والبيرة تنظر من الكأس إلى الخارج برأسها الميت الذى من شأنه أن يذكِّر أن الكحول يمكن فى ظروف معينة أن يقتل إذا لم يكن الإنسان قد قتلته من قبل صروف العمل وظروف الحياة، عندما ينظر «إيريش» إذًا فى بيرته، يعتريه فجأة إحساس بأنه قد يستطيع أن يتخذ بالفعل قراراً.

وفى نهاية المطاف لا يتخذ «إيريش» قراره هو، بل قرار «ريو».

«إيريش» يتخذ القرار وهو: لا.

«إيريش» تأخذه بالفعل رأفة بـ «پاولا». العملة التى عملها والتى أدت إلى الوضع الذى وقعت فيه «پاولا» لم يترك ذكرى لديه. لا يستطيع أن يقول هل كانت جميلة أم لا. «إيريش» لا يستطيع أن يحس بجمال شىء إلا آلاته، دراجاته البخارية، التى يحطمها بقيادته الواحدة بعد الأخرى.

عندما يندفع بالدراجة البخارية مسرعاً يبدو كأن كل شر يسقط عنه، فى المقام الأول العمل الذى هو أعتى شرٍ يمكن أن يصيب الإنسان. ولكنه لابد من أن يؤدَّى. صحيح أن «پاولا» فى كرب، ولكن ليس من الضرورى أن يتزوجها أحد.

«پاولا» تنتمى إلى الشر الذى يسقط عن الإنسان عند يندفع بأقصى سرعة على الطريق الزراعى.

وفى النهاية يتركون «پاولا» تعود نهائياً إلى البيت. من بعيد يتبين الإنسان امرأة ذات نظرة مستبطنة مشتاقة، وابتسامة أمومية، وخطوة حريصة، وتقلص فى الباطن، تسير إلي البيت. إنها صاحبتنا «پاولا».

«پاولا» تتكلف ابتسامة مثل رأس ميت، رأس ميت بلغ الخامسة عشرة من عمره، مرحباً بك فى البيت يا «پاولا». كدأب كل يوم ينتظرها شغل البيت لإسقاط الجنين.

الأم تأمل أن يكون الحفيد ناقص التكوين وأن ينزلق عاجزاً عن الحياة من «پاولا» إذا ما هى بركت على ركبتيها وتلوت بعنف، وإذا ما رفعت دلواً مملوءاً بماء ساخن قذر بالصابون، إذا ما هى عذبت نفسها كما ينبغى، البنت «پاولا». ولكن لا شىء ينزلق إلا العرق يتفصد من مسامها كلها. الأم تظن .... أن هناك قفلاً مقفولاً بمفتاح يسد السكة أمامه.

«پاولا» تستبعد بعيداً فكرة أن تطعم الطفل وتكسوه من عائد الخِياطة القديمة. الفكرة لا تصلح.

ف«إيريش» هو الأب الملزم بطعام طفله. هذا ما تعلمته «پاولا» من أمها. ومن أبيها كذلك، الذى كاد أن يعدمها من الضرب، ولكنه تولى طعامها دائماً بانتظام. أبو «پاولا» أوفى دائماً أبداً بواجبه تجاه عائلته، وهذا ما ينبغى أن يفعله «إيريش» كذلك.

عندما تهيم أفكار «پاولا» إلى بعيد جداً، فإنها تعرج إلى القوى الطبيعية التى تعرف «پاولا" عنها أنها أقوى من الإنسان. وبنفس الطريقة التى يتصدى بها الإنسان للطبيعة، يمكن أن يتصدى الإنسان لقانون طبيعى، هذا هو ما زالت تعرفه من المدرسة. والقانون الطبيعى اسمه فى هذه الحالة «إيريش» الذى لم يسمع من قبل - قط - كلمة قانون.

وهكذا تلاحظ «پاولا» كم هى صغيرة بالمقارنة بقانون الطبيعة. إنها حبة تراب. حبة تراب فى الصحراء.

ماذا يستطيع الإنسان أن يفعل ضد القدرة الأولانية لقوة الطبيعة، لا شىء. هذا ما قاله بالأمس فيلم ثقافى فى التليفزيون، وهذا ما تقوله «پاولا» أيضاً كثيراً.

قدَر بريجيتّه التالى

قدَر «بريجيتّه» فيمابعد فى الحقيقة قد أُنهى، والأحرى ألا نَذكره هنا مرة أخرى. والسبب فى أننا نذكره على الرغم من ذلك، هو أن وصفه سهل؛ لأنه يتركز على نقطة واحدة هى: «هاينتس»، صحيح أن من الممكن أن تخرج منه طرق مضللة وانحرافات صغيرة، ولكن الإنسان يستطيع دائماً أن يجد إليه الطريق الصحيح. قَدَر "بريجيتّه" انتهى هنا، بقى فقط أن من الضرورى أن يُعرَض.

اليوم هو مرة أخرى واحد من تلك الأيام التى تتجه فيها «ريجيتّه» على نحو خاص وعن وعى بالهدف إلى هدفها، بأن تنهض من الفراش؛ لأن عليها أن تذهب إلى المصنع. المصنع انحراف صغير، فالهدف هو هذا المساء مع «هاينتس». «بريجيتّه» تدس نفسها فى ثوبها الذى يتكون من جونيللا وبلوفر، ويبرز سماتها الأنثوية، وهو شىء له معنى ومقصد.

المصنع حجرة انتظار، ومكان العمل هو «هاينتس».

أما ««پاولا».

أما «پاولا» فلها اهتمامات أخرى، سيكون فى مقدورها أن تحققها بمساعدة «إيريش». اهتمامات «پاولا» هى: الذهاب مراراً إلى السينما، قضاء عطلات فى إيطاليا، تليڤزيون فى البيت، تربية الأولاد فى البيت وخارج البيت. «پاولا» لا تريد فقط أن تحصل على «إيريش»، وإنما تريد أن تبنى معه شيئاً مشتركاً: بيتاً. مملكة مشتركة صغيرة للإمارة والإدارة، وهو البيت كما ينبغى أن يكون. صحيح أن «پاولا» تحتفظ نحو «إيريش» بحب أصبح صغيراً، ولكنه حب لا يزال موجوداً؛ لأنها سمعت أن على الإنسان أن يكون لديه حب نحو شخص واحد؛ لأن هذا الشخص هو أبو أولادها، وعلى الإنسان أن يحبه كذلك أيضاً باعتباره الزوج، وهو ما يلى حب الوالدين المحبوبين ويحل محله.

«پاولا» لا تحب والديها علىْ الإطلاق.

وعلى الرغم من ذلك ترى «پاولا» أمامها مستقبلاً مملوءاً بالحب. «پاولا» تنتج من ذاتها حباً كما تنتج هورموناً.

أما «بريجيتّه»

أما «بريجيتّه» فتحتاج إلى هاينتس» وتحتاج إلى المحل المستقَبلى لـ «هاينتس»، وتحتاج إلى إبعاد الحموين عن الطريق، ثم تحتاج إلى عمل عمل ثم عمل؛ لكى تجمّل المحل وتكبّره.

مـا عند «بريجيـتّـه» الآن: عـمل عـمل ثم عـمل. عندما يستـثمـر الإنسان قوته فى شىء يملكه، يعود المردود إليه مضاعفاً أضعافاً كثيرة ، وعندئذ يمكنه راضياً أن يتنازل عن الحب وتبعاته وألاعيبه.

«بريجيتّه» تريد إذًا أن تحسن موقفها جذرياً.

«پاولا» تريد أن تحسن موقفها جذرياً وأن تجد فى أثناء ذلك أيضاً السعادة.

السـعـادة لا تهم «بريـجيـتّـه» بمعنى أنهـا ترى أن «هاينتس» ممثل الرفاهية هو والسعادة شخصٌ واحد. ولهـذا يكفيـهـا «هاينتس» بكمـاله وتمـامـه، «بريجيتّه» متواضعة.

«پاولا» ليست متواضعة. إنها تريد نفس ما تريده «بريجيتّه» ولكنها تريد هالة براقة جميلة من حوله. إنهـا تريد أن تعـرض أمـام الناس كم يحب الإنسـان الطفل والزوج والبيت والغسـالة الكهربائية والثلاجة الكهربائية والحديقة. كل هذا. الحب يمكنه أن يحرك الجبـال، ولكنه لا يمكنه أن يحـرك «إيريش». الحب يمكنه أن يحـرك الجبـال، ولكنه لا يمكنه أن يحـرك «إيريش» ليضعـه فى وضع الإنسان المحب. «إيريش» غير متمرس فى أن يُحَب، فلم يجرب ذلك هو نفسه على نفسه قط.

كذلك لا يمكن أن يجلب الحب ثلاجة كهربائية. إذا لم يكن هناك ثلاجة كهربائية إلخ ، فلا يبقى للإنسان إلا أن يحب الزوج والأولاد، وهم أشيـاء قليلة أشـد القلة بالنسبة إلى حب «پاولا» الكبير أشد الكبر. فى

«پاولا» حب كثير جداً جداً يبور كالأرض البور ويسيل لعابه توقاً إلى أشياء تستحق.

«بريجيتّه» تريد فقط أن تملك وأن تملك الكثير ما استطَاعت إلى ذلك سبيلاً. «بريجِيتّه» تريد أن تملك وأن تقبض على ما تملك.

«پاولا» تريد أن تملك وأن تحب وأن تُرى الناس أنها تملك أن تريهم ما تملك وما تحب.

حتى لو لم تعد «پاولا» تحب «إيريش»، سيكون عليها أن تتصنع وتُرى الناس مع ذلك أنها تحب «إيريش». والتصنع يحتاج إلى جهد كبير، ولكن لابد منه. وحتى لو لم يكن فى مقدورها أن تحب «إيريش»، فهناك أشياء كثيرة اشتراها «إيريش» بماله من الممكن أن تحبها على اعتبار أنها بديل.

«بريجيتّه» تريد أن تملك وأن تزيد ما تملكه ما استطاعتَ إلى ذلك سيبلاً. هذا هدف بسيط، وهذا شىء يفهمه طفل صغير.

والبيئة المحيطة المتعجبة، التى ألِفَت كل هذا من قديم الزمان، تقف حاضرة فتصفق استحساناً وتتراهن على من يظفر ويكون الأول ومن يكون الثانى. وأحياناً يخسر أحدهم.

اليوم يتكرر مرة أخرى ألا تكون «بريجِيتّه» قد حملت بعد.

حَملٌ واحد فقط يمكن أن يُدخل تغييراً على حياتها وعلى مسار الأحداث هنا.

اليوم، كما حدث مراراً، تعانى «بريجيتّه» خوفاً فظيعاً، من أن تحمل «زوزى» - تلميذة المدرسة الثانوية النسوية - قبلها، وهو شىء تتقصه للأسف أشد الشروط بدائية.

«زوزى»، على وجه التحدى، ليست امرأة، بل ما تزال فى سن البنات.

«زوزى» لا تزال توفر. لا تزال «زوزى» تستطيع بابتهاج هادئ أن تحزم حقيبتها الرياضية لتلعب التنس، لم يدخل شىء قذر بعد حياتها.

«هاينتس» لا يعتبر نفسه شيئاً قذراً، وإنما يعتبر نفسه شاباً نظيفاً، وكذلك لَعِبُه البولينج ليس قذراً.

أقذر شىء فى حياة «هاينتس» هو بكل تأكيد «بريجيتّه»، النقطة الغامقة الوحيدة على صدريته البيضاء (١) .

المقاول الشاب يوجه طموحه بوضوح دامغ إلى «زوزى».

«بريجيتّه» تريد أن توجه بوضوح دامغ طموحه إليها هى.

«بريجيتّه» تنسى أن الإنسان لا يحتاج إلى طموح لكى ينالها. عندما يخرج «هاينتس» من البيت يعثر فى «بريجيتّه».

---

(١) الصدرية البيضاء رمز البراءة من الجرائم التى تمس الشرف. (المترجم).

ذات يوم تلاحظ حتى أم «زوزى» أن وراء «زوزى» ظل حالك، هو صاحبنا «هاينتس». الأم تلاحظ بغريزة الأم أن هذا الظل حالك من فرط القذارة.

تسأل هل لها أن تتدخل. ولكن «زوزى» تضحك فقط ضحكة ودودة وتقول لا. أنا أستطيع التصرف وحدى.

فيما بعد تقول الأم للأب، إنها تأمل أن تستمر «زوزى» طويلاً فى الحفاظ على براءتها وبشاشتها.

وبينما يزحف «هاينتس» خلف «زوزى» ماكراً ويلقى فى أثناء ذلك ظله على ثوبها الخاص بلعب التنس، يساور «بريجيتّه» الخوف من أنها لن تحمل. ولكن الشيء المؤكد أنها ستحمل؛ لأن جسمها مناسب لذلك، حتى عندما يضطرب رأس «بريجيتّه» كل الاضطراب. سيستمر هذا الخوف حيناً، لا تقارير جديدة، انتهاء القدَر بالنسبة إلى «بريجيتّه».

من حياة «پاولا» لا تزال هناك بعض الفصول التى نورد تقريراً عنها وهى تتخذ لها بنية علوية جدلية هائلة لا تطابق بحال من الأحوال أهمية القصص. فى رأس «پاولا» تختلط أمنيات وأحلام وتصورات مكونة خليطاً لا يهضم. من الطرافة بمكان أن نشارك فى مشاهدة «پاولا» وهى تتكفئ دائماً على وجهها. ومن الطرافة بمكان بالنسبة إلى الواقفين أن يشاركوا فى مشاهدة «پاولا» وهى تتكفئ دائماً على وجهها طبقاً لقوانين جاذبية الثقل والحب.

وإذا كانت «بريجيتّه» تتشغل فى مجلاتها بفيللات المليونيرات، فهى تحسب فى رأسها تواً لنفسها مقاييس بيت العائلة الواحدة القادم، ثم تفكر بعد ذلك مباشرة فى الموضع الذى تشغله أماكن العمل والحائط الذى يشق فيه باب.

عندما تقرأ «پاولا» نفس المجلات، فإنها تستغرق فيها كل الاستغراق، ثم إذا بالبيت هناك، قد انتقل على جناح الهواء، ثم إذًا بالحديقة الهائلة هناك، قد بسطت فى محيط نقى، مثل كواليس المسرح، وهؤلاء شباب سعداء يرتعون داخله، هم: «إيريش» وعائلته الشابة. والكلبان الألمانيان من فصيلة الشيفر علاوة عليهم.

لهوٌ شامل يحيط بكل شىء. والناس من أبناء القرية يقفون عند السياج ويحملقون ويحسدون.

«پاولا» كثيراً ما تفكر فى إحساس الإنسان بأن يكون محسوداً ومعجباً به، «بريجيتّه» كثيراً ما تفكر فى إحساس الامتلاك والاقتناء والحيازة.

«پاولا» تفكر فى الأثر، دون أن تكون لها القدرة على تدبير شروط حدوثه. وكذلك «إيريش» لن يستطيع أن يدبر، وهو ما لا تستطيع «پاولا» حتى الآن أن تخمنه.

«بريجيتّه» تنشغل بالسبب، «بريجيتّه» تتمسك برجل الأعمال «هاينتس»، وبهذا يأتى الأثر من تلقائه.

«بريجيتّه» بنت المدينة.

«پاولا» بنت الريف.

وبعد ذلك مباشرة «پاولا» و«بريجيتّه» تفكران بنغمة متسقة [1] فى عقد قرانهما. وهذا التفكير يتطلب وقتاً.

بالنسبة إلى «بريجيتّه» يشغل هذا التفكير المستمر وقت عملها كله ووقت فراغها جله.

بالنسبة إلى «پاولا» يشغل هذا التفكير المستمر وقتها كله وهو وقت عمل.

---

(١) نغمة متسقة تجمع نغمتين سابقتين unisono مصطلح موسيقى. (المترجم)

الساعات تتسرب سراعاً

الساعات تسير سيرتها العنيدة، «پاولا» توشك على الوضع، إذا استمرت الساعات تسير سيرتها هذه. القابلة تنتظر منذ حين.

جهود «پاولا» التى لا معنى لها والتى تتركز كلها على «إيريش» تستمر فى سيرها أبعد مما رأى الناس فى أى وقت مضى أى سائر يسير هنا.

إذا حل مساء يذهب الناس ويتخذون أماكنهم فى الألواج. يأخذون معهم كل عيالهم وكل أشيائهم. ومن هناك يتابعون بعيونهم الاحتياطات الحمقاء التى تتخذها «پاولا».

أهالى القرية والرأى العام متطابقان.

الرأى العام يوافق صراحة على جهود «پاولا» الحمقاء والمهينة الهادفة إلى اصطياد صيد ثمين.

الصيد الثمين اسمه «إيريش».

على «پاولا» أن تقنن وضعها المستهجن.

وهى تحتاج فى ذلك إلى «إيريش». والصيد الثمين «إيريش» لا يحتاج فى قطع خشب البناء والاستخدام إلا إلى نفسه: إيريش.

«پاولا» عملت شيئاً قذراً (١) وعليها الآن أن تلتهم هذا الشىء القذر. وحدها. وهناك من يطالب «إيريش»، الصيد النفيس، بأن يساعدها فى التهام الشىء القذر، حتى يفرغ الصحن أسرع.

«إيريش» يجلس على عرشه القائم وسط الحانة.

«پاولا» تدخل وتعرض ألعابها الصغيرة، ومعلوماتها وقدراتها، وكلها ضئيلة.

كأن العرض فى سيرك، وإن زاد ما فيه من فكاهة.

للأسف لم يستمتع «إيريش» بالكثير منه؛ لأنه كان منذ وقت طويل قد وقع على رجل مخمور لا يكف عن ثرثرة حالم نائم، عندما تتهيأ «پاولا» لحركة سالتو مزدوجة إلى الخلف مع لفة إلى الداخل.

لم يسترد «إيريش» حتى الآن ربتة على الكتف، ولا خبطة كف على الظهر، ولا لكزة كوع فى الضلوع، ولا ما هو أخشن من ذلك من التعبير عن الاحترام من بلد الأحلام إلى واقع حضور «پاولا» الفظ.

إلى الآن لم يأخذ أحد «إيريش» مأخذ رجل ملء هدومه. وهو الآن مسئول عن بطن «پاولا» الممتلئ،

---

(١) بتصرف من المترجم.

وسرعان ما يؤخذ مأخذ رجل ملء هدومه. كان «إيريش» يُعتبر حتى هذا الحين عبيطاً غبياً لا يستطيع أن يحتال على المصطافات حتى يدفعن كل ما لديهن من مال وأشياء حتى القميص، سقيمَ المخ لم ينجح فى امتحان رخصة القيادة حتى عند الإعادة للمرة الثالثة، ضعيفاً عليلاً لا يستطيع أن يصيب جذع شجرة بالفأس. وكان رأى الجميع أنه سيصيب رأسه هو بدلاً من جذع الشجرة. ولكنه أصاب «پاولا» إصابة رهيبة وصلت حتى نخاع عظمها، ورجّت كيانها. رأى الجميع حتى الآن فى «إيريش» حيوان شغل مختلفٍ عنهم، فصحيح أنهم هم ـ أيضاً ـ حيوانات شغل، ولكنهم لا يشعرون بأنهم كذلك. الجميع الآن يعبرون لـ «إيريش» عن احترامهم لفعلته التى كسرت «پاولا».

ما من شك فى أن «پاولا» مكسورة.

مفاصل كتف «إيريش» تزيّق معذبة فى حُقها، فقبضته التى اعتادت على البلطة مضطرة إلى أن تنطبق عندما يقوم بمصافحة لم يألفها. تهانينا يا «إيريش».

وهذه هى كومة من كئوس البيرة المجانية والإشنبص المجانى والنبيذ المجانى من المهنئين، وهؤلاء هم المهنئون الذين يهنئونه بنعكشة شعره مجاناً، ويلكمه فى ضلوعه مجاناً، وبالشلاليت المازجة الكثيرة المجانية التى تنهال على مقعدته.

مرة أخرى ترفع ركلة لئيمة خبيثة ولكن نيتها طيبة «إيريش» من مفصلاته إلى أعلى حتى تدوى قرقعة وصرير (١).

ثم يقع «إيريش» مثل جوال عضلات ميت ويعود أدراجه ويستقر على كرسيه المعهود.

مثل هذا الكم من خبرات النجاح لم يعهده «إيريش» من قبل قط.

للأسف لم يعد «إيريش» يستطيع ـ ومثله فى ذلك «پاولا» تماماً ـ أن يذكر سبب هذه الفعلة التى أتته بلقب بطل .... مهما عصر ذهنه، فلم يؤد إلى المكان صخب دراجة بخارية موبيد، بل طريق هادئ من طرق الغابة.

انمحى كل شىء من ذاكرة «إيريش»(٢).

ومع ذلك فمن الممتع أن يمثل الواحد فى دائرة الرجال والشباب شخصية محترمة. لم ينعم «إيريش» من قبل بمتعة، وهو الآن يجد الكثير جداً من المتعة. رجل صغير، كبير جداً.

فى الساعة العاشرة مساءً ظهور «پاولا» الحامل فى شهورها الأخيرة، دخول الأم الحامل غير المتزوجة الحانة.

---

(١) فى هذه السطور تصوير للطريقة الخشنة الفظة التى يستخدمها هؤلاء الأجلاف لتحية زميلهم لقيامه بفعلة مقيتة. وتوحى يلينك إلى القارئ بأن التفاهم مع مثل هؤلاء العتاة بالعقل أو الضميرأو المبادئ صعب. (المترجم)

(٢) كلمة النقلة من فقرة إلى فقرة هنا Weg. weg وتعنى : طريق ومحو. ونلاحظ أن مجاراة هذه التقنية الشكل تفرض إدخال تغييرات شكلية على النص العربى، وكثيراً كما يضطر المترجم لإغفالها. (المترجم).

تهليل، خبط بالأقدام، صفير، تصفيق. الآن تحل البهجة.

عقد آخر مراهنات.

«پاولا» لم يعد لها توصيف يحدد درجة الجودة، والتوصيف إلزامى بالنسبة لتفاح المائدة. «پاولا» لم يعد لها قيمة تجارية.

«پاولا» تحمل تبعات ما فعلته وتدخل بها. «پاولا» تود أن تلقى قصيدتها. تنص القصيدة، وهى ذات إيقاعات حرة، على أن «إيريش» ملزم بأن يعود إلى البيت؛ لأن الوقت قد تأخر وهو ملزم بأن يذهب فى اليوم التالى إلى العمل الثقيل، وتنص على أن «پاولا» مضطرة إلى الانصراف بعد قليل وإلى أن تدع طفلاً يخرج من أحشائها، وأن «پاولا» وطفلها الذى لم يولد بعد ينتظران «إيريش». مهما طال الانتظار. بعبارة أخرى: امرأتك وطفلك بداخلها ينتظرانك يا «إيريش». وأرجوك، أرجوك، يا «إيريش» أن تعطينى اسمك.

ولكن «إيريش» لم يعد (وهو مخمور) يستطيع أن ينطق اسمه. «پاولا» تأخرت مرة أخرى تأخراً مفرطاً فى الحضور.

الجميع يرون أن «إيريش»، إذا كان قد تحتم عليه أن يرضخ، لا ينبغى أن يرضخ إلا عندما يكون الطفل موجوداً، ويكون هبوط قيمة «پاولا» قد أصبح انعدام قيمة.

عندما تنحط قيمة شخص، فإن ذلك يؤدى إلى صعود بسيط فى قيمة الجميع. إن إذلال «پاولا» يعوضها عما تقوم به هى من كثير من الإذلال الذاتى الذى هو فى بعض الأحيان أشد بشاعة.

فجأة أصبحوا جميعاً مرة أخرى أشخاصاً فى مواجهة لا شخصٍ واحد.

نحن مجتمعون اليوم فى هذا المكان؛ لكى نثمن ونقيّم محاولات «پاولا» لجرجرة «إيريش» إلى البيت. المثمنون الذين يحددون الثمن يرفعون إلى أعلى اللافتات وعليها الدرجات.

ترتمى «پاولا» على «إيريش» وتبذل يائسة جهداً جهيداً لجرجرة هذا الكائن المخمور الذى سيصبح بعد قليل أيضاً كائناً متقيئاً إلى البيت.

«پاولا» تشد «إيريش» ....

«پاولا» تعتقد أن لها حق فى «إيريش».

الهواء الكثيف المثقل بالدخان وغيام البيرة والرائحة النتنة وضروب من عرق الرجال.

«پاولا» الحامل التى تقترب من السادسة عشرة من عمرها، تشد عضلاتها مثل حصان الغيط، وترفع «إيريش» السكران بجهد جهيد إلى أعلى، ولكنها لا تتقدم بشيلتها الحلوة.

أيدى زملاء «إيريش» فى الغابة تنتزع من يدى «پاولا» الغنيمة الثمينة بقوى متوحدة.

قوة «پاولا» المنفردة لا تستطيع شيئاً ضد قوى سادة الغابة المتوحدة. خسرت «پاولا» واضطرت إلى ترك «إيريش». «پاولا» واتاها حسن حظ وسط سوء الحظ، فلم يرفسها أحد فى بطنها ولم يصب الجنين بعيب.

أم «پاولا» كانت سترضى كل الرضا بإصابة الطفل فى بطن «پاولا» بعيب. وأفضل ما كانت تتمناه أن يحدث إجهاض أو ولادة فاشلة.

وأغلب الظن أن الطفل للأسف أصبح بعد كل هذه الشهور قادراً على الحياة خارج «پاولا».

سيضرب أحدهم إذًا «إيريش» مرة أخرى ضربة ترفعه وتحطه على دكة الحانة، فهو لم يستوعب شيئاً من كل هذا. «پاولا» تزحف جارةً أذيالها نحو البيت وهى تشيل شيلة ثقيلة عليها هى الطفل. وكان الأحب إلى «پاولا» أن يكون «إيريش» هو شيلتها الثقيلة، وأن تفقد الطفل. وتضرب «پاولا» نفسها مراراً ضربات بعيدة لا تطول الهدف؛ لأن الظلمة حالكة حالكة. ولكن كل هذه الضربات المميتة لا تميت الصغير فى بطنها.

وتلم بالفراش فى البيت منتحبة باكية، لقد شدت «پاولا» طوال الطريق الجنين معها وهى تسير إلى أمام نحو المكان الذى فيه بيتها. وتطامن «پاولا» رأسها إلى الأرض مثل كلب الصيد الذى يشمشم، وتصل إلى فرن الدار التى لم تعد «پاولا» تجد فيها ما يرتاح إليه الإنسان فى داره.

وتريع «پاولا» ذراعيها ـ اللتين ستحملان الطفل بعد قليل ـ تحت رأسها الذى سيميل لينظر إلى الطفل، وتتمنى أن يكون على الأقل ولداً لا بنتاً.

«پاولا» تتمنى، ليته يكون ولداً لا بنتاً.

فى اليوم التالى وفى الوقت المناسب مبكراً، يشرعون فى تخويف «پاولا» من آلام الطلق التى يقولون إنها ستكون موجعة مبرحة.

لو كان لـ «پاولا» زوج لكانوا قبل الطلق واسوها ونهنهوها وهونوا عليها.

وذات يوم ـ الهواء فيه لطيف ـ تدخل «پاولا» المستشفى وتضغط بحركات صغيرة عسيرة كل العسر طفلاً ليخرج منها إلى نور النهار. وحددت «پاولا» وهى قادمة فى سيارة الإسعاف أن يحمل الابن اسم أبيه «إيريش»، وأن تحمل البنت اسماً حضرياً هو «زوزانه».

تحدث أبواها الخائبان إلى سرير المستشفى قائلَيْن أن يتزوجك «إيريش» بسبب بنت أقل احتمالاً من أن يتزوجك بسبب ولد.

ولكن أم «پاولا» تحب المولود مسبقاً، لأنه عيل حبوب. وأم «پاولا» تنتظره أيضاً من كل النواحى.

وأصبحت «زوزانه» بنتاً لم يتزوج أبواها.

وأصبحت «پاولا» أماً لم تتزوج.

والاثنتان أنثيان.

تلك سعادة والتزام أيضاً فى نفس الوقت أن تتصرف «پاولا» كإنسان وليس كحيوان أنثى.

هو التزام جميل. أجمل من التزام «إيريش» بقطع الخشب.

«پاولا» أكبر من ابنتها بست عشرة سنة فقط، ومع ذلك فهى توشك أن تقطع ما بينها وبين الحياة.

أنت يا «پاولا» لم تختلفى فى أى نقطة عن حيوان الغابة، لأن ولادة صغار تستطيعه كل أنثى، ولكن ما من أنثى تستطيع أن تجعل أحداً يتزوجها، هذا ما نبهتها إليه بنبرة جادة خالة جاءت إلى سريرها مسرعة من المدينة التى انتقلت إليها لزواجها هناك. «پاولا» ترقد فى سرير الولادة وتسمع التنبيهات وتنتحب.

فى مقدور الخالة أن تتكلم بسهولة على راحتها، لأنها تزوجت خبازاً فى مدينة كبيرة وهى والخباز يمتلكان سيارة.

على راحتها تعد الخالة القادمة من المدينة إذًا بأن تكلم «إيريش» وبأن تنهال عليه حتى يلين، وهو ما لابد من فعله مع الرجال عندما لا يريدون أن يفعلوا شيئاً ما طواعية.

ثم إن الرجال قد يكونون أيضاً أحياناً طيبى القلب.

التنقيط الدائم يلين الحجر، ويلين «إيريش» بكل تأكيد!

إذلال الذات ثم الإلانة: الطريق الوحيد.

كذلك خالة المدينة تجد أن المولود أصبح طفلاً لطيفاً. ولا ينبغى السماح بتجريد الطفل من قيمته.

وهو عـلاوة على ذلك طفل لطيف، بينمـا «پاولا» سفاة سمكية قبيحة.

أولاً الشـغل مص عظم «إيريش» والآن تنهـال عليـه خالة المدينة حتى يلين.

وسنقص فيـما بعـد الشكل الذى اتـخـذه «إيريش» بعد أن انهالت عليه خالة المدينة وكيف ألانته.

تقرير قبل النهائى

ومضة السعادة التى تعنى بالنسبة إلى «بريجيتّه» أن تكون زوجة وأماً لا تزال حتى اليوم غائبة.

اليوم يسير أناسٌ فى نزهة لأهداف استعراضية (معاطف جديدة!) من خلال الحديقة. فى أثناء هذه النزهة يجرى لقاء مصادفة مع «زوزى» التى يبدو عليها أنها مصنوعة كلها من ذهب وتأخذ ابن اختها فى عربة أطفال وتصحب بسلسلة كلباً عملاقاً أصيلاً من جنس الشيفر له وثيقة تبين سلالته.

تلك صورة تخطيط فى غاية البراعة. هنا وجدت الطبيعة أعظم صياغة لها، الحيوان الأصيل البديع و«زوزى» التى هى أيضاً حيوان أصيل ولكن من نوع مختلف. إنها تبدو فى الضوء الذى يسقط من خلال ورق الشجر على رأسها تجسيداً لكل الأمهات اللاتى كن يوماً ما أمهات. مع أن «بريجيتّه» ترى أن «زوزى»

لا يمكن أن تصبح أبداً أماً جيدة؛ لأنها أنانية ولأنها لا يمكن أن تخضع أبداً مصالحها لمصلحة طفل.

وسوء الفهم الذى وقعت فيه «بريجيتّه» يتلخص فى أن «زوزى» يمكن أن تخضع مصالحها لمصلحة طفل إذا كان الطفل من النطفة الصحيحة.

و«هاينتس» ليس هو الرجل المناسب. إنه لا يستطيع أن ينال من «بريجيتّه» الجلفة الخشنة الطبع أقل القليل من الأحاسيس.

فما بالك بـ«زوزى» الناعمة الراقية.

«زوزى» لا تلبس معطفاً جديداً مثل «بريجيتّه»، ولكن ملابس نزهتها المرسلة المصنوعة من خامات غالية تعطى انطباعاً أكثر كمالاً من معطف «بريجيتّه» الجديد الربيعى المبكر. منظر «زوزى» هو: أم وطفل فى نزهة.

الكلب الجميل يكمل الصورة، قوته تلوح مكبحة على نحو عجيب ورقيق متسق مع عربة الأطفال ومع سوزى.

دعينى أصبح الرجل الغاشم الذى تقيدينه بالسلسلة وتروضينه يا «زوزى»، هذا ما يفكر فيه «إيريش» فى نهم وبمسحة من القذارة فى أفكاره.

يظهر للجميع فى الحال كم تحب «زوزى» الطفل الصغير. صورة بدون تعليق.

أن تكون جميلة ونضرة، هذا ما ينبغى أن يكون.

«بريجِيتّه» تتصور نفسها عندئذ وضيعة وسطحية «زوزى» وهى تلبس المعطف الجـــديد المصنوع من الصـــــوف المخلوط بالأورلون. وهو المعطف الذى أعـجـبك فى المحل كل الإعـجـاب يا «بـريجِيتّـه»، يا متقلبة.

«هاينتس» يكلم «زوزى» على الفور، الطفل يناسبك جيداً.

على الرغم من إشـعـاع «زوزى» الأمومى المؤكد فإن «هاينتس» يأخذ حيالها وضع التأهب....

تعجل «هاينتس» وأحس بإحســاس قـائد سيـارة سباق من الرتبة الأولى قبل الانطلاق.

«بريجِيتّـه» يتملكها مرة أخرى إحـساس كراهية. يبدو أن امتحان الأسطوات، ومحل المستقبل، وحساب توفير الحموين، أن كل ذلك ينبغى تنحيته جانباً، إذ يبدو أن «هاينتس» وقد غشـاه إحسـاس المنزلق على الجليد فى بداية السـبـاق، ذلك الإحـسـاس الذى لم يعرفه مع «بريجِيتّـه» قط، سيركز كل التركيز على «زوزى».

«زوزى» تناسبـهـا الأمـومـة التـمـثيلية جـيداً، كم ستناسبها الأمومة الحقيقية عندما يحين حينها.

«زوزى» تأتى من بيـئـة مـخـتلفـة كل الاخـتـلاف، و«هاينتس» صنع لكى يعـبـر من فـوق هـذه البـيـئــة الراقية.

إذا كـان هناك من يصلح لهـذه المهـمـة، فـهـو «هاينتس».

وكذلك «زوزى» اليوم أقل ميلاً إلى طبع النضال من ذى قبل.

لا تهتم بمجـمـوعـات ترتدى زياً خـاصـاً، يمكن أن يقـوم الإنسـان بهـجـمـة من أجل حلهـا، لا تهـتم بنوادى منـاقـشـات، يصـرح فـيـهـا الإنسـان بـرأيه، لا تهـتم بمسيرات، يستطيع الإنسان أن يشارك بالسير فيها.

«زوزى» تصـرح بأن الطفل الصـغـيـر فى عـربتـه الصـغـيـرة لا يعلم حتى الآن من كل هـذا شيـئـاً وأنهـا تنوى أن تبعد عنه كل قبيح.

«بريجيتّه» غارقة فى القبيح حتى رقبتها.

ليس الروث بالشىء الجميل.

«زوزى» تعطى «بريجـيتّه» نصائح لتربية الأطفال، وتستخدم عندئذ كلمات سيكولوجية أجنبية لا تفهمها «بريجيتّه».

وعلى الرغم من ذلك فـ«بريجيـتّـه» سـتكون بكل تأكيد أما أفضل من «زوزى» ، كمـا تقول. وفى الوقت نفسه تُضَمِّن «زوزى» كلامها أنها لا تزال صغيرة على إنجـاب أطفـال، ولكن الرجل الوحـيـد المعيَّن سـيطرد منها هـذه الترهات وسـيـختـارها لمهنـة الأم على الرغم من صغر سنها.

عندئذ ستجيب «زوزى» بـ نعم.

«زوزى» تقول حرفياً: ربما يطرد منى أحدهم هذه الترهات.

«بريجيتّه» تفهم القليل مما تقوله «زوزى».

ولكن «بريجيتّه» تفهم أن «هاينتس» يرى نفسه فى دور هذا الوحيد ويرى «زوزى» فى دور مِلكه. بينما هى «بريجيتّه» مِلكه.

الحمد لله أن «زوزى» لا تستجيب لهذا العرض، لأنها لا تعرف بعد، ما يمكن أن يعنيه على نحو أو آخر، امتلاك محل خاص.

«زوزى» لا تعرف بالفعل حتى الآن من هو الرجل الصحيح وما هو شكله: مثل «هاينتس».

«هاينتس» يتولى عن «زوزى» بأدب راق الإمساك بسلسلة الكلب: قوة مزاوجة مرتبطة بأناقة.

هكذا ينشئ «هاينتس» ارتباطاً بينه وبين «زوزى»، هو بالنسبة إلى «بريجيتّه» لا يمكن اختراقه ولا يمكن هدمه. وهذه هى «زوزى» وقد دفعتها هذه الطبائع النورية إلى حافة الوجود ترى بعينيها الروحيتين المدربتين تدريباً ناقصاً الصورة التالية: هى تنظف البراز من سلطانية المرحاض اليوم مرة مستخدمة شعر «هاينتس». وقد تقوم بعد ذلك بدس رأسه كلها كاملة فيها.

علماً بأن تاريخ اليوم مناسب جداً والملابس جديدة جداً. فإذا لم تنجح اليوم، فلن تنجح أبداً مرة أخرى. إما اليوم وإلا فلا.

إذا استطاعت «بريجيتّه» أن تهبه ولداً من صلبه، فستبهت «زوزى» بالضرورة عندئذ وهى تقف بجانب الطفل ابن أختها.

عندئذ سيستطيع «هاينتس» أن يتعلم كيف يميز الطفل الصحيح عن الطفل الزائف: أن يميز لحمه ودمه عن ابن أخت «زوزى».

وتبع القولَ فعلٌ.

أنا يا هاينتس، أحبك، أحبك جداً جداً، هكذا تقول «بريجيتّه» آلياً، وقد وصلت البيت أخيراً. شعرها يلمع مُحْمَرّاً فى الشمس، وتلك لمعة من فعل الصبغة الموجودة فيه. لدى «هاينتس» فى .... منذ وقت طويل رغبة ....

ويمكننا اليوم أن نعلن خبراً هو أن تفاهماً حدث أخيراً بين الشاب والشابة، وهو أمر لن يتضح إلا بعد عدة أسابيع.

وهكذا وصلت «بريجيتّه» فى نهاية المطاف إلى قَدَر.

أُخير جاء من «هاينتس» شىء من نور أيضاً على «بريجيتّه».

اليوم حملت «بريجيتّه» .... مبروك.

وهكذا لن تنهى «بريجيتّه» حياتها فى البرد والعزلة، وهو ما كانت ستضطر إليه.

صعودُ «بريجيتّه» هو نجاحُ عملٍ تتابع قليلاً قليلاً بجهد جهيد. استطاعت «بريجيتّه» مرة أخرى أن تحسم المعركة بين الجنسين لصالحها.

من المؤكد أن «بريجيته» ستكون فى المحل (محل الأجهزة الكهربائية) قوة عاملة بلغت الكمال وخدمة يقظة واعية.

سعادة «بريجيته» لا تستند إلى مصادفة، بل كان عليها أن تكافح كفاحاً عسيراً إلى أن حصلت عليه.

«بريجيته» اعتقدت أن هناك أيضاً حياة أخرى غير الحياة عند خط الإنتاج، وظل الحق فى جانبها: هناك حياة أخرى غير الحياة عند خط الإنتاج فى المصنع، ألا وهى «هاينتس».

حيث تكون إرادة، يكون هناك أيضاً طريق.

ولقد وجدت «جيتى» [1] هذا الطريق. الحمد لله إنها ليست بطبيعتها عاقر، بل خصبة، وإلا كان كل شىء قد انتهى إلى الفشل.

جسم «بريجيته» الشجاع. المنتصر هو القدرة على الإنجاب. وبصفة خاصة ....

ربما كان لـ «زوزى»أيضاً مثل هذه الأعضاء، ولكن هذا شىء لابد من إقامة الدليل عليه.

«بريجيته» الآن على أية حال فوق فى العلالى.

هيا إلى العمل فى الإنجاب وإلى العمل فى محل الأجهزة الكهربائية، يا «بريجيته».

هل لديكم كذلك أرحام؟ هذا ما أتمناه! إننا نرى الأمر على خير وجه فى مثال «بريجيته» التى لم تدع

---

(١) اختصار تدليل لاسم «بريجيته». (المترجم).

هذا العضو الأنثوى المهم يضمر وهى تشتغل فى المصنع على خط الإنتاج، وإنما سمت به.... إلى كامل قدرته الاستخدامية.

ما نهايته خير، كله خير.

موت «ريو» يجعل الأمر ممكناً

حديث خالة المدينة وخالة الريف أثمر _ كما أثمرت العلاقة .... بين «إيريش» و «پاولا» - لأن «ريو» نفق [1] بالريو بغتة. فجأة أصبح «ريو» فى قلب تربة المقابر الحالكة حيث لم يعد يستطيع أن يضر أحداً بشىء.

على العكس من ذلك تحس أم «إيريش» حولها بالضد تماماً، تحس تحديداً بفراغ لا يصدقه العقل حل فجأة، فراغ لم يعد موظف حكومى سابق يطلق من خلاله أوامره المدوية.

الأم توسد عظامها المشوهة كرسياً وتنتفض بين الفينة والفينة مثل كلب الصيد، كأنما سيدوى تكليف أو رغبة أو أمر، وهو ما لن يدوّى أبداً.

وكذلك الخنفرة والتزييق والخشخشة كأنها نُفخت وأخمدت. وخيم السكون.

---

(١) بدلاً من ان تقول عات. (المترجم).

لم يعد هناك ما يطن أو يرن من خلال الحجرة المطبخ.

وهكذا بين عشية وضحاها يصل الإنسان إلى حياة فارغة بينما رفات «ربو» وسد اللحد للراحة الأبدية منذ قليل.

كانت الأم قد اندفعت فى ثورة غاضبة شرسة إلى حيث تجرى استعدادات دفن «ربو» وكأنما أرادت أن توجه مرة أخرى نشاطها كله إلى هدفه الصحيح الأوحد ألا وهو «ربو». ثم انتهى الأمر وخيم السكون.

الجدة الهرمة هى التى بقيت وحدها على قيد الحياة وهى التى أرسلت ابنتها (الآن: الأم) ولما تتجاوز الرابعة عشرة من عمرها للخدمة فى البيوت وعرضتها لأول مسافحة .... فى حياتها. والأم لم تسامح أمها، الجدة، بل ترد لها فعلتها أضعافاً مضاعفة.

أما أن الجدة فيما مضى من الزمان وكانت فى الثانية عشرة من عمرها قد أرسلت للشغل فى البيوت وتعرضت لأول مسافحة.... فأمر نسيه أهل الريف بذاكرتهم الضعيفة منذ أمد بعيد. الجدة وحدها هى التى تعرفه، ولم يعد أحد ينصت إليها.

والأحسن على أية حال، بعد أن لم يعد للأم زوج تخدمه، أن تقوم بإهانة أمها، بدلاً من ألا تفعل شيئاً إطلاقاً. وإذا بتعبيرات قبيحة وتمنيات بالموت تتردد بين جنبات الجبال.

وفى قلب تشنجات بكاء ونحيب الجدة الهرمة تسببت فيها ابنتها المترملة حديثاً والتى أصبحت بلا «ريو»، انقضّت خالة «پاولا». نحن نتذكر. إنها ترجو أن تفك «إيريش» من رابطة العائلة، وأن تلصقه فى «پاولا». تقول فيما تقول العيل المسكين يضطر إلى أن يكبر بلا أب، ألا يكفى أن أولادك أنت كان عليهم أكثر الوقت أن يكبروا بدون آبائهم؟ الطفل يحتاج إلى أب تماماً كما يحتاج إلى أم. الطفل يحتاج إلى اليد القوية كما يحتاج إلى يد الأم الناعمة (١).. الطفل يحتاج إلى الأبوين معاً، لا منفصلين .. هذا أفضل للطفل .. واضح .. «پاولا» عملت عملة قذرة وعملة عبيطة، ولكنها صغيرة السن جداً، وأنت أيضاً كنتِ صغيرة السن، و«پاولا» ستسلك مستقبلاً سلوكاً مهذباً ولن تعمل أعمال قذرة بعد الآن.

ثم إن «إيريش» ليس بريئاً إلى هذا الحد فى هذه العَملة، وهى تحتاج دائما إلى اثنين، على الرغم من أن الدافع يكون أقوى عند الرجل، ولا يمكن أن يوجه إليه الكثير من اللوم لهذا السبب.

والرجل من الممكن أن يدبر أمور حياته وحده، بينما المرأة، «پاولا»، لا تستطيع ومعها الطفل أن تدبر أمورها وأن تضرب العوائق، وكذلك تحتاج إلى أن يضربها «إيريش»، تحتاج مرةً إلى يد رجل قوية.

---

(١) الكلام كما تكتبه يلينك متواصل بدون علامات ترقيم، وقد أضفت النقطين للفصل والتوضيح. (المترجم).

الطفل يحتاج إلى أبيه: «إيريش».

ومن يعرف إذا كان «إيريش» أصلاً هو الأب، بهذا ردت بكلاحة الأم الغاضبة الثائرة. إذا فرطت امرأة فى نفسها مع رجل، فإنها عند الضرورة تفرط فى نفسها مع رجال كثيرين. ومن يعلم، ربما لايكون ابنى «إيريش» هو الأب، من يعلم.

وتبع هذا الإذلال المعهود الصمت المعهود. وأصاب شىء من إذلال «پاولا» الخالة القادمة من المدينة والتى لا ذنب لها. سأصفع «پاولا» فى مقابل ذلك صفعة هائلة، هذا ما نوته وعقدت عليه الأيمان.

عما قريب ستدق أجراس عقد القران فى الكنيسة!

عما قريب ستدق أجراس عقد القران فى الكنيسة! بيم بام بيم بام.

أم «إيريش» حولت المسار بقوة مراراً وتكراراً تجاه العوائق كل العوائق، ولكن هناك حيث كان من قبل جدار خرسانى سميك هو «ربو» تهاوى كل شىء وكأنه صنع من زبد طرى، تلك خبرة مثيرة، لم يعد مَن فى سنى يستطيع أن يتحملها كما ينبغى. أن تكون فجأة موضوع الرجاء، أن يكون علىّ فجأة أن أحقق شيئاً، أن أقف فجأة كشخص أعلى حيال شخص أوطى يرجوها، كل هذا يؤدى بالمرأة المنتظمة عموماً إلى اضطراب عنيف.

هذه المرأة أيضاً دخلت فى تجربة اليمة.

واحــد خطفــه الموت، فــمن بقى؟ لا أحــد على الإطلاق.

الأم تقــول، صــعب أن نضطر إلى التــخلى عن إنسـان؟ لابد أن يكون الشـخص قـوياً جـداً؛ ليتـحمل شيئاً من هــذا القبـيل. الأم قوية إنهـا تحمل إنــاءين حديدين مملوءيـن بمشروب سـاخن وكـأنـها لا تحمل شــيئــاً، على الــرغم من أنهــا ليــسـت إلا هـيـكلاً عظمياً.

إن من يسـتطيع أن يتـحـمل «ربو» عُشـر مـعشــار الوقت الذى تحملته الأم شخصٌ يقيناً قوى.

من الذى ستكرهه الآن، إذا كان الجميع قد تركوا البيت؟

الإجـابـة: لم يبق إلا الجـدة الهـرمـة، التى أصبـحت الآن جدة كبرى، يمكنها أن تكرهها.

فلِيَنْصب الكرْه كله إذًا على الجدة الكبرى!

ولعوا الأنوار المبهرة.

بلغة المدينة ترجو الخالة القادمة من المدينة الأم أن تسـعـد اثنين من الشبـاب تسيطر عليهمـا وحدهـا مثل راكب الدراجـة الذى يسيطر عليهـا ويداه فى الهـواء، بلغة المجلات.

قولى نعم، دعى للطبيعة حقها ومسارها الطبيعى، وكل مــا عــدا ذلك ســيظهــر من تلــقــاء ذاته. هكذا تتكلم.

فى البداية سارت الطبيعة مسارها الجبار وعلى الحظ أن يدخل الساحة. الخالة القادمة من المدينة ترى أن على الأم ألا تتغلق على هذا المسار الطبيعى الذى تسيره الطبيعة.

وأخيراً تتفتح أم «إيريش» المذهولة على مسار الطبيعة. وهاهى ذى تبعد عن الطريق حتى تستطيع الطبيعة أن تنطلق إلى الداخل، وهاهى ذى الطبيعة قد أتت. من الممكن أن يتم عقد القران.

ربما يكف «إيريش» عن إدمان الخمر، نصيحة قذفتها الخالة القادمة من المدينة عميانياً. ووصلت بها نهائياً إلى خير منعطف.

سيقام إذًا حفل قران أبيض جميل.

«إيريش» يوافق زائغاً، سيّان بالنسبة إليه.

إما أن يسلم النقود لبابا إلا ما يضيعه فى الكحول والدراجة البخارية، وإما أن يسلم قليلاً منها لـ «پاولا»، والباقى للبنك.

ليست هذه رواية موضوعها الوطن.

وهى ليست رواية موضوعها الحب، حتى إذا لاح أنها كذلك.

فهى، على الرغم من أنها فى ظاهرها تتناول الوطن والحب، لا تتناول الوطن والحب.

هذه الرواية تتناول موضوع «پاولا».

وموضوع «پاولا» يحدده «إيريش»، أما موضوع قوى "إيريش" البدنية فيحدده آخرون، إلى أن تتفتت أحشاؤه وتبلغ به ميتة مبكرة يكون الكحول قد لعب فيها دوره. «إيريش» يحدد حياة «پاولا» وحياة ابنته «زوزانه».

سيقيم الزوجان الشابان مؤقتاً عند والدى «پاولا» اللذين سينزلان لهما عن حجرة. وهما فرحان بأنهما أدخلا زوجين شابين العش، وأن «پاولا» و«زوزانه» لن يدخلاه وحدهما.

وعما قريب سنكون أربعة، لا ثلاثة فقط! هذا ما همست به الزوجة الشابة ذات يوم. وعما قريب سنملك سكناً خاصاً أو بيتاً صغيراً خاصاً، فانتظر عما قريب [1] .

عما قريب ستكون لدينا مبالغ مقتصدة [2] ، وهى الآن ليست لدينا بعد. ليس لدينا فى وقتنا هذا إلا أنفسنا وحبنا.

ورغبتنا. سنقوم بالعمل برغبة وحب. وسيكون العمل لطيفاً محبوباً.

«پاولا» استهلكت منذ وقت طويل رغبتها وحبها، أو ما اعتبره كذلك.

---

(١) عبارة مأخوذة من آخر قصيدة كتبها جوته وتنبأ فيها بموته الوشيك. والتلميح المقصود لا يغيب عن فطنة القارئ : عما قريب سيموت العجائز ويتسع البيت للصغار. (المترجم).

(٢) مبالغ اقتصدتها الأم العجوز سيحصل عليها الورثة بعد موتها "عما قريب". (المترجم)

أما «إيريش» فلم يكن عنده من قبل قط رغبة أو حب.

كان عنده دائمًا عمله فقط وما كان يرغب فيه وما كان يحبه.

كلاهما عندهما «زوزانه». وعندهما يدان، يدان لكل واحد منهما يستطيع بهما طبقاً للحال أن يقبض قبضة متينة. وستظهر آثار الأيادى القابضة عما قريب فى جسم «زوزانه». إلى أن تأتى يد أكبر وأقوى فتمتد إليه. قد يكون الاسم بيتر وقد يكون فيللى. ولن يكون يقيناً ربنا الحبيب.

الذى سيبارك .... رباط هذين الشابين، الذين باركا نفسيهما وحدهما من قبل بطفل، ويعقده. وستكون هناك قبل ذلك دروس دينية كاثوليكية عن الزواج تلقى عليهما فى دار القسيس حيث ستعامل «باولا» أسوأ معاملة على اعتبار أنها أقذر شىء. ولكن كل هذا سيطويه النسيان يوماً ما.

يوماً ما ستنعقد العقدة.

وسنصف فيما بعد حفل زفاف جميل حتى لا يكون نسيج الأحداث مفرط التعاسة.

لا ينبغى لنا ألا نصف إلا ما هو سلبى وقبيح.

الأشخاص الرئيسيون المشاركون فى الأحداث يشعرون بفرحة مسبقة وهم ينتظرون ذلك.

الأشخاص الرئيسيون المشاركون فى الأحداث لا تكاد تكون لديهم للأسف المقدرة على أحاسيس الفرح. لم يعد من الممكن أن يجعل الإنسان من حصان عجوز كدح فى الغيطان حصاناً من فصيلة الليبيتسانر (١) .

إلا أن "پاولا" احتفظت بنزعتها التفاؤلية.

«پاولا» ممتنة امتنان الكلب. مرعبٌ أن يضطر الإنسان إلى أن يرى مع آخرين امتنان «پاولا». الامتنان يحول دون انبثاق الفرح.

كذلك تحس «پاولا» بالارتياح.

وهى من ناحية المبدأ مستعدة كذلك لولادة أخرى.

استعدادات حفل الزفاف تبدأ.

«إيريش» يجد الطفل لطيفاً. ولكنه على أية حال رجل ولا يستطيع بحكم طبيعته أن يجد فى الأطفال الصغار شيئاً، هذا ما تشرحه «پاولا» الجديرة بالشرح مرة أخرى. «پاولا» فرحانة جداً «پاولا» فرحانة جداً.

«پاولا» تقبل الطفل مراراً وتكراراً أمام الناس بحب متأجج، وهو من حق الأم وواجبها.

---

(١) لهذه الفصيلة من الخيل شهرة خاصة فى النمسا ولها مدرسة فروسية من أيام الأباطرة النمساويين، اتخذت اسمها من مدينة ليبيتسيا غير بعيد عن ترييستا وكانت تابعة للتاج الإمبراطورى النمساوى، ولها مكان فى ڤيينا تعرض فيه مهاراتها بتذاكر دخول غالية، ويضرب بها المثل فى النمسا عند الحديث عن السمات الأرستقراطية. (المترجم)

«إيريش» يحب موتوراته وخمره القوية.

«پاولا» تحب زوجها القادم وطفلها وبيتها الخاص القادم.

الآن يصبح كل شيء على ما يرام!

صوت قبلات «پاولا» يسمعه من بالحجرة المجاورة.

الآن يصبح كل شيء على مايرام.

عن رحم «بريجيتّه»

أخيراً يبدأ في الازدهار والنمو، ومحتواه الذى ظل حيناً بلا شكل يزدهر وينمو معه.

عندما ألم بها الغثيان لأول مرة مبكراً وصعد القىء إلى أعلى، عرفت أن اليوم لم يعد بعيداً. فليس من الممكن إطلاقاً أن يكون هناك سبب آخر لصعود القىء إلى أعلى.

وتبصق «بريجيتّه» قيأها القليل فى سلطانية المرحاض. بعد ذلك مباشرة تذهب «بريجيتّه» إلى عملها فى المصنع كإنسان جديد، كإنسانٍ ولد من جديد. لديها الفرصة عن طريق المولود الجديد أن تولد تقريباً هى نفسها أيضاً من جديد. ستكون هناك بنية وجود علوية ثانية.

الآن تصبح الحياة لطيفة بحق.

الطبيعة بنت سراً كبيراً حول الصيرورة والفناء فى الطبيعة. عما قريب ستعرف «بريجيتّه» هذا السر.

الصيرورة والفناء، بوصف أكثر دقة: طفل «بريجيتّه» سيصير. الوالدان المشتغلان بالقيادة على المسافَات البعيدة سيفنيان والمأمول أن يفنيا بسرعة، وإلا سيكون أمامهما أن يقيما إقامة طويلة ثقيلة فى دار المسنين ؛ لأن على الشيخوخة أن تفسح مكاناً للشباب وعنفوانه. كل ما فى الأمر أن الوالدين المشتغلين بالقيادة على المسافات البعيدة لايعرفان إلى الآن شيئاً عن قدَرهما السخيف.

وعلاوة على ذلك على معلم «هاينتس» فى أقرب حين ممكن أن يفنى ويقضى نحبه، لأن «هاينتس» الذى تعلم فى محله الصغير قد أتم تعليمه الآن ويحتاج إلى فرصته.

إنه يقف هنا من سيخلفك مستقبلاً فى تولى العمل، هل على عينى المعلم الذى لم يعقب أولاداً غشاوة سميكة من الورق المقوى؟

آمال «هاينتس» فى صعود، شد حيلك شدا!

وعائلته الصغيرة المكتملة ستسهل على المعلم الموت، لكى يستطيع «هاينتس» عما قريب أن يستقل بمحله. وعلى الإنسان أن يعمل بهمة على التحديث والتجديد والدهان والتوسيع، فيكون كل شىء محدّثاً ومجدداً ومدهوناً وموسّعاً.

على القديم أن يفسح المكان للشباب، و«بريجيتّه» تفسح فى بطنها مكاناً لجديد أفضل وأجمل مما كان حتى الآن نائماً بائراً فيه (١).

---

(١) من الموروث الفلسفى: الإنسان باعتباره العالَم الصغير الذى ينسجم فى العالم الكبير، الميكروكوسموس والماكروكوسموس، وكذلكَ الموت والصيرورة ودورتها Stirb und werde! (المترجم).

وسيحتل الطفل الصغير مكاناً مهماً: وريث المحل! وستحتل «بريجيتّه» المكان المهم الثانى: مُعاونة فى المحل وفى تدبير المنزل.

حتى هذا الحين كانت «بريجيتّه» تشغل مكانًا بلا أهمية: عاملة معاونة فى المصنع. وتلك درجة أقل، لا بل عدة درجات أقل.

وجاء اليوم الذى قالت لـ «هاينتس» الخبر «ريجيتّه» تعترف لـ «هاينتس» بسرها. «هاينتس» خشى هذا طوال الوقت، وهو الآن لا يستطيع أن يتملص. الجنتلمان لا يتملص من الواجب.

قبل أن أدفع نفقة الطفل أريد على الأقل من الأم إسهاماً فى المحل فى صورة عمل، هذا ما قاله «هاينتس» من كلام يعبر عن التعالم موجه إلى عائلته المذهولة كل الذهول التى تكاتفت وكأنها تتعرض لعاصفة.

من فم الأب سائق المسافات البعيدة وقع وهمٌ اسمه «زوزى».

من فم الأم امرأة سائق المسافات البعيدة وقع وهمٌ اسمه «زوزى».

بعد قليل ستسقط الفاكهة من الأشجار، وسيكون على الوالدين أن يتركا البيت، ليفسحوا مكاناً للجيل التالى. دفتر توفيرهم يبقى هنا.

الأب يعانى من ألم فى الغضاريف وألم فى القلب. وفجأة يصاب الأب بألم ثانٍ يغشى أيام الشيخوخة.

ولكن: المؤاخاة بين المقاولات والثقافة (زوزى) لم يئن لها مرة أخرى أن تتحقق.

مقاولات «هاينتس» تبقى وحدها هنا.

كذلك الأم كان لديها خطط ثقافية عليها الآن أن تتخلى عنها. تصورت أنهما سيكونان زوجين جميلين، «زوزى» الحبوبة تلبس أبيض فى أبيض بلون الثلوج، وابنها «هاينتسى» يلبس أسود فى أسود بلون الغراب! هل هناك تضاد أكثر إمعاناً فى التضاد من هذا التضاد؟

هل هناك شىء يكون فى وقت واحد تنافراً وانسجاماً؟ أو كان يمكن أن يكون كذلك؟

ثم بعد ذلك كذلك أولاد يمكن أن تساعدهم الأم فى الواجبات المدرسية؟ ويتعلمون مرة المقاولات من الأساس ...

ما كان يجوز أن يحدث.

«بريجيتّه» ليست الضد بالنسبة إلى «هاينتس»، «بريجيتّه» مثل «هاينتس» ولكنها أوطى بكثير.

هى بالأحرى إنسان بسيط.

«هاينتس» يشعر بأن حمل «بريجيتّه» كأنه إجبار يمكن فى نهاية المطاف أن يصبح نافعاً.

سيتم زواج.

«بريجيتّه» تتمشى فوق السحاب وتعتقد أنها شىء خاص فى حالتها وأنه من الضرورى العناية بها.

«بريجيتّه» على حق.

فترة العناية بـ «بريجيتّه» إذًا بدأت.

عما قريب ينتهى العمل على خط الإنتاج فى المصنع بالنسبة لـ «بريجيتّه».

يا له من سعد لا يوصف بكلام.

بدلاً من دانتيللا پرلون جامدة تنزلق الآن چاكتات صوفية صغيرة ناعمة من بين أصابع «بريجيتّه» المفعمة بالأمومة. «بريجيتّه» فيها اعتداد كبير بإنجازها.

مرت بعملية تحول من كائن خنثى غير مكتمل إلى كائن أنثوى.

وكذلك معلم «هاينتس» المسن فرحان بقرب قدوم الطفل فرح بهلول مخرف. يقول خير أن يأتى الآن مرة أخرى دمٌ شاب لم يستهلك بعد، أما تسليم المحل فهو لا يتكلم عنه. الحمار العجوز.

المعلم المسن لا يدع مجالاً للشك فى أنه هو هنا دائماً السيد وأنه باق كذلك.

«هاينتس» لا يدع أمام «بريجيتّه» مجالاً للشك فى من يكون السيد فى البيت الآن. و«بريجيتّه» سعيدة كل السعادة؛ لأنها أصبح لها فى النهاية سيد. عندما يظل الإنسان طوال كل هذا الوقت بلا سيد، فإنه يحس بالارتياح عندما يجد سيداً طيباً لطيفاً.

أم فرحانة بقرب قدوم الطفل الصغير. وهى عاكفة على شغل التريكو بلا انقطاع وبلا معنى كالمجنونة من أجله. وهى تستطيع ذلك دون أن تتعلمه. فهى تحديداً لم تتعلم شيئاً.

أبو «هاينتس» يزمجر كما يزمجر الأب العجوز دائماً فى السينما وفى التليفزيون، ولكنه مثل ما يحدث فى السينما والتليفزيون لا يعنى فى الحقيقة شيئاً مما يقوله.

«بريجيتّه» تراعى بطنها، وتلقى الرعاية هى وبطنها. وهذا شىء تطيب له نفسها.

«زوزى» تتمنى السعادة. "زوزى" تتمنى السعادة على نحو ودى.

«هاينتس» و«ريجيتّه» يشكران. «بريجيتّه» تقول سنتزوج قريباً. قبل أن يرى الناس شيئاً.

علىّ الآن أن أراعى نفسى جداً وأن أستعد فى سكون لقدوم الطفل. «بريجيتّه» تتنصت إلى ما فى داخلها حيث لا تسمع صدى.

«زوزى» تقول إنها لا تريد أبداً أن يكون لها أولاد، وهذا معناه أنها يقيناً تريد أولاداً ذات مرة، عندما تزداد نضجاً، وتكون قد خففت وطأة الجوع فى العالم، أما الآن فتريد أن تنتظر بالنسبة للأولاد، لأنها تريد أولاً أن ترى الدنيا وترى الجوع، وهى الآن أصغر سناً من أن تقوم بهذا. وعندما تكون قد رأت الدنيا، فربما تريد أن تذهب كمعاونة إنمائية لمدة عام إلى

جـزء من أشـد أجـزاء هـذه الدنيـا كـآبة. وقـد تريد أن تتـزوج ذات مـرة عنـدمـا يأتى الـرجل المناسب، وعندمـا يأتى الرجل المنـاسب، فـإنهـا تريد أيضـاً أن تنجب أطفالاً.

«زوزى» تنتظـر الحـب الكبـيـر الـذى مـا زالـت (ابتسامة صغيرة) تؤمن به.

أما مـا لم تقله «زوزى» ولكنها تفكر فيه، فهو شاب من هـيـئـة الجـامـعـة، إذا ظهـر فى الأفق الآن فـوراً فسيجد قلب «زوزى» ويدها مفتوحين ....

فى الـوقت الحـالى لا تزال «زوزى» مـؤقـتـاً غـيـر مـسـتـعـدة، منغلقـة، بنتاً كـمـا ينبـغى أن تكون البنات، مـزدهـرة ومـحـاطة بجـدار منيع. إنهـا تنتظر كـزهـرة خـشـخـاش، زهـرة ترونجـان [1] أو زهـرة عـبـاد شـمـس مقفلة أن يـأتى واحد ....

بباقة ورد مليئة بالورود.

و«زوزى» تقـول أيضـاً، أن تكون المرأة وحـدها لا يكفى، لا بد من أن تسـتخـدم السـمـات الأنثوية للمرأة فـيـمـا خلقت له: الرعـاية والعناية والمسـاعـدة بأوسع معانيها.

إنهـا تقـدم مـجـانـاً وبلا رسـوم نـصـائـح لحـيـاة «بريجيتّـه» الجديدة. «هـاينتس» يعلق عليها بتلميحاته المبتهِجة إلى وضعه الجديد المقبوض المقيد على نحو

(١) زهـرة زرقـاء برية جـمـيلة تظهـر فى زراعـات الحـبـوب واسـمـهـا العلمى centaurea cyanus. (المترجم)

يغلب عليه التفكه والهزل المبتذل، وهذا هو طبعه. «زوزى» تغمض عينيها بشدة من الفزع، لأن «هاينتس» وضيع. «هاينتس» يحس بنفسه رجلاً أكثر من أى وقت مضى، وهو حقاً كذلك.

«بريجيتّه» تبعد «هاينتس» مبتهجة عن «زوزى»، ذلك الخطَر الخفى الذى أبطل أخيراً مفعوله. وتشير مبتهجة إلى أن «هاينتس» الآن عما قريب [1] سيكون زوجاً وأب أسرة. لا بنات غريبات بعد الآن. كلاهما يذهبان مبتهجين إلى عقد القران. «زوزى» تفكر مبتهجة، إنه اعتقد فعلاً أنه يمكنه أن يتزوجنى، وما يمكن أن يتزوجنى إلا رجل أحسن بكثير جداً جداً.

«بريجيتّه» تفكر مبتهجة، لقد نلت أنا أحسن رجل، ولم تنله «زوزى».

العائلة تطلق مبتهجة تلميحاتها إلى البطن الكبير وكأن ثقلاً ثقيلاً فى ساقهم. كلهم مبتهجون اليوم. وفى المساء عرض پيتر ألكسندر البهيج.

«بريجيتّه» تحس كأنها فى حمام ساخن.

---

(١) تراكيب شعبية متكررة فى أسلوب يلينك تتميز بإطناب ساذج من نوع : الآن + عما قريب. وبكثرة استخدام «ذات مرة» و«عما قريب» على طريقة العبارة المحشورة بسبب وبغير سبب إلخ (المترجم).

عقد القران

أخيراً جاء اليوم المأمول. جو أزرق مشرق يحيِّى اليوم المأمول الذى طال انتظاره. أخيراً جاء اليوم المأمول. جو أزرق مشرق يحيِّى اليوم المأمول الذى طال انتظاره.

«بريجيتّه» ترتدى ثوباً أبيض طويلاً يصل إلى الأرض خاطته الخياطة لها خصيصاً.

«پاولا» ترتدى ثوباً أبيض طويلاً يصل إلى الأرض خاطته لها الخياطة، مدرستها السابقة، خصيصاً.

«بريجيتّه» تحمل على ذراعها باقة من الورد الأبيض.

«پاولا» تحمل على ذراعها باقة من الورد الأبيض.

«هاينتس» يرتدى حلة سوداء جديدة وپاپيون سموكينج (١) .

---

(١) باللهجة النمساوية Mascherl. (المترجم).

«إيريش» يرتدى حلة سوداء جديدة بكرافته جميلة.

«هاينتس» يقول باستمرار نكتاً سخيفة عن حريته الضائعة.

على «إيريش» تقال نكت كثيرة عن حريته الضائعة.

«هاينتس» يتكلم عن محله القادم، «بريجيتّه» تسانده فى ذلك، وتضع يدها على يده بحركة تنم عن الامتلاك.

«إيريش» يفكر فى موتوراته، "پاولا" تفكر فى أنها نجت مرة أخرى.

«بريجيتّه» ممتنة. «پاولا» ممتنة.

«بريجيتّه» تفكر فى أنها ستتمرد أحياناً،وبصفة عامة «هاينتس» على حق، وهى ستعمل ما يقوله.

«پاولا» تفكر فى أنها من الآن فصاعداً ستعمل ما يقوله لها «إيريش».

«بريجيتّه» وجدت فى النهاية مكملاً فعلياً لحياتها: شريكاً فى الهناء والعناء.

«پاولا» وجدت فى النهاية مكملاً فعلياً لحياتها: شريكاً فى الهناء والعناء.

إلى «هاينتس» و«بريجيتّه» جاء أقارب كثيرون.

إلى «إيريش» و«پاولا» جاء أقارب كثيرون.

حفل زواج «هاينتس» و«بريجيتّه» مؤثر جداً ومهيب.

حفل زواج «إيريش» و«باولا» مؤثر جداً ومهيب.

«بريجيتّه» سعيدة جداً.

«باولا» سعيدة جداً.

«بريجيتّه» بلغت المرام.

«باولا» بلغت المرام.

«بريجيتّه» حامل وعما قريب ستستطيع أن تطوق طفلها بذراعيها.

«باولا» عندها طفل. وهى تطوقه بذراعيها منذ برهة. ولكن من الضرورى أن يبقى الطفل اليوم فى البيت .

«هاينتس» هو الآن السيد فى البيت، كما يقول مبتهجاً.

«إيريش» هو الآن السيد فى البيت، كما لا يستطيع أن يعبر، ولكن كما يقول له الآخرون هامسين.

«هاينتس» يشرب عدة كئوس نبيذ فيشعر بالبهجة ويقول إنه الآن السيد فى البيت، وإن باستطاعة والديه أنَ يموتا ميتة البهائم، ولكنه يعبر عن ذلك بتعبير أرق. الوالدان هما أول التعساء فى هذه الصحبة الفرحة.

«إيريش» يتجرع الكثير من الخمر ويسكر حتى يفقد الوعى ولا يعود يستطيع أن يقول شيئاً. «باولا» لا تزال على الرغم من ذلك سعيدة فى هذه الصحبة الفرحة.

والدا «هاينتس» يدفعان نفقات حفل القران متبرمين ومعلقين تعليقات لاذعة، أم «بريجيتّه» تشارك ببعض المال، ولكن ما تدفعه ضئيل، والدا «هاينتس» يقولان كلاماً لاذعاً عن أصل «بريجيتّه».

والدا «پاولا» يدفعان سعيدين نفقات حفل القران. لا يحق لأحد أن ينظر إليهما بعد الآن نظرة احتيار.

فيما بعد يأتى دور الرقص.

فيما بعد يأتى دور الرقص.

ينطبق هذا على الحالتين.

هذا الذى يجرى الاحتفال به هو أن تذهب أخيراً امرأة ورجل إلى البيت.

«بريجيتّه» و«هاينتس» سيقيمان فى بيت والدى «هاينتس» الصغير فى الحديقة الشريبرية الصغيرة إلى أن يتمكنا من إثارة غيظهما وحنقهما وإخراجهما ويتمكنا من البناء وتوسيع البيت والمحل وكذلك التجهيز والفرش.

«پاولا» و«إيريش» سيحصلان عند والدى «پاولا» على حجرة صغيرة إلى أن يتمكنا من الحصول على مسكن صغير أو حتى من بناء بيت!

بالنسبة إلى «بريجيتّه» و«هاينتس» يعنى هذا الآن أن يوفرا ويوفرا، فالزواج وتكوين بيت يكلفان مالاً!

بالنسبة إلى «إيريش» يعنى هذا الآن أن يوفر ويوفر؛ لأن الزواج وتكوين بيت يكلفان مالاً!

على الزوجتين أن توفرا المال لزوجيهما.

«هاينتس» و«بريجيتّه» سينجحان فى ذلك.

«إيريش» «وباولا» لن ينجحا فى ذلك.

الكهربائى يكسب الكثير.

الخشاب يكسب القليل.

«إيريش» يشرب الخمر.

«هاينتس» لا يشرب الخمر إلا نادراً وباعتدال.

«إيريش» يضيع كل شىء تقريباً على الخمر.

«هاينتس» لا يضيع على الخمر شيئاً؛ لأنه طموح وعاقل.

أحوال «بريجيتّه» و«هاينتس» على ما يرام حتى إنهما عما قريب سيكونان قد طردا الوالدين من البيت.

أحوال «بريجيتّه» و«هاينتس» على ما يرام حتى إنهما عما قريب سيرزقان بولد آخر: «هارالد».

أحوال «باولا» و«إيريش» سيئة. سيرزقان بعد عام بولد آخر: «كارل».

مؤقتاً نريد - ولمّا يثقل علينا الهم بعد - أن نرقص فى حفل زواج «بريجيتّه» و«هاينتس».

مؤقتاً نريد - ولمّا يثقل علينا الهم بعد - أن نرقص فى حفل زواج «باولا» و«إيريش».

وأن نستمتع باليوم الجميل.

وأن نستمتع باليوم الجميل.

«پاولا» علقت قـدَرها بـ «إيريش»، وسـيظل ذلك معلقاً فى رقبتها ثقيلاً كحجر الطاحونة الضخم.

«بريجيتّه» علقت قدَرها بـ «هاينتس»، وكانت على حق، وسيأتيها ذلك بمحل خاص وبسيارة جميلة.

بطريق المصـادفـة أصـاب "پاولا" حظٌ سـيىء وستعانى سقوطاً عسيراً.

بطريق المصادفـة أصـاب «بريجيتّه» حظٌ حسن وستعيش صعوداً عالياً سريعاً كالشهاب.

من أجل ذلك اسـتـثـمـرت «بريجيتّه» الكثير، كل قواها البدنية والعقلية.

من أجل ذلك استثمرت «پاولا» الكثير، كل قواها البدنية والعقلية.

«بريجيتّه» واتاها الحظ والنجاح.

«پاولا» لم يواتها الحظ والنجاح.

حظ «بريجيتّه» يرتهن بالمصادفة التى واتتها.

حظ «پاولا» يرتهن بالمصادفة التى أولتها ظهرها.

«هاينتس» له حرفة ذات مستقبل.

«إيريش» له حـرفـة غـيـر ذات مـسـتـقـبل، ولكن حاضرها مضمون.

«هاينتس» يعـرف مـا يعـوَّلُ عليـه فى الحـيـاة الاقتصادية.

«إيريش» لا يعرف شيئاً عما يعوَّلُ عليه فى الحياة الاقتصادية. «إيريش» يعرف ما يعوَّلُ عليه فى رياضة

سباق السيارات للحصول على الجائزة الكبرى: سيارة سريعة.

«هاينتس» يعرف أنه يعرف حق المعرفة. «هاينتس» يعرف أن زوجته لا تعرف حق المعرفة. «هاينتس» له سلطة على زوجته الجاهلة.

«إيريش» لا يعرف حق المعرفة. «إيريش» له رغم ذلك سلطة بلا حدود على زوجته، وهو ما سيستغله.

أحلام «بريجيتّه» و«هاينتس» شكلها تماماً كشكل أحلام «پاولا».

«إيريش» ليست له أحلام سوى أحلام موتوراته. ولكن «إيريش» عنده الكحول.

أحلام «بريجيتّه» و«هاينتس» ستتحقق.

أحلام «پاولا» لن تتحقق.

كذلك «إيريش» لن يحصل على رخصة قيادة، وهو ما يصيبه بضربة قاسية، وربما يؤدى إلى إطالة عمره.

هكذا يكون على كل واحد من هؤلاء الأربعة السعداء كل السعادة اليوم أن يحمل نصيبه.

الملِك يأتى فى نهاية المطاف بالمسئولية.

عدم الملِك لا يأتى بأى شىء.

لن يؤدى هذا إلى أن عبء «پاولا» سيصغر.

تزوج اليوم اثنان لا يملكان شيئاً واثنان يحلمان بأن يكونا من الملاك فى المستقبل.

أعليّ يا ترى أعليّ يا ترى
أن أخرج من البيت [1] ..

وجـاءت السنـوات وراحت وأصـبح الأطـفـال أنـاساً [2].

ونما «هاينتس» النمو الذى كان يتمناه، فأصبح

---

(١) تنوع على أغنية شعبية muss i denn, muss i denn zum städtele hinaus/ und du mein Schatz bleibst hier/.. wenn i Komme, wenn i Komme,/ wenn i wieder komme, wenn i wieder Komm,/ kehr i ein mein schatz bei dir إلخ معناها تقريبا: أعليّ أن أخرج من البلد، أعليّ أن أخرج من البلد، وأنت يا حبيبتى تبقين هنا ... وعندما أعود، وعندما أعود، وعندما أعود مرة أخرى أدخل البيت عليك يا حبيتى..- ونلاحظ ما أخذته يلينك بصفة عامة من الغناء الشعبى من تكرار بعض الكلمات ومن موضوعات منها خروج الرجل وترك الحبيبة وحدها فى البيت إلخ (المترجم)

(٢) تعمدت يلينك استخدام كلمة Leute وهى بهذا المعنى مألوفة ومحبوبة فى اللغة الدارجة، ولم تقل كباراً، وفيما بعد ستتكلم عن الرجل الذى هو السيد المتسلط، وعن المرأة التى تتعرض للتسلط ...إلخ (المترجم)

رجل أعـمـال من الدرجـة الأولى، رجـلاً سـداداً فى الموضع الذى تدعو إليه الحاجة، رجلاً سداداً بمعنى الكلمة. كانت زوجته تبيع فى المحل أدوات كهربائية. وكانت من أجل ذلك كانت قد وفرت بهمة واشتغلت بجد واقترضت قروضاً كثيرة. ثم استمرا من أجل ذلك يوفران بهمة ويشتغلان بجد ويقترضان قروضاً كثيرة. كانا يعملان بجد ويوفران بهمة.

كـان كل شىء قـد جـرى كـمـا تمنت «بريجيـتّه» وتصورت. كان عندهما طفل لطيف وكان الثانى فى الطريق. فما الذى كان ينقصهما لينعما بالرضا؟ لم يكن ينقصهما شىء بعد ذلك لينعما بالرضا، لكن لا، كان شىء ينقصهما لينعما بالرضا: كانا يريدان أن يكون عندهما المزيد من المكان فى بيتهما اللطيف الجديد الذى يلمع ويبرق.

وكـان هناك شىء يتـمنيـانه على أشـد مـا يكون التمنى: أن يزيد كل شىء زيادة مستمرة ويكبر كبراً مستمراً. هكذا يزيد كل شىء باستمرار ويكبر دائماً.

وذات يوم حدث أيضاً. أخيراً جاء اليوم المأمول. فى الحديقة كان ورق الشجر قد تلون بألوان مختلفة وخريفية، وكانت زهور النجمة والداليا قد تفتحت، وكانت الشمس تُذَهّب التفاح والكمثرى التى ستنضج قريباً، وكانت الطيور قد هاجرت إلى الجنوب لتبقى هناك حيناً من الزمن، وها هما والدا «هاينتس» المسنان يقفان متأهبين للرحيل مع صناديقهم وعلبهم وحقائبهم بباب بيتهم اللطيف الذى تم توسيعه، والذى

قضيا فيه سنوات طوال سعداء جنباً إلى جنب إلى جنب، والذى ربيا فيه «هاينتسى» الصغير ليصبح إنساناً بالغاً مجداً، بأن جعلاه إنساناً مستقلاً، وهو ما أصبحه، مقاولاً مستقلاً، وبذرا فيه المزيد وجنيا المزيد، وظلا يبذران ويجنيان أكثر فأكثر، ورأيا هناك علاوة على ذلك فصول السنة تأتى وتروح، وتلقيا خطابات وكتبا بطاقات عيد الميلاد، وقضيا ساعات وساعات زرقاء [1] أمام التليفزيون والبيرة.

وقف المسنان أشعثيّن أغبريّن من أثر العاصفة لينتقلا للسكنى فى شقة ضيقة جرسونيرة، صغيرة ولكنها غير إنسانية، لكى يفسحا مكاناً للشابين اللذين أصبح العالم الآن - وفيه بطبيعة الحال بيت العائلة الواحدة المكبر والموسع - ملكاً لهما. هيا إلى الشقة ذات الحجرة الواحدة التى ستليها دار المسنين. هل كان هذا وداع، وحركة إلى أمام ووراء، وتلويح! بسرعة بسرعة، لابد أن ننطلق بالسيارة.

مرة أخرى يحملان الحفيد الصغير على الأذرع، مرة أخرى يضمان الولد إلى القلب والصدر، مرة أخرى ينظران نظرات سامة مسممة إلى امرأة الابن ويقيِّمانها ويجدانها أخف وزناً من كل تقييم، ومرة أخرى يحيطان بنظرات وداع المملكة الخاصة القديمة، الحديقة وركن نباتات جبال الألب ومجموعة شجر الصنوبر ومجر الورد. ماذا سيفعل الشابان اللذان لم يألفا شغل الحدائق بها، هل سيتركانها تبور أم

---

(١) الأزرق دلالة علي السكر (المترجم).

سيعتنيان بها كما ينبغى وكما فعل الأب سائق المسافات الطويلة الذى لم يتخلف عنها لحظة على الرغم من آلام ظهره؟ ألم تغرورق عينا بابا بالدموع، ويبتل جانبا فمه باللعاب الذى أخذ يمسحه سراً دون أن يراه أحد؟ ألم يثقل الحزن قلب ماما؟

لا ينبغى أن يلحظ الشابان شيئاً من هذا، وليبنيا حياتهما كما يريدان، ونحن المسنين لا ينبغى أن نقف فى طريقهما! «بريجيتّه» وحدها هى التى أفسدت ابننا «هاينتسى» كليةً. لولا «جيتى» [1] لكنا لا نزال هنا، نزرع ونسوى ونبذر ونسيِّف. بسبب «جيتى» ينتزعوننا من جانب حفيدنا، بهجة عمرنا وفخاره.

ولكننا سنزودك كثيراً يا «هارالدى»! هل تفرح عندما تأتى تيتا وجدّو؟ ويقول «هارالد» مهللاً : نعم، وأنت تأتينى دائماً بشىء معك؟ وتتأثر تيتا وهى تعده بذلك، ولمّا تتكيف على الإطلاق مع الحياة فى المدينة النتنة، فلم يعد هناك شجر ولا نجيل ولا حساب توفير، هناك فقط برودة جامدة وصحراء خرسانية كئيبة وعزلة. على امتداد كيلومترات.

لا إنسان تقول له كلمتين.

لا إنسان فى هذه الصومعة الخرسانية يتسم بالإنسانية والصداقة. أسفى علينا أن يحل بنا كل هذا فى أيام شيخوختنا!

ولكن الشباب على حق.

---

(١) اختصار اسم «بريجيتّه» (المترجم).

ولكن «هارالد» ولد رائع. ينبغى أن يرث محل أبيه ذات يوم وأن يديره. وما بناه الأب يستطيع الابن عندئذ أن يزيده توسيعاً. الأساس موجود.

لا تبعثر الميراث الأبوى يا «هارالد» عندما تصل الأمور إلى هذا الحد، لا تبعثره، حذار يا «هارالد».

صحيح أن أمك مهملة وخايبة، أفسدت لنا ابننا العزيز «هاينتسى»، ولكن بابا سيأخذ على عاتقه أن تصبح ذات يوم رجلاً مجداً مجتهداً، لأنه هو نفسه رجل مجد مجتهد. وفى استطاعة جدّو أيضاً أن يعلمك ما لابد أن يعلمه الرجل، كيف تتسلق الشجر، وكيف تصنع نبلة ترمى بها الطيور، وكيف تلعب بالقطارات، وألا تولول مثل البنات عندما تجرح ركبتك. سيأتى جدّو كثيراً للزيارة وليعتنى بالحديقة، لأن الشباب ليس لديهم إلا القليل من الوقت لهذا الغرض، وستأتى تيته كثيراً معى، وعندما يأتى جدّو للزيارة سيريك كيف تصبح رجلاً عظيماً بحق، يا «هارالد».

لأن جدّو هو أيضاً رجل، هذا ما ينبغى أن تعرفه.

«هاينتس» الذى يفرغ صبره والذى عليه أن يذهب لعمل تركيبات كهربائية سيعيّن عما قريب عاملاً فنياً، وهو يعتقد أن على الرجل العجوز المقزز (١) أن يرحل من البيت، فإذا لم يفعل سيعطى هو دفعة من عنده،

---

(١) فى الأصل كلمة مبتذلة متداولة على المستوى المنحط اجتماعياً ولغوياً واقربها حرفياً مؤخرة او مقعدة او عجز، ولها مقابل مبتذل بالعربية الدارجة المنحطة. (المترجم).

فقد أوشك حبل صبره أن ينقطع. وهو لا يعترض على أن يأتى الرجل العجوز المكحكح كلما أراد، أما الآن فعليه دون ريث أن يرحل. ولكما أن تزورانا كلما حلا لكما، سيبتهج لهذا بصفة خاصة «هارالد»، وزوجتى، وكذلك أنا ابنكما «هاينتس». وبصوت غير مسموع: هيا جُرّا أذيالكما أخيراً.

ألا إنه رحيل حزين بحق.

«بريجيتّه»، سيدة البيت، التى كانت فى تلك اللحظة مَشغولة بتدبير المنزل، تأتى للوداع. لقد أصبحت امرأة نظيفة ممتلئة قليلاً. الزواج أفادها كما يرى الناظر إليها. الكراهية أكلت قلبها وكل ما بداخل كيانها. ولكن بهجة الامتلاك بقيت لديها. وهى تتشبث بها بقبضة من حديد.

«بريجيتّه» الزوجة والأم التى نظفت حتى الآن ملايين الأَطنان من الغائط، تودع والدىْ زوجها وقد امتلأت كراهية. هى أخيراً وحدها. أخيراً انطلقت السيارة. أخيراً تصبح العائلة وحدها ونستطيع أن تحيا حياتها كما ينبغى لأى عائلة.

تواً يبدأ «هاينتس» و«بريجيتّه» الحياة العائلية التى هى هى كل يوم أى هى شَغل شغل شغل.

ولكن الشغل فى نهاية المطاف يجعل الحياة حلوة ويجعل الحياة حياة. هذا ما تركه الوالدان العجوزان تراثاً وميراثاً، هذا، وكذلك المال المقتصد الذى يكمن فى البيت وفى المحل.

مرة ثانية تحيط «بريجيتّه» بعينيها وبحواسها الأخرى مملكتها الصغيرة التى سيجرى توسيعها عما قريب. الكلمة الأخيرة لتقرير ذلك لم تُقَل بعد والذى سيقولها هو «هاينتس». وتدخل إلى البيت مطلقة زفرات ارتياح، دافعةً أمامها بركلاتها الولد «هارالد».

بابا خرج.

«هارالد» لا يستطيع الكلام كما ينبغى بعد. أحياناً يجد من يضمه إلى صدره بقوة ويقبله، وهذا شىء يفضله أكثر. أما الشوكولاتة والحلوى والبسكويت فهى ما يفضله كل التفضيل.

بابا فى شغل التركيبات الكهربائية، ماما تبيع كوع صرف من الستينلس ستيل وهوأفضل من العادى.

كذلك تبيع ماما سيشوار للشعر، ودفايتين كهربائيتين تنفثان الهواء دافئاً ومرآة تواليت من النوع الجديد الذى يمكن إضاءته. ماما يمكنها أن تكون راضية عن يومها؛ لأنه كان يوماً طيباً.

ستزيد الأيام الآن زيادة مطّردة.

وهكذا عاد الرضا الداخلى أخيراً إلى هذه المرأة.

أما «زوزى» الثرثارة التى لا يأخذونها مأخذ الجد، فيقولون إنها الآن على صداقة مع طالب جامعى. كذلك «زوزى» ستحمل على ظهرها مصير المرأة كما حملته «بريجيتّه». «بريجيتّه» الأكثر شطارة عرفت قبل «زوزى» مصير المرأة.

كان مصير «بريجيتّه» رمية أصابت الهدف تماماً، ولا شكوى لها فى هذه الناحية. وقد حققت كل هذا وحدها بأنوثتها .... . ومن الرجال أولى القوة من يحتاج لتحقيق هذا الذى حققته إلى قوة أكبر بكثير منها.

فلماذا لدينا نحن النساء فتنتنا فى نهاية المطاف؟ ولهذا كان العنوان: أعلىّ يا ترى أعلىّ يا ترى...

وماذا أوتيت «پاولا» مملكة أيضاً

فى هذا الوقت أحاطت «پاولا» كذلك مملكتها الصغيرة ببصرها.

مملكة «پاولا» الصغيرة تتكون من حجرة صغيرة فى بيت والديها الصغير. هنا تهيمن «پاولا».

هى تهيمن على ابنها الأكبر وابنها الأصغر. وعلى «باولا» يهيمن زوجها.

كثيراً ما يستطيع الشجار والنقار بنفثتهما المسمومة أن يسمما حياةً عائلية بكاملها.

كثيراً ما يسمم الشجار والنقار بنفثتهما المسمومة حياة «پاولا» و«إيريش» العائلية بكاملها. على الرغم من خطر التسميم يستمر «إيريش» و«پاولا» و«إيريش» فى الشجار والنقار.

ومع ذلك فـ «إيريش» فى نهاية المطاف زوجى، هذا ما تفكر فيه «پاولا». وهى تجتهد أشد الاجتهاد فى أن يكون هناك جو طيب، لكى يستطيع الطفلان النمو فى

هدوء وتستطيع هى نفسها أن تنمو فى هدوء لتصبح امرأة.

اليوم على سبيل المثال تتلقى «پاولا» دعوة إلى حفلة رقص فى القرية المجاورة. هل لى أن أذهب إلى هذه الحفلة الراقصة، سؤال تسأله «پاولا» مضطربة النفس قبل الموعد بثلاثة أيام. «إيريش» يعدها قائلاً: نعم، عندما تكونين قد فرغت من الوفاء بمطالب الطفلين، لك أن تذهبى. ستتولى أمى أمر الطفلين.

اليوم يوم الحفلة، الذى تلف فيه «پاولا» خصائل شعرها. فلما عاد «إيريش» إلى البيت سألها، إلى أين تزمع الذهاب، فأجابت بأنها تريد الذهاب إلى الرقص فى القرية المجاورة مع صديقتها وزوجها. هذه هى المرأة الأولى التى تستطيع فيها «پاولا» الخروج.

ولكن إيريش يقول الآن فجأة أنا لا أسمح بذلك.

«پاولا» تبكى وتولول. «پاولا» تبكى وتولول على نحو يلين له الحجر، كأنها طفلة. وعلى الرغم من ذلك لا يسمح لها بالذهاب للرقص. وتعند «پاولا» نتيجة لذلك مدة طويلة وتقطب أساريرها. ولكن «إيريش» ظل صلباً لا يلين؛ لأنه فى هذه النقطة لا يعرف الهزل.

ولكن «پاولا» لم تستطع أن تظل ممتعضة طويلاً عندما ضحك طفلاها مبتهجين.

«باولا» لديها الآن المنظومة المحكمة التى تمنتها لنفسها. وهى جزء من هذه المنظومة، وما هى بالجزء المستعصى على الانتظام فيها. «باولا» منتظمة. فهناك تروس مسننة تدور حولها، وهى تنتظم [1] طائعة فيها.

تمكن «إيريش» أخيراً من السيطرة على إنسان، حتى لو كان هذا الإنسان شخصاً شديد التفاهة مثل «باولا». هنا الآن شخص يعمل ما يأمر به. «إيريش» له الحق فى أن يمنع أو يسمح. وهذا شعور جديد يتذوقه كله حتى الثمالة. أحياناً كذلك بإعطاء أوامر لا معنى لها.

أما الشىء الذى تتمناه «باولا» لنفسها فهو فى النهاية بيت صغير خاص. الشىء الذى تتمناه «باولا» لنفسها هو فى النهاية بيت صغير تتصرف فيه وتدبر مثل الذى لدى «بريجيتّه».

أن يكون للشجار والنقار أن يدخلاه.

على العتبة ستسد «باولا» فى وجههما الطريق وتقول لهما: مكانكما فى الخارج يا شجار ويا نقار وكذلك أنت يا كراهية. فهذا بيتى!

---

(١) لاحظ طريقة الكاتبة في استخراج الدلالات المختلفة في الكلمة الأصل والاشتقاقات على شكل تنويمات من نظم ومنظومة وانتظام إلخ. ولاحظ كذلك طريقة أنسنة المجردات من قبيل شجار ونقار وكراهية، وتوجيه الكلام إليها، وهي طريقة مألوفة عند البسطاء وفي الحديث مع الأطفال. (المترجم).

ولما لم يكن بيت «باولا» ملكاً لها وكان علاوة على ذلك مكانياً محدوداً جداً، فلا تستطيع الراحة أن تلم به، بل عليها عند عتبة الباب أن تلملم أذيالها وتعود من حيث أتت [1] .

بينما قام الدليل منذ أمد بعيد على أن الشجار يمكن أن يهدم كل كيان اجتماعى. «إيريش» يسرف فى شرب الكحول، وهو الشىء الذى ستوقفه «باولا» عند حده، على الفور بعد أن تكون قد عبرت عتبة البيت الجديد الذى لن يستطيعا الحصول عليه لأن «إيريش» يسرف فى عب الكحول. سيبقى الكحول خارج البيت مع الشجار والنقار.

أما الشغل البدنى الثقيل فسيدخل البيت على أية حال دون ما تردد وسيبقى فيه.

فى هذا المكان الصغير ينام ويقيم الزوج والزوجة.

الطفلان ينامان عند تيته التى لم يعد زوجها منذ وقت طويل ينام عندها، بل فى غرفة ضيقة تحت السقف الجمالون.

عندما تذهب «باولا» والطفلان يتعلقان بها لشراء الحاجيات، فإنها تحسد عابراً البائعات على نظافتهن ونضارتهن، أولئك اللاتى كانت تحتقرهن فيما مضى. بصعوبة تحافظ «باولا» على نظافتها ونضارتها وهما الشىء الذى بقى لها والذى كان دائماً يمثل فتنتها الكبرى. وهو الآن يكبدها جهداً أشد كثيراً من ذى

---

(١) اللعب بكلمتى einkehren و kehrtmachen ، فى الترجمة الم ب ولملم أذياله . (المترجم)

قبل. وعليها علاوة على ذلك أيضاً أن تعنى بنظافة زوج كثيراً ما يتقيأ على نفسه بل ويتبول أحياناً على نفسه.

وهذا شيء لابد من أن تقدر عليه زوجة السكير، تلك هي الشروط الأساسية. ويسمع كل ذي أذن الناس في القرية يتضاحكون وهم يقولون إن ربع قنينة نبيذ أحب إلى «إيريش» من أي امرأة ها..ها.

والواقع أن ربع قنينة نبيذ أحب إلى «إيريش» من زوجته «پاولا»، وإنْ صح أنه ربما يحب طفليه أكثر من ربع قنينة نبيذه. وهو كثيراً ما يشترى لهما آيس كريم. وهما يستطيعان أن يصفقا تصفيقاً جميلاً تعبيراً عن الرجاء والتوسل [1] .

لا يزال «إيريش» يحب موتوراته.

ذات يوم تحصل «پاولا» على رخصة القيادة. تنجح «پاولا» فى امتحان القيادة من أول مرة. «إيريش» يفرح لذلك، لأنه يأتيه بسيارة إلى البيت، وهذا صحيح، فبدلاً من المسكن المأمول أتاه بسيارة مستعملة ماركة سيمكا إلى البيت.

أتت السيارة بطفرة جديدة وذروة فى حياة «پاولا». إنها تستطيع الآن أن تلف فى المدينة راكبة سيارة، وهو ما لا يسمح لها به «إيريش» إلا إذا كان معها.

---

(١) كما يتعلم الأطفال الصغار عندنا «صفق سوسة تبقى عروسة»، يتعلم نظراؤهم فى ألمانيا أن يصفقوا تعبيراً عن «أرجوك. أرجوك»، والكبار يجدون متعة فى ملاحظة الأطفال فى أثناء ذلك (المترجم).

«باولا» واحدة من نساء قليلات فى المنطقة لديهن رخصة قيادة. وهى لا تستطيع أن تقود السيارة إلا إذا كان «إيريش» راكباً معها يقلد بفمه ضجيج الموتور بصوت مرتفع.

ذات يوم ذهبت «باولا» إلى إيطاليا لقضاء عطلة مع إيريش والسيارة الجديدة، وظل «إيريش» طوال جزء كبير من الطريق يقلد بفمه ضجيج موتورات سيارات النقل بصوت مرتفع.

بقيت الطفلتان مع والدى «إيريش».

كانت تلك ذروة جميلة. كانت هى الذروة فى حياة «باولا» حتى الآن.

بعد الذروة عاد الزوجان إلى البيت. لم يكونا هنا غريبين كما كانا فى إيطاليا، بل هما غريبان فى البيت. وشرعت «باولا» على الفور تتمنى سكناً جديداً، ولكن بلا جدوى.

وسرعان ما غرقت «باولا» من جديد فى معمعة الحياة اليومية.

وسرعان ما غرق «إيريش» من جديد فى الغابة والنبيذ والبيرة.

أما الطفلتان فهما لطيفتان ظريفتان ممتازتان فى الطاعة الفورية.

تسهر على هذا الحماة والأم وماما وبابا. الطفلتان تطيعان حرفياً عند سماع الكلمة، بل قبلها أحياناً.

تلك فرحة حقة لـ «پاولا» أن تكون طفلتاها حسنتى الخلقة والصحة إلى هذا الحد. وأهل القرية يقولون كيف يتمنى الإنسان مزيداً من الأمنيات الأنانية عندما يكون عنده أولاد على هذه الدرجة من النباهة واللطف.

عندما تكسر البنت ذراعها ذات يوم تستطيع «پاولا» أن تذهب بها بالسيارة الخاصة إلى المستشفى فى المدينة. «إيريش» يتفهم أن تركب «پاولا» السيارة فى هذه المرة دون الحصول على تصريح منه. ولكن هذه المرة لا تمثل بحال من الأحوال بداية عملية تعلم بالنسبة لـ «إيريش».

شيئاً فشيئاً أباد العمل فى الغابة جزءاً كبيراً من جمال «إيريش» القديم ومحاه، كما أباد جلد يديه كله تقريباً. لا تكاد المصطافات يدرن برءوسهن للنظر إليه. ولا يكاد الإنسان الآن يستطيع أن يميز «إيريش» عن غيره من الخشابين. كذلك ازداد تبلداً على نحو لافت للنظر.

كذلك «پاولا» تحولت إلى إنسان أكثر تبلداً مما كانت فى الماضى، على الرغم من أن شغل البيت يرضيها بل يمتعها.

والشىء الذى لا تجده «پاولا» هو قليل من البهجة وأقل من القليل من الحنان. وعلى الرغم من ذلك فلا تزال «پاولا» قريرة العين؛ لأنها لها مكان محدد الأبعاد فى الحياة ولديها أولاد. وهى ترجو أن يستمر هذا الحال على ما هو عليه.

لم تعد "پاولا" تفكر فى الخياطة. وقد شغلت مكانها فى المصنع بنتٌ متدرجة غيرها قادمة من المنطقة المجاورة الواسعة، بل خلفت هذه أخرى.

عيون القرية على «پاولا» مثلما هى على كل الآخرين الذين انتظمت حياتهم وتحددت بحدود. وعيون القرية تسهر على ألا يحدث تجاوز لأى من هذه الحدود.

ونظراً لأن «پاولا» تتصرف طبقاً لمقررات أصحاب العيون القروية، فإنها مسجلة عندهم على اعتبار أنها شر تدعو إليه الضرورة، ولكنها لا تتعرض لإزعاج ولا يذكرها أحد بكلمة، ولا يضعها فى موضع خارج نطاق بقية السكان الاناث.

أحاط الناس دون نية طيبة بما بذلته «پاولا» من جهود من أجل «إيريش»، وهم يراقبون بشىء من التندر الخفيف جهودها فى مكافحة الكحول وفى التصدى للتدهور البدنى، كما ينظر قراء صحيفة يوم الأحد إلى النكت إذا استطاعوا أن يفهموها. ولم يعد أحد يلاحظ نظافتها المتميزة وعنايتها بنفسها، لأنهم ألفوها، وهم يقبلون أن يكون لها أولاد مثل غيرها.

كل شىء سليم.

«پاولا» فى حقيقة الأمر سعيدة، ولكنها مازالت ترجو أن يكون لها ملكها الخاص الذى يمكنها من أن تحقق فيه مهنتها ألا وهى: ربة بيت وأم. ليس هناك مال لبلوغ هذا الهدف.

ليس لـ «پاولا» أن تتجاوز حدود رأسها الصغير العنيد، تلك عبارة لوم قد ترد فى رواية من الروايات المسلسلة التى يقرأها محدودو التفكير.

لو كانت «پاولا»، فى تصور الرواية المسلسلة، قد لزمت العقل لما انخرطت فى ذلك الطريق الذى انخرطت فيه، طريق سقوطها.

المكان الذى ستنتهى إليه هو طريق السقوط.

المكان الذى بقى فيه «إيريش» دائماً وما زال فيه اليوم كذلك هو الطريق المستقيم. الغابة والحانة.

القرية والرواية المسلسلة تقولان إن على الزوجة أن تصون فرن [1] البيت، وأن تحفظه وألا ترمى فيه قذارة.

«پاولا» لم تحفظ الفرن ولم تصنه فترة قصيرة، «پاولا» رمت على الفرن فى البيت قذارة.

كلف هذا «پاولا» رأسها.

---

(١) الفرن (ووقوده من خشب وفحم المنطقة) هو رمز البيت، فيه يُخبز وفوقه يُطهى ومنه يشع الدفء، والأسرة في البيوت القديمة قبل أن تظهر التدفئة المركزية والسخانات والمواقد والأفران الحديثة كانت تجتمع عند الفرن. وللفرن في الموروث الشعبي المصري وفي موروثات أمم كثيرة دور شبيه. ومشكلة الفرن التي تتحدث عنها يلينك بين السطور هي أن المجتمع القروي النمساوي والألماني القديم لا يعرف للمرأة مكاناً إلا عند الفرن. (المترجم).

وخطبة أخرى

شهادة المعلم معلقة فى برواز على حائط محل «بريجيتّه» و«هاينتس» للأدوات الكهربائية.

وكذلك فى بيت والدَىّ «زوزى» يجرى اليوم احتفال بخطبتها. هو مدرس شاب فى مدرسة متوسطة. والحضور حلقة من المناقشين المتحمسين حول الشابين، كانت أحياناً تأخذ نفسها بالجد كل الجد.

لا مرح فارغ العقل.

«بريجيتّه» الفارغة العقل ترزح بحسب رأى «زوزى» تحت عبء مثلث: المرأة والأم وسيدة الأعمال.

«زوزى» الأريبة لا ترزح إلا تحت عبء ثنائى: المرأة والأم (عما قريب). تركت دراسة الجرمانيات التى كانت بدأتها فهى تنتظر عما قريب طفلاً.

المرأتان تزدهران كلاهما تحت تأثير مهامهن الجديدة.

المرأتان تزدهران كلاهما تحت تأثير مهامهن الجديدة.

«هاينتس» يزدهر تحت تأثير مطبخ «بريجيتّه». إنه الآن سمين مثل الخنزير، والسمنة أيضاً فى أساسها عنده استعداد وراثى. «هاينتس» يميل إلى البدانة، وكثيراً ما تكون فنون طهى «بريجيتّه» موضوع تندر.

لم تكن فنون «هاينتس» باعتباره رجل أعمال قط موضوع تندر من أى نوع. إنها فنون جادة ومرتبطة بالوجود.

كذلك «جيتّى» لديها الآن شحم امرأة لطيفة ممتلئة، وكرش صغير لطيف. ويهدف شحم "بريجيتّه" إلى التعبير عن أنها: امرأة ربة بيت وأعمال وأم سعيدة.

ولديها شىء من التوازن ينتشر كذلك على ما حولها. أما «زوزى» فتريد بالاستعانة بالرياضة البدنية أن تظل رشيقة لتكون وتبقى بالنسبة إلى زوجها الحبيبة الوسيمة. وكذلك تريد أن تحافظ على لياقتها العقلية. وهى تنوى أن تستمر فى قراءة كتب كثيرة جيدة وأن تصل بمعلوماتها اللغوية إلى الكمال. وكذلك هذان الزوجان الشابان يريدان أن يبنيا بيتاً (١).

---

(١) من الجمل المسكوكة التراثية التي تجري بين الألمان مجرى المثل، وبخاصة في منطقة الجنوب المتاخمة للنمسا: تشتغل وتشتغل وتبني البيت _ وكثيراً ما يؤدي هذا إلى أعباء ثقال وتضحيات ومصائب. (المترجم)

وكـذلك [1] تريد «زوزى» أن تـكون شـريكة مـفكرة. فـمن المفـيـد أيضـاً لـلأولاد أن تكون الأم من النـاحـيـة الفكرية على أعلى مستوى.

والدا «هـاينتس» منظرهمـا سـيئ. تنقـصـهـمـا الحـديقـة والهـواء الطلق فـيـهـا. كـذلك ينقـصـهـمـا الحفيـدان. بهـذه المشكلات يلقيان عـدم الفـهم وعـدم التسـامح من أولادهمـا(ولد واحـد) وزوجـاتهم (زوجـة واحدة).

وكم يودان لو استطاعا أن يأتيا كثيراً للزيارة، وهو ما ليس فـرضـاً عليهمـا وليس مسـموحـاً لهمـا. فـحسـاب الأب سائق المسافات البعيدة فى صندوق التوفير خاو، ومن الخيـر أنه كذلك. فقد كـان ما فى حسـاب التـوفير من أجل الأولاد الذين من أجلهم يعـيش الإنسـان فى نهـاية المطاف [2]. أمـا أن يقوم الإنسـان برحلة جميلة فلم يعد أمرها ممكناً.

و«جـيـتّى» تعـيش من أجل الأولاد ومـن أجل المحل. والمحل يعـــيش من أجل «هاينتس». ولا أظن أن لـه صديقة؟

---

(١) لاحظ تكرار كلمة كذلك وكلمة أيضاً للتعبير عن المقارنة والزيادة والنسبية. (المترجم)

(٢) لاحظ تكرار عبارة « فى نهاية المطاف» فى اللغة الألمانية بصفة عامة، وفى لغة يلينك بصفة خاصة. وهى عبارة قد تعبر عن معنى وقد لا تعبر، فإذا عبرت عن معنى محدد فيكون المعنى هو الهدف أو الهدف البعيد ، وإلا فهى تعبر عن معنى مثل : هكذا الدنيا. (المترجم)

لا، لا. الأكل الجيد عند ماما، وهكذا تدعى «بريجيتّه» الآن، يجتذب على كل حال أكثر من المغامرة فى مكان بعيد غير معروف وغير آمن.

هكذا، الأكل الجيد عند ماما يجتذب على كل حال أكثر من المغامرة، سؤال توجهه ابنة عم «هاينتس» إلى ابن عمها «هاينتس» على سبيل المزاح وهى ترمق «بريجيتّه» بنظرة جانبية.

ويجيب «هاينتس» على سبيل المزاح أن المغامرة قد تجتذبه ولكن كل واحد هنا يعرف أن تلك كذبة. وهكذا رضى الجميع.

وكذلك «زوزى» تطبخ عن حب وبإتقان منذ الصغر، ولكنها لا تطبخ إلا أصناف المطبخ العالى الرفيع، وهى تتضمن الرجيم والأطباق الخاصة الأجنبية، والتى لا تسبب البدانة فالبدانة ليست عصرية.

«زوزى» امرأة أكثر عصرية، بينما «بريجيتّه» دقة قديمة بعض الشىء، ولكنها ودودة.

و«هاينتس» يحب «بريجيتّه» بالذات لهذا السبب. ولا يود أن تكون غير ذلك.

وما كان ليستطيع أن يتعامل مع امرأة عصرية.

وهكذا أصبحوا جميعاً أناساً راضين سعداء، يحتلون مكانهم فى الحياة، ويحتلون المزيد من المكان. فـ «هاينتس» يمكن، إذا استمر فى التهام الأكل بنهم كالحيوانات، أن يحتل مكانين فى الحياة.

ولكن هذه دعابة حسنة النية.

فـالمكانـان - أو مـا هو أكـثـر من مكانين - اللذان يحتلهما «هـاينتس» فى رأسـه، يمكنه أن يحتلهما فى الحياة أيضاً عما قريب بشخصه.

الأكل اليوم لحم خنزير محمر وكنودل [1] .

«زوزى» تقـول على سـبـيل الفكاهـة إنهـا راضـيـة بالمكان الذى تحـتله الآن فى الحـيـاة، وإنهـا لا تروم تبـديله بأى مكان آخـر تحـتله مـثـلاً مكان من أتمت دراسة جامعية عظيمة كاملة وفشلت فى الحياة نتيجة لذلك.

«زوزى» عـصـرية ودقـة قـديمـة فى آن واحـد، هى مـزيج يحبه على نحو خاص خطيبها الذى اختطبها منذ قليل.

بصفة عامـة: أفضل شىء هو الوسط الرشيد، هذا هو الـرأى الذى جـاهرت به «زوزى» على نحـو أشـد جدية من أن يناسب رأسها الصغير الجميل.

وزوج المستقبل يوافقها على رأيها وهو يضحك.

---

(١) لحم الخنزير المحمر أو المشوى كثيراً ما يكون غنياً بالشحم. أما الـكنودل Knodel فهى كرة فى حجم كرة التنس تقريباً تصنع من البطاطس والمواد النشوية مثل الخبز المعجن والدقيق والنشا مع إضـافات مكسبات للطعم من بهارات وخضـرة ربما قطع من الكبدة أو السجق أو اللحم، ويطهونها بسلقها فى ماء أو حساء، من أطعمـة جنوب ألمانيا والنمسا الشهيرة الغنية بالسعرات المسببة للبدانة. (المترجم)

كيف استسلمت «پاولا» للانحراف

لا نعـرف مـاذا دار فى رأس "پاولا" آنذاك عندمـا سلكت طريق الانحراف.

هل كانت الرغبـة فى المال، أم الرغبـة فـى رفاهية متواضعة، هى التى أوصلتها إلى حيث انحدرت إلى السقوط؟ أم هل كانت رغبة جنسية غير منضبطة كان المفروض أن يحققها لها زوجها؟ وهو «إيريش» أولاً وقبل كل شىء آخر؟

هل كانت هى إذًا الناحية الجنسية فى «پاولا» أم رغبتها فى الأمان أم رغبتها فى أمان يشترى بالمال، أم رغبتها فى مسكن خاص؟

القرية تود أن تعرف، ولكنها تركن إلى تخمينات. والحقيقة الواقعة هى أن «پاولا» ارتكبت فعلة قذرة هائلة. هذه الفعلة القذرة وضعت نهاية للأمان كل الأمان وهو ما أثبت أن الأمان لا يمكن أن يكون شيئاً يشترى بالمال. وإنما يستطيع الإنسان بالصبر والمثابرة

أن يكسب الأمـــان. وعلى الرغم من أن «پاولا» كـــانت منذ سنين فى حبها صبورة ومثابرة فإنها لم تكسب أماناً.

كل الأساليب الغريبة للحصول على زوج والإبقاء عليه تحظى هنا بالاستحسان.

أسلوب «پاولا» فى الإبقاء على زوجها وفى أن تهيئ له بيتاً مريحاً، سوف يستحقه هو وأولادها، ولا يستطيع «إيريش» أن يكسبه، لقى هنا الرفض والإدانة. كان أسلوب «پاولا» هو أسلوب الخنازير، ونالت «پاولا» عليه الجزاء الذى تستحقه.

لم أفعل ما فعلته إلا من أجل الأولاد و«إيريش»، هذا ما يمكن أن تكون «پاولا» قد قالته، فلم ينصت إليها أحد.

الوقائع تتكلم لغتها الخاصة وتتكلم عن نفسها.

عندما تتعرض كرامة رجل لإهانة فمن الصعب محوها. وليس للمرأة أن تبدأ بالتعرض للكرامة.

كذلك «پاولا» لم تُدخل الكرامة أصلاً فى بيتها. ذات يوم توجهت «پاولا» سراً إلى المدينة، ولا أحد يعلم السبب، كان مقصدها هو الذهاب إلى السينما ومحل الحلوانى، وهما لايوجدان فى القرية. و«پاولا» تعتقد أن ما فعلته هذا جزء من الحياة، وهذا خطأ. ولا نستطيع لضيق الوقت أن نجعل «پاولا» نفسها تتكلم.

عندما كانت «باولا» تركن السيارة عند محطة السكك الحديدية انحنى شخص غريب إليها وسألها من خلال نافذة السيارة: ألا نريد أن نذهب قليلاً لقبلات؟

فى البداية قالت «باولا» لا فأنا متزوجة ولى طفلتان ظريفتان.

ولكنها وافقت بعد ذلك على أن تذهب مع الرجل مسافة إلى مكان لا تراقبه العيون.

ونحن لا نعرف ماذا جاش عندئذ فى رأس «باولا» الذى نفت عنه الخياطة منذ سنوات، ودخله «إيريش» والأولاد منذ حين.

فى رأس «باولا» جاش شىء خاطئ.

فى جسم ... «باولا» لم يتحرك ساكن منذ وقت طويل. وإذا لم يكن الإنسان يحس بشىء فليس معنى ذلك أنه لم يحدث.

لقد فعلت «باولا» ما فعلته من أجل أسرتها.

ربما تستطيع «باولا» بهذه الطريقة أن تمنح أسرتها سكناً ثابت الأركان. عجيب أن «باولا» استطاعت أن تصمد هذا الوقت الطويل بدون هذا السكن الثابت الأركان. بينما كانت وهى فى الخامسة عشرة من عمرها لا تحلم بشىء آخر غير هذا السكن، بالستائر البيضاء وأدوات منزلية تلمع وتبرق. الأمان تلزمه أربعة حيطان خاصة وفوقها سقف.

ربما كانت هذه فرصة «پاولا» لبناء عش. «پاولا» تريد أن تقلد السونونوات [1] بأن تبنى عشاً. وهذا ما تتغنى به أغنية أوپريت مشهورة محبوبة.

ليس لـ «پاولا» أن تقتنى شيئاً لا يخصها.

اقتناء البيت واجب على «إيريش».

والوسائل الأنثوية لا تصلح لاقتناء شىء.

تقول «پاولا» لهذا الرجل ولمن تلاه ولمن تلا الذى تلاه، أنا أحب زوجى. هل تهدينى شيئاً من المال؟

وتتلقى «پاولا» شيئاً من المال هديةً.

وربما فكر «إيريش»، أتمنى أن أكسب لقمة عيشى ذات مرة أيضاً بمثل هذه السهولة.

لم تفكر «پاولا» فى أن المال الذى يكون فجأة معها سيشد الاهتمام بالضرورة. إنها تريد أن توفر فقط قليلاً قليلاً كالسنجاب. جزءٌ من هذا المال تنفقه فى المقهى. «پاولا» تريد أن تدفع ذات يوم مقدم مسكن.

---

(١) السونونو ويجمع على السونونوات طائر مفرد ماهر فى الطيران، لون ريشه بنى أو أسود يخالطه بياض، جناحاه طويلان ضيقان مدببان، وذيله منفرج : بالألمانية Schwalbe (Hirundinidae)، يهاجر من المناطق الباردة إلى المناطق الدافئة وبخاصة إفريقيا، ثم يعود إلى ألمانيا فتكون عودته إيذاناً بالربيع، وهو مشهور ببناء أعشاشه بلعابه الخاص الذى يبصقه فيتجمد على حجارة أو طين واجهات المبانى أو فى داخلها أو فى الحظائر أو فى شقوق يحفرها فيها. وهو بهذا المعنى معروف للألمان والأوروبيين. ونحن نراه فى مصر خاصة فى الشتاء. (المترجم)

«پاولا» تحصل بجسدها دون عقلها على المال لشراء شقة صغيرة.

ما تفعله «پاولا» دعارة. «پاولا» مومس. إنها تتلقى المال من رجال أغراب، وفى السيارة على المقعد الخلفى أو على النجيلة يفعل رجل أجنبى.... معها ما لا ينبغى أن يفعله إلا «إيريش». فعلة خاطئة فى مكان خاطئ. عمل عابث دون تدبر.

على من يمارس هذا النشاط أن يعمل على نطاق أوسع.

كان المفروض أن تعرف «پاولا» أنها لا تستطيع أن تصل إلى شىء عن طريق شىء من قبيل جسدها. ولكن «پاولا» لم تتعلم شيئاً منذ الأيام القصيرة التى كانت فيها بنتاً.

جسد «پاولا» لا يعترض بل يقوم بواجبه. ولكن البيئة المحيطة تمتنع عن الرضا بما تفعله «پاولا» بجسدها.

البيئة المحيطة تصبح شاهداً على هذه الفعلة فى خميلة.

ذهب سائق عربة نقل خاصة بالغابة ليتبول فى هذا الموضع الذى لا يذهب إليه أحد إلا أن يكون أرنباً بريًا صغيرًا أو وعلاً صغيراً، فرأى جزءاً عارياً من جسد «پاولا» ورَجُلاً لا تربطها به علاقة زواج. يقول إنهما كانا متشابكين على نحو قمىء.

وظل يعيد ما قاله مراراً وتكراراً.

ثم إنه كان يعرف اسم «پاولا» وعنوانها.

رأى أن ما مارسته «پاولا» هنا فى قلب الطبيعة البريئة خيانة فى حق صديقه «إيريش» خيانة. «پاولا» خانت زوجها مع رجل أو مع رجال متعددين.

ثم إن الرجل كان غريباً عن المكان. لم يكن شاباً من شباب الناحية هنا. رجل غريب وسّخ العش.

أف للشيطان. وهى أم، أنجبت طفلتين وهى تتعاطى الآن الحبوب.

خيانة فى حق صديقه «إيريش»!

«پاولا» تستحق قطم رقبتها أو على الأقل أن تعقم، حتى لا تستطيع أن تنجب بعد ذلك أولاداً يمكن أن تنقل إليهم ما تجمعه من ميراث. «پاولا» أسوأ من كلبة لا تستطيع بغريزتها أن تقاوم الكلاب.

«پاولا» انقطمت رقبتها ولكنها لم تعقم. بخت فى وسط النحس.

ثم إن «پاولا» طُلقها «إيريش» على أساس ارتكابها الفحشاء.

وعلى الرغم من أن تلك لم تكن رغبة «پاولا» على الإطلاق، فقد تحطم زواجها فى الحال بعد خطئها المتكرر.

وعلى الرغم من أن تلك لم تكن رغبة «پاولا» على الإطلاق، فقد تحطمت سعادتها فى نفس الوقت الذى تحطم فيها زواجها.

وعلى الرغم من أن «باولا» صارعت صراعاً شديداً، فقد تحطمت هى نفسها أيضاً مع كل ما تحطم.

وعلى الرغم من أن «باولا» حاولت محاولات واهنة لصد العواقب، فقد تحطمت بنيتها الاجتماعية كلها فوق كل الحطام الآخر.

ليتها فكرت فى ذلك من قبل، فقد فات الأوان.

لو كانت «باولا» قد تخيلت ما سيتحطم نتيجة ما فعلت عن تدبير من مساس خاطئ بزواجها، لما كانت قد بدأت بالتحطيم.

حدث ما حدث بقوة انهيار ثلجى مبتل.

الإنسان يعيش هنا مع الطبيعة تكلمه ويكلمها بدون كلفة ولا يستطيع أن يتصدى لها لأنها أقوى.

وكذلك «إيريش» يعانى جداً منها، وأمه تقول إنه لا يتجازها أبداً.

ولكن لا ينبغى أن يعانى الأولاد معاناة بالغة الشدة من الفعلة القذرة الخنزيرية [1] التى ارتكبتها أمهم، هذه أمنية الحماة.

---

(١) الكلمة الألمانية بالغة العنف وهي Sauerei مشتقة من Sau أي أنثى الخنزير التي ينسب إليها منتهى القذارة روثاً وأفعالاً ومنها العلاقة بين الذكور والإناث. والترجمة بالفعلة القذرة لا تكفي ولهذا أضفت إليها صفة الخنزيرية، واللغة الألمانية فيه كلمة Schweinerei وهي منسوبة إلى ذكر الخنزير Schwein وهي تعبر أيضاً عن الفعلة المفرطة القذارة، وإن قلت عن قذارة أنثى الخنزير. (المترجم).

الطفلتان تعانيان معاناة فظيعة من الفعلة القذرة الخنزيرية التى ارتكبتها الأم؛ لأنهما فجأة لا يكادان يلمحان ماما الحبوبة، أو لن يلمحانها أبداً.

وهما تسألان عن السبب ولا تفهمانه. من الخير أن هاتين الصغيرتين اللتين تشبهان دودتين صغيرتين خرجتا لتوهما من البيضة لا تفهمان بعد. عندما تبلغان من العمر ما يكفى ستفهمان. والأرجح أنهما لن تتفهما ما فعلته.

وسيكون من شأنهما أن تدينا الأم، كما يقول زميل ذكى من زملاء «إيريش» فى الشغل، يستطيع أيضاً أن يعبر عن نفسه شفاهةً.

الطفلتان تقيمان الآن عند والدى «پاولا» فى الحجرة التى أقام فيها والداهما عندما كانا زوجين.

«إيريش» يبيع لزوجته السابقة السيارة. عملية بيع حزين. فقد قضيا بها شهر عسلهما الثانى فى إيطاليا، وربما كان من الممكن - لو لم يتغير الحال - ذات يوم أن يبدلاها بسيارة رياضية سريعة. لم يبق له الآن إلا الدراجة البخارية المويبيد.

والدراجة البخارية المويبيد تقله أحياناً إلى صديقته الجديدة الغنية، ابنة فلاح من الناحية. ولكن عب ربع قنينة نبيذ أحب إلى نفسه من أى امرأة، وستنتهى هذه العلاقة المبتدئة يقيناً عما قريب بالفشل هى الأخرى.

ربما تكون النساء الآن أيضاً مختلفات عند ذى قبل.

«پاولا» بدأت بالتحطيم، وهى الآن قد تحطمت نهائياً.

أصبحت صبية الخياطة المتدرجة المفعمة بالآمال امرأة محطمة معلوماتها فى الخياطة غير كافية.

هذا أقل من القليل.

تذييل

هل تعـرفـون هذه المنطـقـة الجـمـيلة بوديانـهـا وتلالها؟ (١)

على البعد تحدها جبال جميلة، ولها أفق لم تؤته مناطق كثيرة.

هل تعرفون مراعى وحقول وغيطان هذه المنطقة؟
هل تعرفون بيوتها المسالمة، والناس المسالمين فيها؟

فى قلب هذه المنطقـة الجـميلة بنى أناس طيبـون مـصنعـاً. المصنع المنضـوى على نفـسـه المقـام من الألومنيوم المضلع يشكل تبايناً جـمـيلاً يتـضـاد مع الغابات الورقية والإبرية المحيطة. المصنع ينضوى فى المشهد الطبيعى.

---

(١) تنويعة على قصيدة جوته الشهيرة : «هل تعرف البلد الذي يزدهر فيه الليمون ...». ويبدو أن موضوعها ما يجري على الإنسان عندما يهفو إلى المكان الآخر، فقد يجمع خبرات طيبة وقد يجمع خبرات مؤسفة. (المترجم).

على الرغم من أنه ليس لديه سبب يجعله ينضوى على نفسه.

كان من الممكن أن يقوم سامقاً.

يا لوفرة الخير فى أنه يقوم هنا، فى هذا المكان الجميل، لا فى مكان آخر لا جمال فيه.

والمصنع يبدو على منظره كأنه جزءٌ من هذا المشهد الطبيعى الجميل.

يبدو على منظره كأنه نما هنا .. لكن لا! عندما يتأمله الإنسان عن كثب يرى أن: أناساً طيبين شيدوه.

فلا شىء يخرج فى نهاية الأمر من لا شىء.

وهناك أناس طيبون يدخلون المصنع ويخرجون منه.

أليس هذا الإنسان الذى يدخل هنا ويخرج هو صاحبتنا «پاولا»؟

قفى، نهارك سعيد يا «پاولا» ! حقاً، إنها هى. إنها فى ظاهرها لم تتغير، لا تزال كما كانت دائماً رشيقة، نظيفة. إلا هذه النغمة الخفية من الوهن فى وجهها، تلك التى لا يراها الإنسان إلا عندما يدقق البصر. وهذه التجعيدة: هل كانت بالأمس هنا؟

لا، هذه تجعيدة جديدة. ولا يمكن أن تكون هذه شعرة بيضاء؟ لا عليك يا «پاولا» ارفعى رأسك عالياً!

«پاولا» تعمل هنا خيّاطة غير متعلمة على خط الإنتاج.

«پاولا» تعمل هنا خياطة غير متعلمة على خط الإنتاج (١) .

«پاولا» انتهت هناك حيث خرجت «بريجيتّه» لتتعرف على الحياة. «بريجيتّه» عرفت الحياة ووجدت فيها سعادتها.

كذلك «پاولا» أرادت أيضاً أن تتعرف على الحياة، وهى الآن تتعلم الشغل باعتبارها عاملة مبتدئة فى مصنع للملابس الداخلية.

ذلك أيضاً نوع من الحياة.

فى المساء ينهمر البشر على المنطقة الطبيعية كأنما كانت ملك يمينهم.

«پاولا» لديها الآن شقة صغيرة يمتلكها المصنع كذلك ولهذا فهى رخيصة.

«پاولا» تنجز أقل مما ينجز إنسان مبتهج؛ لأنها غير مبتهجة. وعلى الرغم من ذلك فعملها كافٍ، فالمصنع صبور. كذلك «باولا» لم يعد فى داخلها أثر من فراغ الصبر.

«پاولا» أتت إلى هذا المكان؛ لكى تعمل فى الخياطة لا لكى تكون مبتهجة. كان من الممكن فيما مضى أن تكون مبتهجة (٢) .

---

(١) تكرار مقصود فى الأصل (المترجم).

(٢) موضوع البهجة والابتهاج موضوع محورى فى الشعر الغنائى، نذكر من أمثلته ترنيمة البهجة للشاعر الألمانى العظيم شيللر. (المترجم)

هى الآن تخيط دون مبهجة مشدات وسوتيانات وكورسيهات وسليپات. «پاولا» تزوجت وانهارت.

لن تسرح نظرتها أبداً إلى الخارج نحو طائر أو نحلة أو عود نجيلة. كان عندها ما يكفيها من الطيور والنحل وعيدان النجيلة. ولكنها لم تستطع فيما مضى أن تقدرها حق قدرها.

كل إنسان يستطيع أن يتمتع بالطبيعة خيراً من «پاولا» الآن.

«پاولا» تجلس إلى ماكينة الخياطة وتؤدى واجبها. لديها الكثير من المسئولية، ولكنها لم يعد لديها نظرة شاملة ولا بيت تدبره.

فى المساء تلم بشقتها الصغيرة بيتاً لها وتفكر فى البيت. «پاولا» أشد وهناً من أن تشعر بعدم الرضا.

«پاولا» لم يعد لها أولاد ولم يعد لها زوج، وعلى الرغم من ذلك فقد أصابها من الوهن ما يحول بينها وبين الشعور بعدم الرضا.

كان لـ «پاولا» ذات مرة زوج وطفلان.

كذلك الشغل لا يجعل «پاولا» راضية.

الشغل جعل «پاولا» بليدة.

الخياطة فى دم «پاولا». ولكنها نزفت هذا الدم، ولهذا السبب لا ينجح شغلها مثلما ينجح شغل الأخريات. وهو ما يؤدى إلى خصومات من الأجر.

«پاولا» تخيط بقلبها كله؛ لأنها لم تعد لديها أسرة يمكن أن تحتل جانباً من قلبها.

«بريجيتّه» لديها الآن أسرة ومحل احتلا قلبها كله.

ليست خيرة النساء من يخطن بقلوبهن كلها.

و«پاولا» ليست خير النساء.

«پاولا» عاشت قدَرَها من قبل فى مكان آخر. وقَدَرُها ينتهى هنا.

«بريجيتّه» بدأت هنا قدَرَها. «بريجيتّه» أفلتت.

«پاولا» أصابتها المصيبة. ولو مرت بها الحياة مرة عابرة، فلن تحاول «پاولا» أن تكلمها. فلم تعد تحب الثرثرة.

هذه هى الحياة يا «پاولا» تنطلق بعربتها!

أما صاحبتنا «پاولا» فلا تزال تبحث عن مفاتيح سيارتها.

إلى اللقاء يا «پاولا» وطريق السلامة.

الفهرس

صدر من هذه السلسلة

١ ـ «ملكة الصمت» للكاتبة الفرنسية «مارى نيمييه» ـ رواية ـ جائزة ميديسيس.

٢ ـ «فتاة من شارتر» للكاتب الفرنسى «بيير بيجى» ـ رواية ـ جائزة «أنتر».

٣ ـ «موال البيات والنوم» للكاتب المصرى «خيرى شلبى» ـ رواية ـ جائزة الدولة التقديرية.

٤ ـ «أوائل زيارات الدهشة» للشاعر المصرى «محمد عفيفى مطر» ـ سيرة ذاتية ـ جائزة «سلطان العويس».

٥ ـ «اللمس» للكاتبة السعودية «ملحة عبدالله» ـ مسرح ـ جائزة «أبها».

٦ ـ «عاشوا فى حياتى» للكاتب المصرى «أنيس منصور» ـ سيرة ذاتية ـ «جائزة مبارك».

٧ ـ «قبلة الحياة» للكاتب المصرى «فؤاد قنديل» ـ رواية ـ «جائزة التفوق».

٨ ـ «ليلة الحنة» للكاتبة المصرية «فتحية العسال» ـ مسرح ـ «جائزة التفوق».

الهيئة المصرية العامة للكتاب

ص. ب : ٢٣٥ الرقم البريدى : ١١٧٩٤ رمسيس

WWW. egyptianbook. org

E - mail : info @egyptianbook.org

العاشقات، رواية عن فتاتين تسعيان إلى نوع من الصعود الاجتماعي عن طريق الارتباط برجلين لا يحبانهما. وعلى ضوء الصراع الأبدى بين الرجل والمرأة تتشابك المصائر والأحداث فى صعود سيمفوني تتميز به "إلفريده يلينك."

فى هذه الرواية تتعمد المؤلفة تعرية النفاق الفردى والاجتماعى بكل صراحة وسخرية واستنكار، تصف مجتمع القرية فى "النمسا" الذى يكيل بمكاييل مختلفة. فهو يتصنع التمسك بالأخلاق والشرف، ولكنه غارق فى الفساد، يرضى بالسكر والاغتصاب والعنف والانتصار للفاسدين الظالمين.



٩ جنيهات

الهيئة المصرية العامة للكتاب